

رفع محمود العثماني
مصر العثمانية
تأليف
جرجي زيدان
تحقيق ودراسة وتعليق
الدكتور محمد حرب
دار الآفاق العربية

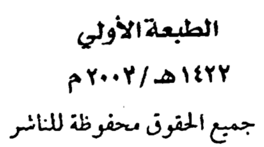


تأليف

جرجي زيدان

تحقيق ودراسة وتعليق

الدكتور محمد حرب



الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	١٤٧٩٠/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 344 -007 -9



٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤

إهداء

تقديرا لفعالياته فى سبيل رفعة اسم مصر والعرب

أثناء عمله سفيرا لمصر فى أنقرة

من سبتمبر ١٩٩٥ إلى أكتوبر١٩٩٩م

وتقديرا للأثر الجميل الذى تركه فى نفوس الأتراك مسئولين وشعبا

مما حبب مصر إلى تركيا وشعبها

إلى صديقى

السفير/ مَهدى فَتح الله

مساعد وزير خارجية مصرللشئون الأوروبية

أهدى جهدى فى هذا الكتاب

محمد حرب

بين يدي الكتاب

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب مصر العثمانية، وهو مخطوط كتب عام ١٩١١م ولم ير النور كتابا إلا على يدينا عندما قمنا بتحقيقه ونشره في دار الهلال، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٥١٧ - رجب - يناير- ١٩٩٤.

- وفي النشر الأول لهذا المخطوط، وقعت من المطبعة أخطاء كثيرة وواضحة، تداركناها في هذه الطبعة ، ورأينا هنا ، كما رأينا في الطبعة الأولى الاستغناء عن الصور التي وضعها المؤلف في مخطوطه لأنه صورها من كتب مطبوعة له هي تاريخ التمدن الإسلامي وتاريخ مصر الحديث، وهو في المخطوط لا تكاد تبين.

والجديد في هذه الطبعة:

١-كتابة مقدمة علمية، وبمراجعها وحواشيها عن المؤلف ومنهجه، وعن المتن.

٢-تنقيح المتن وتصليح كل الأخطاء المطبعية التي حدثت في الطبعة الأولى.

٣-كتابة حواشي علمية على المتن أسهمت في فهم النص، وقدمت هذه الحواشي نقدا ، وتصحيحا لمسائل تاريخية، وإيراد التواريخ الميلادية لأن المؤلف لم يستخدم في المتن غير التاريخ الهجري. ومقارنات بين ما كتبه المؤلف وما كتبه المؤرخون الآخرون في مسائل معينة، كما قدمت الحواشي إيضاحات لمسائل كانت مغلقة في المتن.

وقصة هذا الكتاب " **مصر العثمانية** " أنه بعد إنشاء الجامعة التي نادت الهلال بقيامها في عدد فبراير ١٨٩٩، عُرض على جرجي زيدان تدريس مادة التاريخ الإسلامي فيها، فأعد كتاب مصر العثمانية لهذا الغرض. لكن هذا الأمر لم يتم. وفي المقدمة تفصيل ذلك.

●

الغريب أن عهدت جامعة عين شمس للحاخام اليهودي الأكبر حاييم نعوم أن يدرس لنا أثناء تلمذتنا في كلية الآداب جامعة عين شمس قسم اللغات الشرقية، مادة "تاريخ العثمانيين" عام ١٩٦٠م، ولم يتم هذا الأمر لمرض الحاخام. هكذا حدثنا الدكتور إبراهيم أمين الشواربي، رئيس القسم، عليه رحمة الله.

محمد حرب

***

مصر العثمانية

أو

تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية

من الفتح العثماني سنة ٩٢٣ه او ١٥١٧م

الى الحملة الفرنساوية ١٢١٣ه او ١٧٩٨م

تأليف

جرجي زيدان

منشئ الهلال

لدروس التاريخ الإسلامي

طبع بمصر القاهرة

سنة ١٩١١

كثيرة من مخالفة كل ما كان سعيه منه من رفع العبء واكتفى بمواعدة
أهل الدولة قليلا . وتوالى الصدور وهم محتفظون ميلا الى الحرب
ومسلم منها فلما حال الدولة تختلف اختلاف زمن مالبس من محل
استقام عليه

وفي عهد هذا السلطان دخلت الطباعة المملكة العثمانية وتأسست
دار للطباعة في الأستانة بفتوى من شيخ الإسلام تقضي ان لا يطبع القرآن
بحروف الطباعة خوفا من وقوع التحريف فيه . وتوفي سنة ١١٤٩ه حتى
ث ... اليا

قاسم بك و ذو الفقار بك

(الحركة القاسمية والفقارية)

انا ... مقال استقل ... الامراء المماليك ... تقدم وانظم
ايام هذا السلطان حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك القاسمية ... نسبة
الى قاسم بك والفقارية الى ذي الفقار بك وان هذان الحزبان لا ينفكان
في المنافسة يحاول كل منهما اكتساب النفوذ دون الآخر . واما اصل
هذين الحزبين ففيه اقوال منها انه ... ان اخوين
هما قاسم بك و ذو الفقار بك ولدي سودون احد امراء المماليك
في عهد السلطان سليم الفاتح وان السلطان سليما هو الذي شطرهما

مقدمة

جرجي زيدان: سيرة ثقافية :

جرجي حبيب زيدان، عربي من لبنان وأقام بمصر ، مسيحي أرثوذكسي، من رواد حركة التنوير العربية، المعتمدة على اللحاق بالنهضة الأوربية. ولد في بيروت يوم ١٨٦١/١١/٢٤. جمع جرجي زيدان في شخصه عدة جبهات هدفت كلها إلى تحقيق اشتراكه في حركة التنوير، فهو صحفي وكاتب وروائي ورحالة ومفكر ومبدع.

تتلمذ في بداية حياته على يد القسيس المعلم إلياس الذي لم يكن يحسن القراءة في الإنجيل . لكنه كان يدير مدرسة أشبه بكتاتيب القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه المدرسة عبارة عن قبو واسع، وكانت طريقة القس إلياس تعتمد في تعليم جرجي وزملائه، على تسميع المزامير. كما كانت تعتمد على طرق العقاب الشائعة في نشئ ذلك العهد: الفلقة، وكانت عقابا لمن يستوجب العقاب من التلاميذ.

هذه مدرسة جرجي زيدان الأولى، ومنها صار يقرأ المزامير جيدا، لكنه لم يكن يفهم ما يقرأه. وقد أثرت هذه المدرسة الدينية الأولى على توجهات جرجي مستقبلا حين تمكن من الميدان الثقافي العربي العام، فصار يكتب ما يفهمه القارئ العادي والمتوسط والمثقف. يبسط التاريخ واللغة والفن بشكل يقبله الآخرون، ويسري فيهم في هدوء، لفظا ومعنى وأسلوبا، وكأنه يكتب لكي يفهم الجميع(١).

قام حبيب زيدان والد جرجي، بنقله بعد ذلك إلى مدرسة الشوام، وهي مدرسة مسيحية أيضا. كان يديرها بعض الشوام المسيحيين المثقفين.وتعلم جرجي في هذه المدرسة مبادئ الحساب والنحو(٢).

انتقل جرجي بعد ذلك إلى مدرسة المعلم ظاهر، ودرس فيها جرجي سنتين، بلغ بعدهما أحد عشر عاما.

أتم جرجي في هاتين المدرستين : الشوام والمعلم ظاهر، ست سنوات من عام ١٨٦٦م إلى سنة ١٨٧٢م. ثم بدأ يعمل مع والده في مطعمه. والتحق جرجي وهو يعمل مع والده في هذا المطعم، بدراسة مسائية لتعلم اللغة الإنجليزية. وكان

والده يخشى عليه من التعليم خوفا- في رأيه-من أن التعليم يمكن أن يجعل ابنه جرجي " متفرنجا يأكل بالشوكة والسكين، وربما حدثته نفسه أن يلبس الزي الأوربي".(٣).

تمكن جرجي زيدان من تعلم اللغة الإنجليزية في مدرسة المعلم مسعود الطويل. وكان جرجي في الخامسة عشر من عمره. وتقول الكتب التي تتحدث عن سيرة جرجي أنه تمكن من اللغة الإنجليزية في خمسة أشهر، استطاع بعدها أن يشتغل بوضع قاموس إنجليزي - عربي ، بلغ فيه حتى حرف " E " من الحروف الهجائية الإنجليزية. وفي هذا دلالة على استعداده لغزارة الإنتاج التي عرف بها بعد أن مارس الكتابة، وإجابة قد تكون ردا على المتسائلين عن تعدد جوانبه الثقافية التي عرفه بها عالم الثقافة فيما بعد(٤).

في عام ١٨٨١م، التحق جرجي زيدان بالمدرسة الكلية وهي المدرسة الأمريكية البروتستانتية. لكنه طُرد منها لاشتراكه في مظاهرة طلابية. لكنه استفاد من المواد الدراسية في هذه الكلية من العلوم الطبية فقد حصل على دبلوم الصيدلة(٥).

سافر جرجي زيدان، بعد ذلك إلى القاهرة عام ١٨٨٣ ليلتحق بمدرسة طب القصر العيني لكنه اضطر لظروفه المادية الصعبة من ناحية، ولأن دراسة الطب بها كانت تحتاج إلى سنوات طويلة. واهتم جرجي بعد ذلك مباشرة بالأدب والتاريخ واللغة العربية، فالتحق عام ١٨٨٤م بجريدة " الزمان" القاهرية. وكان من أسباب تركه بيروت وسفره إلى مصر، حنقه على الأتراك وعلى الدولة العثمانية.(٦).

وكان وصول جرجي إلى الإسكندرية عقب تدمير الإنجليز لمصر أي عقب الاحتلال البريطاني للقطر المصري عام ١٨٨٢م.

وكان لهذا أثره الثقافي والفكري فيه. لكن أثناء عمل جرجي في جريدة الزمان، قرر الإنجليز إرسال حملة إلى السودان لإنقاذ كَوردون باشا الإنجليزي من الحركة القومية السودانية وثورة المهدي وأتباعه الذين وصفهم جرجي زيدان بالعصاة والأعداء!! (٧).

وكان رئيس هذه الحملة هو اللورد ولسلي، وكان تعدادها سبعة آلاف جندي أكثر قوادها من طبقة الأشراف والنبلاء الإنجليز.وقد اختير جرجي زيدان مرافقا لهذه الحملة ضمن جهاز المخابرات البريطانية. وكان ذلك عام ١٨٨٤م.

ولما عادت الحملة البريطانية من السودان بعد عشرة أشهر من سفرها. عاد معها جرجي فكافأته سلطات الاحتلال الإنجليزي بمصر بمنحه الميدالية الإنجليزية وميداليتين أخريين[٨].

عاد جرجي زيدان بعد ذلك إلى موطنه عام ١٨٨٥، ولم يستطع المؤرخون لجرجي زيدان معرفة أهداف جرجي من هذه الرحلة[٩].

في عام ١٨٨٥م اختير جرجي زيدان عضوا بالمجمع العلمي الشرقي. ولم يكن قد مضى على إنشائه حينها ثلاث سنوات، والذي أنشأه أعلام عرب كبار مثل الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر والمستشرق فانديك، ومن أعضائه أيضا الشيخ إبراهيم اليازجي وإبراهيم الحوراني وسليم بطرس البستاني. وقد تعلم جرجي لكي يتزود لعضوية المجمع بتعلم بعض اللغات الشرقية: العبرية والسريانية بالدرجة الأولى، وبالتالي أصبح جرجي يجيد اللغات الأساس: من اللغات الشرقية العربية والعبرية ومن اللغات الأوربية الإنجليزية والفرنسية[١٠].

نشر جرجي زيدان أول كتاب له ، وهو كتاب الألفاظ العربية والفلسفية اللغوية(بيروت ١٨٨٦م) وفي صيف إصدار هذا الكتاب سافر إلى انجلترا وفرنسا وسويسرا، وكان في الخامسة والعشرين من عمره. وفي عام ١٩٠٨، سافر إلى استانبول بعد أن استقرت أحوال الدولة العثمانية عقب الانقلاب العثماني، وهو انقلاب ضباط الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ الذي أطاحوا فيه بحكم السلطان عبد الحميد وأعلنوا فيه الدستور. وزار أيضا عام ١٩١٠سوريا ولبنان وتمخض عن هذه الزيارة، مقال في السنة التاسعة عشرة من مجلة الهلال ينصح فيها جماعة المتشائمين العرب بعدم إساءة الظن بالحكومة الدستورية الجديدة أي حكومة الضباط الأحرار الانقلابيين (الاتحاديين) في استانبول، ونصح العرب بأن يصبروا على وعود هذه الحكومة بالإصلاح حتى تتمكن من تحقيق ما وعدت به[١١].

أما في عام ١٩١٢فقد شد جرجي الرحال إلى أوربا في زيارة طويلة نتج عنها كتاب نشرته دار الهلال بعنوان" رحلة جرجي زيدان إلى أوربا عام ١٩١٢" من منشورات دار الهلال عام ١٩٢٣، وكان هذا النشر بعد تسع سنوات من وفاة صاحب الهلال. وكنت رحلته التنويرية هذه تستهدف نقل: " ما يهم القارئ الشرقيَ من حيث

حاجته إلى تحدي مدنية أولئك القوم في نهضته هذه ونبين ما يحسن أو يقبح من عوامل تلك المدنية بالنظر إلى طباعنا وعاداتنا وأخلاقنا[١٢].

لقد تشكل فقه التنوير في مفهوم جرجي زيدان في البدء، من كل من:

١- ما حصله جرجي من البعثات الدينية التنصيرية خاصة الأمريكية في بيروت ، من ثقافة غربية ومنهج غربي في طرق التفكير.

٢- ما استفاد منه جرجي في زياراته لأوروبا، خاصة أنه وجد الفرصة هناك لدراسة الاستشراق الأوربي في انجلترا بالذات.

٣- دراسته للشرق: تاريخا ومجتمعا، ثقافة وتفكيرا.

عمل جرجي بعد عودته من أوربا المرة الأولى وبالتحديد أوائل عام ١٨٨٨م في جريدة المقتطف، وبعدها عمل سنتين مديرا للمدرسة العبيدية، وهي مدرسة خاصة بطائفة الروم الأرثونكس، لكنه بدأ في عام ١٨٩٢م في إصدار مجلة الهلال، والتي نشر فيها مقالاته وظل يعمل بها حتى نهاية حياته.

كان للسلطان عبد الحميد الثاني ، موقفه الواضح من جرجي زيدان ، بسبب فكرة التنوير الغربي من ناحية، وبسبب تأييده للحركات المناهضة للسلطان عبد الحميد ومنها تأييده لجماعة تركيا الفتاة والاتحاد والترقي. لذلك كان جرجي زيدان ممنوعا من دخول الأراضي العثمانية. لكن عندما نجحت حركة تركيا الفتاة في الإطاحة بحكم السلطان عبد الحميد، وتولت حكومة الاتحاد والترقي الحكم، استطاع جرجي دخول استانبول وأن يلتقي هناك مع الثوار الأحرار الذين قادوا الانقلاب. وكتب عن هذه الرحلة الهامة كتابات لها أهميتها التاريخية والفكرية والتربوية والتنويرية.

كما كتب جرجي زيدان مقالات في الهلال على مدار اثنين وعشرين عاما. وله مقالات كثيرة جدا. وما يقرب من أربعين كتابا.

وقد كتب جرجي زيدان في الميادين التالية:

١- التاريخ.

٢- اللغة والأدب.

٣- الاجتماع.

٤- الروايات التاريخية.

جرجي زيدان والغرب

برز جرجي زيدان كأول مؤلف عربي لموضوعين لم يكتب فيهما بالعربية أحد من قبله وهما:

١- كتاب الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، عام ١٨٨٦م.

٢- كتاب تاريخ الماسونية العام، عام ١٨٨٩م.

وارتبط جرجي زيدان بالفكر الغربي عن الطرق الآتية:

١- الكلية الأمريكية في بيروت.

٢- زياراته للمستشرقين في أوربا عبر رحلاته إليها.

٣- زيارات المستشرقين له في القاهرة.

٤- صحبته لمجموعة المخابرات البريطانية أثناء حملة إنقاذ كوردون باشا في السودان.

٥- معرفته باللغات الأوربية وإطلاعه بها.

وبالتالي عرف جرجي زيدان مناهج المؤلفين والباحثين الأوربيين. ومن هنا أيضا جاء حرص جرجي زيدان على سهولة الأسلوب وذكر المراجع والمصادر، حتى في رواياته.

أفاد جرجي زيدان أيضا من كثرة تناوله للمصادر الغربية التي كتبها الغربيون، فقد أفاد منهم العقلية التنظيمية في التأليف وتسلسل الموضوعات، والترتيب الدقيق، وجمع الأشباه والنظائر والوصول منها إلى استنتاج عام. و" يتجلى كل ذلك بوضوح في كتابيه" تاريخ التمدن الإسلامي" و" تاريخ آداب اللغة العربية". ويلاحظ هذا التنظيم من مجرد إلقاء نظرة على أبواب كتاب تاريخ التمدن الإسلامي، ففي بحثه عن الجند الإسلامي تأتي هذه المسائل متعاقبة في فصول متوالية من الكتاب: الجند وتوابعه، جند الروم، جند العرب، تنظيم جند العرب، جند الأعاجم في الإسلام، ديوان الجند، أعطيات الجند، عدد الجنود، اللواء والراية.

قلد جرجي زيدان الكتابات الغربية في تأريخه للأدب العربي، وفي طريقة التأليف عن حضارة العرب والإسلام. كما كان إطلاع جرجي على الكتابات التاريخية باللغات الأوربية أيضا أثره في موقفه من التاريخ العثماني.

ولدراسة التأثير الغربي على جرجي زيدان، ينبغي دراسة جوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب، الذي ألّفه عام ١٨٨٤ والمؤرخ سيديو، وفون كريمو، وجولد تسيهر. وينبغي أن يدقق الباحث العربي في موقف هؤلاء بالذات من العرب ومن المسلمين والإسلام.

رؤية محرم چلبي لجرجي زيدان

هذه رؤية تركية لأكاديمي تركي هو البروفسيور محرم چلبي. أمامنا رؤية غربيين وعرب لجرجي زيدان، لكننا- كما أتصور- في حاجة إلى رؤية تركية هي:

(جرجي زيدان أحد أعمدة التيار الجديد في كتابة الأدبيات العربية. إنه صحفي بارز لكنه قدم دراسات في التاريخ واللغات السامية والدراسات اللغوية المقارنة. وكان ينهج في كل كتاباته، النهج الغربي. تأثير المستشرقين على جرجي زيدان واضح، خاصة في وجهة نظرهم المعارضة للإسلام. أنه رائد عربي في مجال الثقافة. ورد في طريقه مورد الثقافة الأوربية. ونهل منها مستفيدا في ذلك من مدارس الإرساليات الأجنبية. وهذه المدارس عبارة عن مراكز أعدت خصيصا لمن أتجه وفي اتجاهه نحو ثقافة الغرب، ونعنى بالذات الجامعة الأمريكية البروتستانتية في بيروت والتي كانت تسمى وقتها بالمدرسة الأمريكية " أمريكان كوليج".

لقد كان هدف جرجي زيدان أن يطرح الثقافة الغربية أمام أبناء جنسه من العرب في سبيل ضمان قيام نهضة ثقافية في البلاد العربية ديدنها النهج الغربي.

ولقد قدم جرجي زيدان دراسات عن تاريخ الإسلام وتاريخ العرب، لكنه لم يقدمها ككاتب عربي عادي. وإنما مستفيدا من مناهج المستشرقين. وكان زيدان ناقدا للكتابات في تاريخ الإسلام لأنها - في رأيه- كانت تكتفي بنقل الأحداث فقط، ولم تبحث هذه الكتابات وأصحابها في الأسباب التي ترقد تحت الأحداث لتسيرها.

وباتصال جرجي زيدان بالمنهج الغربي في المعرفة، أصبح يرى أن التاريخ الحقيقي لأمة من الأمم ليس هو تاريخ الحروب والفتوحات، وإنما تاريخ الثقافة والمدنية والحضارة. لقد حرص زيدان أن تفقد الكتب التاريخية التقليدية اعتبارها في نظر المثقفين العرب والمسلمين، لذلك كان حريصا وهو يقدم التاريخ الإسلامي بالدراسة أن ينحي بالدين إلى المرتبة الثانية من الأهمية، عاملا في نفس الوقت على

إعلاء شأن العلم والحضارة ويضعهما في المقام الأول في منهج التناول. لذلك أظهر زيدان اهتماما بالإسرائيليات التي رفضها المؤرخون المسلمون، ورأي أنها إنما تكمل حلقة المصادر التي بين أيدينا. ولذلك يبدو لنا أن جرجي زيدان يخطئ في تقويمه لتاريخ الإسلام. ويرجع هذا – في رأينا– إلى عدم دقته التي تسود الكثير من كتاباته، ونرى أن لعدم اهتمامه بعنصر الدين تأثيره في هذا. ولقد بذل جرجي زيدان جهدا واضحا في محاولته نقل منهجه في التاريخ إلى الشعوب العربية، عن طريق إصدارات مجموعة الروايات التاريخية التي تناولت تاريخ الإسلام. وهذا ما نراه أيضا في كتابه تاريخ التمدن الإسلامي الذي لم يرجع فيه نجاح العرب في ميادين الثقافة والعلوم إلى التاريخ الديني بل إلى تاريخ التساند الاجتماعي الديني. وهو دائب البحث في تأثير الثقافة اليهودية والثقافة المسيحية، في أساس الإسلام.

دافع زيدان –كمسيحي– عن ضرورة أن يكون العلم عنصرا مؤثرا في فلسفة التاريخ وفي المجتمعات المدنية، وأعطى أهمية للتاريخ المشترك واللغة – وليس للدين– في إثبات هوية الشعور القومي بين العرب.

ويرى زيدان أن اللغة العربية هي السند الأعظم للشخصية العربية، وأن العرب قد أوصلوا لغتهم العربية إلى كل الأماكن التي فتحوها. ويقول جرجي زيدان بقومية عربية مركزها سوريا ومصر. ويقول أن ليس هناك حدود طبيعية بين مصر وسوريا، وهما مركز الحضارة وأن كلا منهما يكوّن مع الأخرى، منطقة واحدة منذ ما قبل الإسلام. ونظرة جرجي زيدان إلى القرآن أن أهميته بسبب دوره في حماية اللغة العربية. ولما كان هدف زيدان هو الوصول إلى الحضارة الغربية، فقد حرص على عدم إحداث ضرر بالشخصية العربية لأنها– في رأيه– المعبر إلى هذه الحضارة.

على ذلك أرسى جرجي زيدان أساس قومية عربية لا تعتمد على الدين، لكنه لم يستطع أن يحيل هذا إلى برنامج.

لقد أيد جرجي زيدان حركة المشروطية العثمانية، ودافع عن الاتحاد والترقي، وكان مؤيدا للحاكمية العثمانية، وازداد تأييده هذا بعد (انقلاب الاتحاد والترقي) عام ١٩٠٨م. جرجي زيدان كان قلقا من إمكان زيادة النفوذ الأوربي إذا انهارت الدولة العثمانية. لذلك كان يرى أن المشروطية التي أعلنها الجيش عام

١٩٠٨، يمكن أن تقف حائلا أمام آمال الغربيين السياسية. كما كان زيدان ضد طلب العرب للمزيد من الحقوق السياسية في الدولة العثمانية. ونفى جرجي زيدان عن العثمانيين تهمة التتريك وأيد أن العرب يحيون ثقافتهم- وهم في العهد العثماني - في حرية تامة(١٣).

جرجي زيدان في اللغات الشرقية:

اهتم الشرقيون بجرجي زيدان وعلى الأخص الأتراك والإيرانيون. لقد ظهرت ترجمة تاريخ التمدن الإسلامي باللغة التركية العثمانية بعنوان" مدنيت إسلاميه تاريخي" في استانبول. في خمسة أجزاء بين عامي ١٨٢٧- ١٣٣٠. قام بها زكي مغامز. كما تتضح صورة جرجي زيدان في اهتمام الأتراك المحدثين به، ذلك التقدير البيّن الذي ذكره الكاتب المؤرخ التركي المعلم جودت(١٤) وكذلك سليمان ضاغ في مقدمته لكتاب ISLAM TARIHI لمحمود أسعد الصادر في استانبول عام ١٩٨١م.

إلا أنه من الجدير بالاهتمام ذلك الاهتمام الواضح الذي قابل به الشرقيون روايات جرجي زيدان التاريخية: الإيرانيون والاتراك الآذريون، والأتراك من العثمانيين، والأتراك في تركيا الجمهورية. ومن الثبت التالي يتضح مدى هذا الاهتمام. والذي أورده محرم چلبي في مقاله جرجي زيدان بدائرة معارف الإسلامية -وقف الديانة التركية.

١- فتاة غسان : ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميراز بن مؤيد الدولة في جزئين بعنوان" خاتم شامي" ،طهران، ١٣٣٠.
٢- فتاة غسان، ترجمها إلى التركية الحديثة كل من أحمد بويوك جينار وكريم آي تكين، استانبول، عام ١٩٧٢ بعنوان GASSANLI HINT .
٣- أرامانوسه المصرية، ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميرزا، أيضا، بعنوان ارمانوس مصري، طهران، ١٣٢٢.
٤- ارمانوسة المصرية، ترجمها إلى الفارسية جعفر قازيان بعنوان ارمانوسة مصرية، طهران، بدون تاريخ.
٥-عذراء قريش، ترجمها إلىاللغة التركية الآذرية مير محمد كريم الحاج مير جعفر زاده، باكو، آذربيجان، ١٣٢٥/١٩٠٨.
٦-عذراء قريش، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران ، ١٣٣٧.

٧- ١٧ رمضان، ترجمها إلى اللغة التركية الآذرية مـــير محمـــد كريـــم، بـــاكو، آذربيجان، ١٣٢٨/١٩١٠.

٨- غادة كربلاء، ترجمها إلى الفارسية عبد الحسين ميرزا بعنوان عروس كربـــلاء، طهران، بدون تاريخ.

٩- الحجاج بن يوسف، ترجمت إلى الفارسية بنفس الاسم، طهران ، بدون تاريخ.

١٠- فتح الأندلس ، ترجمها إلى الفارسية إبراهيم نشأت بعنوان فتح أندلس، طـــهران ١٣٢٣.

١١- شارل وعبد الرحمن، ترجمها إلى الفارسية بنفس العنوان عبد الرحيم خلخـــالي، طهران، ١٣٣٣.

١٢- شارل وعبد الرحمن، ترجمها إلى الفارسية أيضا وبنفس العنوان محمد علـــى شيرازي، طهران ١٣٣٨.

١٣- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى اللغة التركية العثمانية زكي مغامز بعنـــوان أبو مسلم خراساني، استانبول ١٣٣ روميه.

١٤- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارســـية حبيـــب الله آموزكـــار، طـــهران ١٣١٨.

١٥- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية أيضاركن الدين همـــايون فـــروح، طهران١٣٢٣.

١٦- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية ميرزا بن مؤيد الدولـــة، طـــهران ١٣٣٣-١٣٣٤.

١٧- أبو مسلم الخراساني، ترجمها إلى الفارسية محمد علـــى شـــيرازي، طـــهران ١٣٣٩.

١٨- العباسة، ترجمها إلى التركية العثمانية حسن بدر الدين، استانبول ١٣٣٩ رومية ١٣٤٢هـ.

١٩- العباسة، ترجمها إلى الفارسية / ميرزا إبراهيم قمي، طهران، بدون تاريخ.

٢٠- العباسة، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٣٣٢.

٢١- العباسة، ترجمها إلى الفارسية، محمد تقي شريعتي مزيناني، مشهد ١٣٣٤.

٢٢- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسيه بنفس العنوان عبد الحميد اشناق خاوري، طهران ١٣١٠.

٢٣- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، بدون تاريخ.

٢٤- الأمين والمأمون، ترجمها إلى الفارسية على أصغر حكمت، طهران ، بدون تاريخ.

٢٥- عروس فرغانة، ترجمها إلى التركية العثمانية بعنوان" جهان خاتون فرغانه كوزلي، استانبول ١٩٢٧.

٢٦- عروس فرغانة، ترجمها إلى الفارسية أمير قولى أمينى، أصفهان ١٣٣٤.

٢٧- عروس فرغانة، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٩٥٤م.

٢٨- أحمد بن طولون، ترجمها إلى الفارسية مير سيد جعفر ، طهران، ١٣٢٨-١٣٣٩.

٢٩- أحمد بن طولون، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي، طهران، ١٣٤٤.

٣٠- عبد الرحمن الناصر، ترجمها إلى الفارسية أمير قولى أميني، أصفهان ١٣١١.

٣١- الانقلاب العثماني، ترجمها إلى التركية الآذرية، على عباس بعنوان عثمانلي انقلابي، باكو، ١٣٣٢.

٣٢- الانقلاب العثماني، ترجمها إلى الفارسية على أكبر قوم، استانبول ١٣٢٩.

٣٣- الانقلاب العثماني، ترجمها إلى الفارسية ، محمد على شيرازي، طهران، ١٣٣٦-١٣٤٣.

٣٤- صلاح الدين ومكائد الحشاشين،ترجمها إلى التركية العثمانية، زكي مغامز، بعنوان صلاح الدين أيوبي واسماعيليلر، استانبول ١٩٢٧.

٣٥- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى الفارسية محمد على شيرازي بعنوان صلاح الدين أيوبي واسماعيليان، طهران، ١٣٣٤.

٣٦- صلاح الدين ومكائد الحشاشين، ترجمها إلى الفارسية، مجتبي مينووي، بعنوان، صلاح الدين أيوبي واسماعيليان، طهران ١٣٠٤.

٣٧- شجرة الدر، ترجمها إلى الفارسية حبيب الله آموزكار بعنوان"مليكه اسلام"، طهران ١٢٩٨.

٣٨- أسير المهتدي، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

٣٩- جهاد المحبين، ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

٤٠- استبداد المماليك،ترجمت إلى الفارسية، طهران، بدون تاريخ.

جرجي زيدان وتاريخ مصر الحديث

حاول جرجي زيدان أن يجعل لنفسه منهجا تاريخيا يتفرد بـه بيـن كتـاب التاريخ في مصر في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد شرح هذا المنهج في مقدمة كتاب" تاريخ مصر الحديث" عام ١٣٠٦هـ-١٨٨٩م.

إن أسباب تأليف هذا التاريخ من وجهة نظر زيدان عديدة، ولعل أهمـها أن مصر من أقدم الممالك تمدنا وأكثرها حوادث وطوارئ ومحنا؛ فهي الأجدر بتدويـن تاريخها ليكون عبرة للذين يعتبرون، كما أن تاريخها بعد الفتح الإسلامي أكثر ارتباطا بحالتها الحاضرة من تاريخها قبله، مما يجعله أكثر فائدة وأحوج إلى التدوين(١٥).

ويقرر زيدان بلهجة الأسف أنه لم ير بين المؤرخين الذين كتبوا في تـاريخ مصر الحديث، من جاء على كتابة مستوفية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مـع علاقة كل بذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعـاصرة. ويشـرح طريقـة التأريخ لدى المؤرخين الآخرين قبله بقوله: " فبين مؤرخي المشرق ولاسيما العـرب من أسهب في الكلام عن بعض أقسام مصر واعتنى بتاريخها على انفراد. ومنهم مـن انفرد بتاريخ بعض دول مصر دون البعض الآخر. ومنهم من اقتصر علـى تراجـم بعض مشاهير حكام مصر أو علمائها أو أدبائها. ومنهم من وصف بعـض وقائعـها وحروبها بقطع النظر عن تعاقب السنين. ومنهم من نظر إلى تناسق الحـوادث مـع نسبتها لتعاقب السنين لكنه أوجز كثيرا فلم يأت بالفائدة المطلوبة. ومنهم من جاء على تاريخ مصر عرضا أثناء تكلمه عن تاريخ الدولة الإسلامية عموما. فكان قوله متفرقا متخللا فضلا عن كونه موجزا.."(١٦).

وكتابات الإفرنج عن مصر في رأي زيدان هي الأقرب إلى المقصود مـن قبيل تناسق الحوادث وتعاقبها بتعاقب السنين مع الإسهاب، غير أن الترجمـات مـن العربية إلى لغاتهم تفقد بلاغتها ورونقها العربي، فإذا أريد ترجمتها إلـى العربيـة لا يتفق أن تأتي على أصلها تماما.

ولهذا، يقرر زيدان أنه رأي أن يجمع في منهجه بين حسنات الطرفين : "فجمعت بينها ملتزما صحة النقل وانتقاء أصح الروايات وتطبيق كل ذلك على الأحكام التاريخية مع مراعاة الممكنات وإغفال ما هو مقول بغير قياس ومناقض لأحكام العقل بين مبالغات واختلافات وتقاليد"(١٧).

وطبقا لمقدمته، يذكر أنه لم يكتف في التاريخ بالسمع والقراءة والكتب والنقل عنها، ولكنه اتخذ منهج" المعاينة"، وبخاصة حين يتحدث عن الآثار المصرية والآثار العربية. كما أنه زود كتابه بالرسوم والخرائط وصور المسكوكات والجداول وفهرس أبجدي، وذلك لكي يربط التاريخ المصري القديم بالتاريخ الحديث، فجاء كتابه في مجلدين، كان نصيب " مصر العثمانية" فيه ٨٣ صفحة.

نحن إذن أمام كاتب يقدم لنا تفاصيل منهجه في كتابة التاريخ(١٨)، مقررا أنه عنى في ضبط هذا التاريخ وربط حوادثه جهد الطاقة مغفلا كثيرا من الروايات التي ترجح له فسادها بعد النظر والتروي متحاشيا الألفاظ المستهجنة والتعبيرات المعقدة. وفيما بعد يشرح منهجه في مقدمة كتاب" تاريخ التمدن الإسلامي"، فيذكر أنه ينظر في كل ذلك " نظر الناقد فلم نذكر حادثة إلا أسندناها إلى عللها وأسبابها وبينا ما نتج عنها وذكرنا علاقتها بما بعدها"(١٩).

ويبدو أن هذا الشرح النظري لمنهجه التاريخي، هو الذي جعل البعض يضعه كأول مؤرخ أدخل المنهج الغربي في كتابة التاريخ(٢٠).

وقبل الفحص النقدي لمنهج زيدان؛ وتطبيقه على " تاريخ مصر الحديث" ومخطوط " مصر العثمانية "، فإن الإشارة إلى مناهج كتابة التاريخ في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ذات أهمية كبيرة في تحديد مكانة جرجي زيدان التاريخية.

كان القرن التاسع عشر فترة تحول للتأريخ المصري، فقد كان الجبرتي (١٧٥٤-١٨٢٥م) يقف على مفرق الطرق؛ إذ كان متأثرا كل التأثر بالتأليف التاريخي والإسلامي، ومن جهة أخرى كان منفعلا بالأحداث الخطيرة التي شهدها أثناء الحملة الفرنسية، والتيارات الجديدة الجارية في عصره. وإذا كان الجبرتي قد اختار لتاريخه طريقة الحوليات- وهي التأريخ للسنين سنة بعد أخرى والترجمة للأعلام الذين توفوا فيها- فإن كتابه " عجائب الآثار في التراجم والأخبار" يعد أعظم

تواريخ مصر في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، فهو سجل حافل بألوان الحياة التي كان يحياها المجتمع المصرى في هذين القرنين[٢١]. وأهم من ذلك، فإن العقلية التحليلية الاستجوابية فيه قوية، لدرجة تجعله في مرتبة منفصلة عن الأعمال المبكرة[٢٢].

لقد شهدت مصر في عهد محمد على (١٨٠٥-١٨٤٨) حركة تعليمية على النمط الغربي، وأرسلت بعثات إلى أوربا لتلقي العلوم الحديثة، وبدأت حركة الترجمة من الغرب مع إنشاء مطبعة بولاق، وكان من بين ما ترجم عدد كبير من كتب التاريخ الأوربية. وكانت الشخصية الأكثر بروزا في تلك المرحلة - وحتى عصر إسماعيل- هو رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣م)، الذي أتيح له أن يحتك بالغرب عندما ذهب إماما مع البعثة التي أرسلها محمد على إلى فرنسا في سنة ١٨٢٦م، ليعود بعد ذلك ليتولى مهاما كبيرة في التعليم والإدارة والترجمة حتى عصر إسماعيل، وليكون كتابه" تخليص الإبريز في تلخيص باريز" هو الأشهر من بين كل كتبه ومترجماته؛ إذ أنه يضم ثروة في التفاصيل وعمقا في التعليق، فقد فحص رفاعة كل مظاهر الحياة الفرنسية: السياسة، وضع المرأة، عادات الأكل، الأثاث، العلوم..، وهو كالجبرتي لا يتردد في التعليق شخصيا على ما يصادفه. لم يكن رفاعة مؤرخا يطاول الجبرتي، ولكنه لم يكن يقل عنه في الملاحظة[٢٣].

ورفاعة هو أول مؤرخ مصري يكتب تاريخ مصر القديم في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره، فقد كانت لحركة الكشوف الأثرية أثرها في تأريخه، فعندما أراد أن يؤلف كتابا عن تاريخ مصر، لم يبدأ بالفتح العربي أو ظهور الإسلام أو ببدء الخليقة، كما كان يفعل سابقوه من المؤرخين بل بدأ بتاريخ مصر القديم، وخصص الجزء الأول لعصور الفراعنة والبطالمة والرومان والبيزنطيين، ووقف عند الفتح العربي، وسماه " أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل" عام ١٢٨٥هـ. ورغم ما في العنوان من سجع، فإن هذا الجزء كان بداية لمرحلة جديدة من مراحل فهم التاريخ المصري وكان رفاعة هو أول مؤرخ مصري يكتب تاريخ مصر القديم في ضوء ما وصلت إليه الكشوف الأثرية، وما كتبه المؤرخون الأوربيون في عصره. ويختلف رفاعة في فهمه للتاريخ المصري عمن سبقه من المؤرخين المصريين اختلافا واضحا؛ وذلك

لأن معظم هؤلاء المؤرخين كانوا يفهمون هذا التاريخ فهما مجزءا، فيكتبون عن تاريخ كل خليفة أو ملك على حدة ويؤرخون لكل سنة على حدة، لذلك آثروا طريقة الحوليات في الكتابة التاريخية، أما رفاعة فقد فهم التاريخ المصري فهما جديدا، ونظر إليه نظرة شاملة(٢٤).

وعلى هذا، فإن ما ذكره زيدان من أنه لم ير بين المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مصر الحديث من جاء على كتابة مستوفية تتعاقب فيها الحوادث بتعاقب السنين مع علاقة كل ذلك بعموم الدولة الإسلامية وسائر الدول المعاصرة، فيه الكثير من المبالغة؛ فقد تناول رفاعة في كتابه عصور الفراعنة والبطالمة والرومان ثم العصر البيزنطي، وختم هذا الجزء بالفتح العربي لمصر، وجعل الفصل الأخير خاصا بالكلام عن العرب قبل الإسلام وعاداتهم ولغتهم وأسواقهم وآدابهم. ويؤكد تلميذه "صالح مجدي" في ترجمته له أنه كتب قسما من تاريخ مصر في العصر الإسلامي وصل فيه إلى خلافة المطيع(٢٥).

الواقع إن القول بأولية جرجي زيدان في انتهاج المنهج الغربي يتداعي أمام ما انتهجه رفاعة في الكتابة التاريخية، فرفاعة ينقل عن المراجع القديمة والحديثة، العربية وغير العربية، ولا ينقل عنها دون فهم، بل يخضعها للفحص والنقد، ويقارن ما ينقله عن المراجع الأوربية بأقوال العرب أو اليونان القدامي، فإذا اتفقت على شئ أخذ به، وإذا اختلفت أخذ بالجديد الذي تؤيده الكشوف الأثرية والكتب التاريخية الحديثة. وكان حريصا الحرص كله أن يستبعد دائما ما شاب التاريخ المصري القديم من شوائب الأباطيل والخرافات، مما تمتلئ به كتابات المؤرخين القدماء. وقد شرح رفاعة منهجه هذا في مقدمته، فقال إنه تجنب:

" الأقوال غير الموضوعية مما يظهر بعرضه على ميزان العقل أنه من الخرافات، أو مما تولع به الإخباريون والقصاص من اختراع الأباطيل والخزعبلات، أو مما توهمه أرباب الأوهام الفاسدة من العجائب التخيلية التي بدون فائدة، إذ كثير من كتب السير مشحون بخوارق العادات... فلهذا اكتفيت بذكر جوامع الكلم في هذا التاريخ النافع وبيان ما اشتمل عليه فيما يخص أزمان مصر، مما يتعلق بالمدنية والعسكرية من الوقائع،مع الإعراب عن صيغ المباني والعوامل، ورفع أعلام الفتوحات إلى فواعلها، ونصب معالم الهياكل والإفصاح عما سلف من إبداع الفنون

والصنائع، واختراع وسائل عموم المنافع ووسايط المصانع، مع ما يضاف إلى ذلك من ملاحظات اقتضاها الحال، أو من إيقاظات تربط ما تأخر بما سبق وارتضاها المقال، حيث أوجبها الكلام لدفع المنافاة بين العبارات السابقة واللاحقة أو للجمع بين الأقوال المختلفة لتصحيح التوفيق بينها والمصادقة، فجاء هذا التاريخ بالنسبة لما سواه بشفاء الغليل، لما احتوى عليه من اقتران المدلول بالدليل"[٢٦].

وحتى يمكن الحكم على المنهج الذي شرحه، أو التزمه زيدان في كتابته التاريخية، فإننا سنعرض الوقائع والأحكام كما وردت في تاريخه على ميزان الدقة والضبط. ولعل أول ما يهمنا في ذلك مصادره وطريقته في الاقتباس منها.

لم يذكر المؤلف من المصادر التي استقى منها مادة مخطوطه مصر العثمانية، سوى مصدرين، وردا في ثنايا المتن، وهما: ابن إياس وابن أبي السرور البكري. وقد جاء ذكر ابن إياس مرة واحدة، وذلك عندما نقل عنه الفقرات التي أوضح فيها" كيف كانت مصر لما جاءها السلطان سليم". أما غير ذلك من الاقتباسات من ابن إياس– وهي كثيرة– فلم يذكرها صراحة[٢٧].

أما ابن أبي السرور البكري، فيرد ذكره في موضعين في المتن يذكرهما زيدان بقوله: " قال ابن أبي السرور راوي هذه الحكاية ..." و وقد "روي ابن أبي السرور وهو من المعاصرين..." . أما المصدر الأجنبي الوحيد الذي أورد ذكره، فهو رحلة " فولني" إلى مصر أواخر القرن الثامن عشر.

وبالرجوع إلى " تاريخ مصر الحديث" أورد المؤلف قائمة مصادر تقرب من الأربعين مؤلفا، كان منها: " خطط" المقريزي و" ديوان العبر" لابن خلدون، و" أخبار الأول" للإسحاقي، و" النجوم الزاهرة" لابن تغري بردي، و" فتوح مصر" لابن عبد الحكم، و" عجائب الآثار" للجبرتي، و" ذخيرة الأعلام" للغمري، و" خطط مصر" لعلي مبارك، و" مصر للمصريين لسليم خليل النقاش. أما المراجع الأجنبية، فمنها " تاريخ مصر الحديث" بالفرنسية لمارسيل، و" تاريخ المماليك إلى وفاة محمد علي" بالإنجليزية لباتون، ودائرة المعارف البريطانية، وغيرها من القواميس الشهيرة[٢٨].

لم يهتم زيدان بالإسناد في تأريخه[٢٩]، المطبوع تاريخ مصر الحديث والمخطوط مصر العثمانية، فلم يسند كثير من الوقائع والتواريخ إلى المصادر التي اعتمد عليها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

لم يذكر مصدره في أن للأتراك جدا يسمى "ترك" ، ومصدره في ذكر سنة ولادة السلطان سليم الأول سنة ٨٥٩هـ، ومصدره في صفات اسكندر باشا الشركسي الذي خلف سنان باشا أثناء حملته على اليمن سنة ٩٧٦هـ(١٥٦٩م)، ومصدره في عدد اللصوص (عشرة آلاف) الذين قتلوا في ولاية حسين باشا.

استقى زيدان أغلب تاريخ الفترة العثمانية من " ابن إياس" وابن أبي السرور البكري" و" الجبرتي" ، وقد استخدم أسلوبهم تلخيصا وتحويرا بشكل يدعو إلى الدهشة[٣٠]، ويتناقض مع أحكامه في اللغة في العصر العثماني، وبشكل يوحي للقارئ أن الأسلوب من إنشائه. ويمكن ملاحظة ذلك من مقارنة نص لابن إياس والجبرتي، بما كتبه المؤلف بأسلوبه.

- يصف " ابن إياس" دخول السلطان سليم القاهرة، فيقول: " وفي يوم الاثنين، ثالث المحرم أوكب السلطان سليم ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وشق المدينة في موكب حافل وقدامه جنايب كثيرة وعساكر عظيمة ما بين مشاة وركاب حتى ضاقت بهم الشوارع، واستمر شاقا من المدينة حتى دخل باب زويلة، ثم عرج من تحت الربع وتوجه من هناك إلى بولاق ونزل بالوطاق الذي نصبه تحت الرصيف، فلما شق من المدينة ارتفعت له الأصوات بالدعاء من الناس قاطبة وقيل إن صفته ذري اللهو، حليق الذقن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، في ظهره حنيه، وعلى رأسه عمامة صغيرة، ويلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة ورهج، كثير التلفت إذا ركب الفرس..."[٣١].

أما زيدان ، فيصف هذا الحدث في مخطوطه بقوله:

- وفي يوم الاثنين، ثالث المحرم سنة ٩٢٣هـ دخل السلطان سليم القاهرة وبين يديه الخليفة المتوكل، والقضاة، وشق المدينة المتزاحمة بين مشاة وفرسان، حتى ضاقت بهم الشوارع. ومازال سائرا في المدينة حتى دخل من باب زويلة. ثم عرج من تحت الربع، وتوجه من هناك إلى بولاق، ونزل في المعسكر الذي نصبه تحت الرصيف. فلما شق المدينة ارتفعت الأصوات بالدعاء في الناس قاطبة، وقد وصفه أحد المعاصرين الذين شاهدوه في ذلك اليوم[٣٢]، فقال: أنه دري اللون حليق الذقن وافر الأنف، واسع العينين قصير القامة، وعلى رأسه عمامة صغيرة، وفيه خفة وهرج، كثير التلفت إذا ركب[٣٣].

- **ولقد أورد الجبرتي ترجمة لعلي بك الكبير وصف فيها مناقبه فقال"كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس ماتوا فرقا من هيبته وكثيرا من كان يأخذه الرعدة بمجرد المثول بين يديه، فيقول له هون عليك، ويلاطفه حتى ترجع له نفسه، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده وكان صحيح الفراسة شديد الحذق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرؤها بنفسه كالماء الجاري ولو كان خطها سقيما، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها..."[٣٤].**

وجاء وصف زيدان لهذه المناقب على النحو التالي:

ومن مناقب على بك أنه كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس أنهم ماتوا خوفا من هيبته، وكانت تأخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثول بين يديه، فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول هو عليك، وكان صحيح الفراسة، شديد الحذق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهيم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق، بل يقرؤها هو بنفسه ولا يختم ورقة حتى يقرأ ويفهم فحواها[٣٥].

وفيما يتعلق بدقة الضبط والتفسير في كتابة زيدان التاريخية، فإنه من السهل ملاحظة مزجه القصص القديم والأساطير بالتاريخ،ومثال ذلك: رواية زيدان لقصة حب عثمان مؤسس الدولة العثمانية لابنة الشيخ " أدبالي" التي تدعي " مال خاتون"، والحلم الذي رآه وفسر على أنه بشرى بفتح القسطنطينية. فهذه الرواية مستقاة من الحوليات العثمانية القديمة، ولكن زيدان جعل ذلك الحلم أساس تطلع خلفاء عثمان لفتح القسطنطينية، متجاهلا البشارة النبوية بفتحها.

وغرام زيدان بالقصص والحكايات ينعكس على تأريخه، ومن ذلك استطراده في ذكر القصص والحكايات في مشيخة إسماعيل بك بن قاسم عيواظ (١١٢٣-١١٣٦هـ)، ومشيخة عثمان بك (١١٤٣-١١٥٦هـ).

وعدم تحري الدقة والضبط في الحقائق التاريخية لدى زيدان، تتضح في كثير من الوقائع في تاريخه المطبوع تاريخ مصر الحديث والمخطوط مصر العثمانية، ولهذا فسوف نكتفي بهذه الأمثلة:

- **ذكر أن الوالى سليمان باشا الخادم تسلم سنة ١٥٣٥م قيادة حملة أعدت لمحاربة الفرس والهند، ولم تكن الحملة إلا لليمن ومحاربة البرتغاليين[٣٦].**

- وفي ولاية محمد باشا الصوفي، ذكر أن الصدر الأعظم أرسل سنة ١٠٢٢هـ ١٦٢٣م) حملة من عشرة آلاف جندي إلى اليمن عن طريق مصر، وذلك لإخماد ثورة شعبية فيها، وأمر الباشا بدفع النقود اللازمة لها.

ومراجعة المصادر التاريخية تظهر بوضوح أنها لم تكن حملة عسكرية، وإنما كانوا مائة من جند الحرس السلطاني مع أتباعهم، وقع منهم طغيان فاحش وفساد كبير، فجهزهم الصدر الأعظم إلى مصر، ثم أرسل خطا شريفا بنفيهم إلى اليمن، فثار الجند عندما علموا بذلك وأظهروا العصيان في مصر، ولكنهم أجبروا على الرحيل(٣٧).

- وفي عرضه للصراع بين حزب القاسمية والفقارية، نسب المماليك القاسمية إلى "قاسم عيواظ الدفتردار"، والمماليك الفقارية إلى " ذي الفقاربك الكبير" سنة ١٠٥٠هـ. ولقد خلط المؤلف بين اسم " قاسم بك الدفتر دار" واسم " قاسم بك عيواظ"، فالأول ذكره الجبرتي سنة ١٠٥٠هـ، أما " قاسم عيواظ" فهو الذي قتل إبان ثورة إفرنج أحمد سنة ١٧١١م؛ وكان أميرا للحج (٣٨).
- وفي سرده لتفاصيل مقتل إسماعيل بك بن يواظ" شيخ البلد" في الديوان سنة ١١٣٦هـ (١٧٢٣م)، ذكر أن كل من كان في الديوان من رجال إسماعيل بك قد قتل.ولو تأملنا رواية أحمد شلبي عبد الغني- وكان شاهدا عيانا- نجد أن الذي قتل فقط هو " إسماعيل بك جرجا"، لأنه حاول اللحاق بالقاتل(٣٩).

وسوف يطول بنا المقام لو عرضنا لكثير من الأمثلة التي تظهر بوضوح عدم الدقة والضبط في كتابة زيدان التاريخية (٤٠)، ولهذا فإننا نشير إلى رأي أحد كتاب الغرب في منهجه، حيث يذكر أنه لم يكن عميق التفكير أو ناقدا، وقد لاحظ أن المرة الوحيدة التي مارس فيها زيدان التحليل التاريخي، كانت تلك التي أكد فيها أن محمد على قد اندفع إلى الحرب برغبة في مد ملكه وتأسيس دولة مستقلة(٤١).

ومن المرات التي مارس فيها زيدان التحليل التاريخي في مخطوطه هذا مصر العثمانية، تلك التي ذكر فيها أن العصر العثماني في مصر هو أحط عصور التمدن الإسلامي، وسنده في ذلك أن الآداب العربية على الإجمال قل فيها المستنبط، وأن الإنشاء صار أقرب إلى لغة العامة، وندر نبوغ العلماء المفكرين(٤٢).

ولدى زيدان استعداد يبرز في تفسيره التاريخ المصري على أساس قومي، ومثال ذلك قوله عن المماليك: " ليس لأحد منهم عائلة أو أسرة يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا"، مع أن دور المماليك في الدفاع عن مصر في مواقع كثيرة معروف في التاريخ. وكذلك في دفاعه عن علي بك الكبير ووصفه محمد بك أبو الذهب بلقب الخائن.

وإذا كان التنظيم " الحولي" للمخطوط بارزا بشكل كبير[٤٣]، فإن إضافة الكاتب بعض الفصول إلى تاريخ مصر العثمانية، قد أعطت للمخطوط بعدا موسعا، ولم تجعله يقتصر على التاريخ السياسي، فاشتمل على التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والحضاري، فتحدث عن العلوم الإسلامية في مصر العثمانية وعن الشعراء والأدباء والحياة الاجتماعية والاقتصادية والمسكوكات؛ وهي نقاط خفيت عن الباحثين أولم يهتموا بها في ذلك الوقت.

ورغم أن زيدان امتاز في تقسيمه لتاريخ مصر العثمانية وربط بين التاريخ العثماني حسب سلاطينه، ثم العهد العثماني المصري حسب ولاته، فإنه تطرق إلى أمور كانت استطرادا، مثل حديثه عن نظام الخلافة والسلطنة في الإسلام، وقتل الإخوة في الدولة العثمانية، ونظام الانكشارية.

وإذا كان" تاريخ مصر الحديث" في رأي " جونيور" كان مناسبا للاستعمال في نظام المدارس المصرية[٤٤]، وأنه يمتاز بتخطيط جذاب[٤٥]، فإن مخطوط" مصر العثمانية" كان سيتاح له الفرصة للتدريس في الجامعة المصرية، عندما اختير مؤلفه أستاذا لمادة تاريخ الأمم الإسلامية سنة ١٩١١م، لولا المعارضة الإسلامية القوية[٤٦]، التي نجحت في أبعاده، وتعيين الشيخ محمد الخضري بدلا منه[٤٧].

وإذا كان " تاريخ مصر الحديث" قليل الأهمية في مادته وتوثيقه، ولا يعول عليه في البحث التاريخي[٤٨]، فإن الأهمية التاريخية لمخطوط" مصر العثمانية" تنحصر في كونه مكتوبا بخط المؤلف وأعد ليلقي كمحاضرات في الجامعة المصرية، فلقى تعيين المؤلف معارضة شديدة، وكان السبب عقائديا.

والكتاب المخطوط الوحيد لجرجي زيدان الذي لم ينشر حتى الآن، هو الذي بين أيدينا الآن وهو " تاريخ مصر العثمانية"، والذي قمنا بنشره وتحقيقه وتقديمه للقراء.

وهو يشمل تاريخ مصر العثمانية إلى الحملة الفرنسية، أعده جرجي زيدان ليكون محاضرات تلقى في الجامعة المصرية.

ولا يوجد من هذا المخطوط إلا النسخة الوحيدة بخط جرجي زيدان نفسه وصورتها الفوتوغرافية مودعة في مكتبة جامعة القاهرة.(٤٩)

كتاب تاريخ مصر العثمانية

وقد ألفه جرجي زيدان عام ١٩١١م" لدروس التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية" وبتعبيره هو في صفحة غلاف المخطوط، وهذا هو هدفه المعلن، لتأليفه هذا الكتاب وقد قسمه كالآتي:

مقدمات تمهيدية، كتبها على فصول ذكر فيها مكانة التاريخ الإسلامي بالنظر إلى سائر التواريخ وحلل فيها معنى لفظ تاريخ ثم أقسام التاريخ العام فأقسام التاريخ الإسلامي ومزايا هذا التاريخ، وكعادته من الاهتمام بالجانب الحضاري تحدث عن تحضر الأتراك فالمغول فالبربر فالزنوج، فتاريخ مصر بالنظر إلى سواه وأقسامه.

موضوع هذا الكتاب، وما كانت عليه مصر عند الفتح العثماني، وبالتالي كان لابد أ، يذكر أصل السلاطين المماليك ودولة المماليك الأولى أو الأتراك البحرية، واختص الملك الظاهر بيبرس بدراسة ثم دولة المماليك الثانية (الجراكسة).

وذكر العلاقات العثمانية المصرية أو-بمعنى أصح العثمانية المملوكية، وأفسح مجالات في هذه المقدمات التمهيدية لأصل ونشأة الدولة العثمانية باعتبار أن موضوع الكتاب تاريخ مصر في ارتباطها بهذه الدولة ثم ذكر الانكشارية أصلا وتاريخا لارتباط وضع تاريخ مصر العثمانية في بعض جوانبه بهم، ثم درس سليم الأول باعتباره السلطان العثماني الذي فتح مصر وفي أثناء دراسته لهذا كان لابد أن يقوم أيضا بدراسة عن سلطنة الأشرف طومان باي آخر السلاطين المماليك.

بعد ذلك تنبه جرجي زيدان إلى تاريخ مصر العثمانية فقسمه تقسيما خاصا، وكان على أدوار أربعة وكل دور له جانبان السياسي والحضاري.

يمتاز جرجي زيدان في تقسيمه لتاريخ مصر العثمانية، أيضا في ربطه بين استانبول والقاهرة يعني العهد العثماني العام حسب سلاطينه ثم العهد العثماني في مصر، وهو خاص، حسب ولاته.

وتطرق جرجي زيدان إلى أمور رآها ضرورية ورأيناها استطرادا مثل حديثه عن نظام الخلافة والسلطنة في الإسلام وقتل الإخوة في الدولة العثمانية، مما يسر له التعبير عن كثير من أفكاره في تاريخ مصر.

على كل حال قسم جرجي زيدان أدوار تاريخ مصر العثمانية كالآتي:

الدور الأول من سلطنة السلطان سليم الأول وأنهاه بحكم السلطان مصطفى ابن محمد. وبالتالي أحوال مصر في هذا العهد من خلال الولاة العثمانيين فيها. واهتم في ذلك بدراسة المسكوكات والأوضاع الاجتماعية والصحية والاقتصادية وعرج إلى العلم والأدب في عصر الدور الأول من الحكم العثماني في مصر ذاكرا المؤرخين والشعراء والأدباء والمحدثين والفقهاء وعلماء المذاهب الأربعة والمتصوفة وسائر العلماء بمؤلفاتهم.

والدور الثاني من العصر العثماني وهو " انتقال النفوذ في مصر إلى المماليك" بدأه بسلطنة السلطان العثماني أحمد بن محمد ومنتهيا بسلطنة السلطان مصطفى بن محمد، ذاكرا في هذا، العلاقة بين قاسم بك وذو الفقار بك في مصر ثم مشيخة إسماعيل بك وذو الفقار بك وعثمان بك وإبراهيم الكخيا ورضوان بك وعلي بك الكبير.

والدور الثالث من العصر العثماني في مصر، ركز جرجي زيدان الحديث فيه على: علي بك الكبير وتطور تاريخه في مصر وعلاقته بالروس وبظاهر العمر وبمحمد بك أبي الذهب.

والدور الرابع من العصر العثماني في مصر بدأه المؤلف بسلطنة السلطان العثماني عبد الحميد الأول في استانبول ومشيخة إسماعيل بك وإبراهيم بك ومراد بك في مصر مع الحملة العثمانية التي جاءت بقيادة القبطان حسن باشا لحرب المماليك.

وانتهي هذا الدور سياسيا بسلطنة السلطان سليم الثالث وأجل جرجي زيدان الحديث عن المظاهر الحضارية من علم وأدب واجتماع واقتصاد ومالية وتعليم إلى آخر كتابه ضاما هذه الظواهر الحضارية في الأدوار الثلاثة، معا.

الحدود الزمنية للكتاب

ذكر جرجي زيدان في بداية مخطوطه، عنوان هذه المخطوطة على عنوانين: الأول هو مصر العثمانية والآخر تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية، ومن المفيد هنا ذكر عنوان المخطوط بالكامل: مصر العثمانية أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ أو ١٥١٧م إلى الحملة الفرنساوية ١٢١٣هـ أو ١٧٩٨م.

وهذه هي الحدود الزمنية للكتاب، ولا يخفي أن التاريخ العثماني في مصر قد امتد رسميا أكثر من هذا، امتد حتى عام ١٩١٤ وهو تاريخ إعلان الحماية البريطانية على مصر وابتعادها رسميا عن النفوذ العثماني.

بعض نقد الكتاب

أولا: الإيجابيات:

سد جرجي زيدان فجوة في كتابته لتاريخ مصر، بخطه هذا الكتاب. فقد تناول التاريخ تناولا شاملا يدخل في أدبيات التاريخ. إنه الدراسة الواسعة لمفهوم كلمة التاريخ، فلم يقتصر على التاريخ السياسي كدأب بعض كتاب عصره وإنما اشتملت دراسته على التاريخ السياسي والتاريخ الاجتماعي والتاريخ الاقتصادي والتاريخ المالي والتاريخ الحضاري. إن هذه الميزة لجرجي زيدان لا نمتدحها فيه اليوم فقط فقد سبقنا إلى ذلك الكتاب التركي الذائع الصيت المعلم جودت في كتابه ذيل على ابن بطوطة. وكذلك سليمان أولوضاغ في مقدمته لكتاب تاريخ الإسلام لمحمود أسعد استانبول ١٩٨١م.[٥٠]

لقد سد زيدان فراغا في الكتابة التاريخية عن مصر عامة وعن العهد العثماني خاصة، لقد كتب هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن عام ١٩١١م.

وهو رغم قدمه نسبيا وهو ما يدخل في مسمى التراث المعاصر. يتميز بشمولية واضحة ويتفوق على الكتب المؤلفة أو المحققة حديثا عن مصر العثمانية في ذلك، فهو يتحدث عن العلوم الإسلامية في مصر العثمانية وعن للشعراء والأدباء

وعن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وما إلى ذلك وهو نقاط خفيت عن الباحثين المحدثين أو لم يهتموا بها.

ثانيا- السلبيات:

جرجي زيدان جامع معلومات، وصاحب منهج حضاري لكتابة التاريخ، إلا أنه أحيانا لا يدقق في محاكمة الواقع، مثال ذلك عندما يتحدث عن حسين باشا يقول إنه كان يطوف القاهرة ويقتل رجلا أو اثنين يوميا.

كما أن لدى جرجي زيدان استعدادا يبرز دائما في تفسيره التاريخ المصري على أساس قومي مثل قوله عن المماليك: " ليس لأحد منهم عائلة أو أسرة يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا. مع أن دور المماليك في الدفاع عن مصر في مواقع كثيرة ماثلة أمام العيان.

ويمزج زيدان في الكتابة التاريخية، القصص القديم والأساطير بالتاريخ مثال ذلك: حديث زيدان عن قصة حب عثمان مؤسس الدولة العثمانية لابنة الشيخ"أدبالي"!!

وهناك بعض الأخطاء النحوية في المخطوطة، وإن كانت هذه لا تدخل في نطاق ما نحن بصدده الآن.

وهناك أيضا بعض التحريفات لبعض الأسماء العثمانية أمثلة على ذلك:

با يازيد- قنسو- كافا....وغيرها وصحتها بيازيد - قانصو- كفه.

وغنى عن البيان هنا أنه استفاد بعض الشئ من كتابه " تاريخ مصر الحديث" عندما أخذ يخط كتابه الذي نقدمه اليوم، ويمكن حصر استفادته في مخطوطه هذا ، من كتابه تاريخ مصر الحديث في مسألة امتيازات السلطان للمماليك، وحادثة قتل والي مصر وتعليق رأسه على باب زويلة عام ٩٣١هـ، وتولية اسكندر باشا ٩٦٨هـ ووفاة الأمير إبراهيم الدفتردار عام ٩٧٤هـ. وقائمة المماليك الثمانية عشر في عهد على بك، وهذا لا ينقد في جرجي زيدان على اعتبار أن سمة التأليف لم تكن تمنع من هذا ومازالت ولم تمنع تفرد مخطوطه هذا في مضمار تاريخ مصر الحضاري في العهد العثماني.

وسنورد هنا مشكلة أساس تأليف كتاب مصر العثمانية، بإيراد رؤية جرجي زيدان فيها.

نص مقال جرجي زيدان

(نحن والجامعة المصرية والتاريخ الإسلامي)

أفاضت الجرائد في ذكر الجامعة المصرية وصاحب الهلال على أثر عدولها عن تعيينه أستاذا للتاريخ الإسلامي فيها. واختلفت الأقوال والآراء في هذا الشأن فرأينا أن نقول كلمة تقريرا للحقيقة ودفعا للالتباس وإجابة على الأسئلة التي أتتنا بهذا الشأن.

لا خلاف في أننا أول من دعا إلى إنشاء الجامعة المصرية بمقالات نشرناها في أماكن كثيرة من الهلال منذ بضع عشرة سنة. فنحن أكثر غيرة عليها وأشدهم رغبة في نجاحها. فلما أنشئت فرحنا بذلك ونظرنا في أمرها بعين الاهتمام ورأينا في بروغرامها نقصا فانتقدنا خطة التدريس وقلة العلوم المقررة فيه فاهتم مجلس إدارتها بملاحظاتنا وقرر إضافة كثير من العلوم التي ذكرنا حاجة البلاد إليها وأرسل نخبة من الشبان الأذكياء لتلقي تلك العلوم في أوربا ليعودوا ويعلموها هنا. فسرنا أن يكون ولاة أمر هذا المعهد العلمي منزهين عن كل عرقية غير خدمة الأمة المصرية.

ونحن في ذلك فاجأتنا الجامعة بكتاب مؤرخ في ١٦يونيوسنة١٩١٠م تطلب إلينا فيه تدريس تاريخ الأمم الإسلامية فيها هذا نصه:

من الجامعة المصرية في ١٦يونيو سنة ١٩١٠ نمرة ٣٠٢

" حضرة المحترم جرجي أفندي زيدان

" أتشرف بإحاطة حضرتكم علما أن مجلس إدارة الجامعة المصرية قرر إنشاء كلية آداب تبتدئ الدراسة بها في العام القادم وأن يكون من جملة العلوم التي تدرس فيها تاريخ الأمم الإسلامية وخصوصا مصر الإسلامية. وقرر منح الأستاذ الذي يسند إليه تدريس هذا العلم راتبا قدره ٢٠٠جنيه مصري على أن يلقي فيه أربعين درسا على الأقل في مدة السنة الدراسية التي تبتدئ في شهر نوفمبر وتنتهي في ١٥مايو.

" وحيث إننا نرى أن حضرتكم خير كفء لتدريس هذه المادة لما نعهد فيكم من سعة الاطلاع والدراية التامة نود لو كنتم تقبلون القيام بهذه المأمورية لما فيها من المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة أبناء هذا الوطن. فأرجوكم إفادتنا عما إذا كنتم تقبلونها بالشروط المذكورة وتفضلوا بقبول فائق احترامنا.

رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

إبراهيم نجيب محافظ مصر

وصلنا هذا الكتاب ونحن غارقون في أشغالنا وهي على معظمها في ذلك الشهر(يونيو) والذي يليه لأننا ننشغل فيهما بإصدار ملحق الهلال كل سنة. وكنا أكثر شغلا في هذه السنة عما في سواها لأن موضوع الملحق الذي علينا إصداره (تاريخ آداب اللغة العربية) من المواضيع التي تفتقر إلى بحث وتنقيب. فلما جاءنا كتاب الجامعة وقعنا في حيرة وكان أول خاطر بدا لنا، أن نعتذر بكثرة أشغالنا. لكننا أعدنا النظر في ذلك الذي وقفنا له حياتنا وقوانا. فترددنا لحظة خطر لنا في أثنائها ما قد يعتور يقيننا من القيل والقال لاختيارنا لهذا المنصب مع وجود من يقوم به من المسلمين وإن دلنا التاريخ على خلاف ذلك. فإن الخلفاء في صدر الدولة العباسية لم يستنكفوا من أن يستخدموا في نقل العلم تراجمة من غير المسلمين وفيهم النصراني واليهودي والسامري والمجوسي والصابئ. وكذلك كان يفعل المسيحيون حتى في علوم الدين نفسه. فإن أبا الفتح كمال الدين موسى ابن أبي الفضل الفقيه الشافعي أحد أعلام المسلمين في القرن السادس للهجرة كان متضلعا بالعلوم الدينية المسيحية واليهودية. وكان أهل الذمة من المسيحيين واليهود يقرأون عليه التوراة والإنجيل ولا يرون في ذلك غرابة . وقد شرح لهما ذينك الكتابين شرحا اعترفوا أنهم لم يجدوا من أوضحهما مثله.

لكننا علمنا من قرائن كثيرة أن حالنا غير حالهم. فرأينا أن نعرض هذه الملاحظة على ولاة أمر الجامعة فيكون لنا بذلك عذر على الاقتناع فنتفرغ لعملنا. وقد فعلنا فأجابونا أنهم لا يرون بأسا في أن يكون أستاذ هذا التاريخ مسيحيا ولا يظنون ذلك يسوء أحدا لأن المطلوب تعليم تاريخ الأمم الإسلامية لا الدين الإسلامي وصاحب الهلال معروف باعتداله وإنصافه ولا حاجة طبعا إلى الخوض في المسائل الدينية.

فلم يعد يمكننا الامتناع ولو امتنعنا لحسب ذلك علينا - لأننا نزعم أننا نخدم الوطن واللغة وننتقد الجامعة ونطلب زيادة دروسها ثم يطلب منا أن نخدمها بدرس هو من خصائصنا ونأبي! فقبلنا على أن نتحاشى الخوض في غير التاريخ السياسي، وكتبنا إلى مجلس إدارة الجامعة ما يأتي:

" من إدارة الهلال في ١٨ يونيو سنة ١٩١٠

" سيدي المفضال سعادة إبراهيم باشا نجيب رئيس الجامعة المصرية بالنيابة

" تشرفت بكتاب سعادتكم المؤرخ في ١٦ يونيو الجاري الذي تخبرونني فيه أن مجلس إدارة الجامعة قد اختار هذا العاجز لتدريس تاريخ الأمم الإسلامية وخصوصا مصر الإسلامية في كلية الآداب التي أنشأتموها في الجامعة المذكورة وسألتموني إذا كنت أقبل القيام بهذه المهمة على الشروط المذكورة في الكتاب المشار إليه. فأثنى على فضلكم لأنكم ظننتم بي الكفاءة للقيام بهذا العمل الجليل. وبما أن القبول يعد من قبيل المنفعة العامة لخدمة العلم وفائدة أبناء الوطن كما ذكرتم فإني أقبل اقتراح سعادتكم بكل سرور على الشروط المشار إليها وسأبذل ما في الوسع لأحقق ظنكم في. واقبلوا فائق الاحترام،

جرجي زيدان

وحالما دفعنا هذا الجواب إلى الجامعة شعرنا بوطأة هذا العمل الشاق. لكننا على عادتنا في كل عمل نأخذ به، وجهنا اهتمامنا إلى هذا الدرس. فأخذنا في إعداد الخرائط اللازمة له على أن نرسمها نحن. فساعد ذلك على تأجيل صدور ملحق الهلال إلى هذا الشتاء. وهي أول مرة أخرناه فيها منذ أنشأنا الهلال ولكننا اغتفرنا ذلك في سبيل مصلحة الجامعة المصرية.

فأخذنا في عمل الخرائط وهي خمس كبيرة تعلق بالحائط: الأولى خريطة جزيرة العرب قبل الإسلام. والثانية خريطة الحجاز وتهامة في أثناء الغزوات. والثالثة خريطة صـ ١٧٩ العراق والأهواز وضواحي بغداد وسامرا في أوائل الدولة العباسية. والرابعة خريطة المملكة الإسلامية في القرن الثالث للهجرة. والخامسة خريطة مكة المشرفة وما يحيط بها.

اشتغلنا في إعداد هذه الخرائط في الصيف الماضي على يد مصلحة المساحة بالقاهرة ولم تفرغ منها إلا في منتصف نوفمبر. وهي الآن في إدارة الجامعة. ولما رجعنا من لبنان في سبتمبر الماضي جاءنا كتاب من الجامعة طلب إلينا فيه وضع بروغرام للدروس. فوضعناه مفصلا في عدة صفحات وأخذنا في تحضير المواد اللازمة لها. فاضطررنا إلى تأجيل ملحق الهلال للمرة الثانية لأننا لم نكن قد ذكرنا

خبر تعييننا في الجامعة تحاشيا من تقريظ نفسنا ولأن هذا السبب لا يهم القراء. وإنما ذكرناه الآن لتقرير الحقيقة كما تقدم.

وتناقلت الصحف العربية خبر تعييننا لهذا المنصب فاتخذه الناس دليلا حسنا على التساهل الديني. ثم نشرت الجامعة بروغرام التدريس في الصحف وأخذنا نحن في كتابة المحاضرات. وترى خلاصة المحاضرة الأولى منشورة في هذا الهلال.

ونحن في ذلك قرأنا في المؤيد أن مجلس إدارة الجامعة تناقش في هل يجوز أن يتولى تدريس التاريخ الإسلامي أستاذ مسيحي وأن الأكثرية قررت أنه لا يليق أن يتولى تدريسه إلا أستاذ مسلم يبدل من صاحب الهلال فاستغربنا الخبر لأنه لم يصلنا من مصدره.

وفي اليوم التالي جاءنا وفد من مجلس إدارة الجامعة بسط لنا الحقيقة وهي ما قرأناه وأن الجامعة عمدت إلى تعديل قرارها الأول مراعاة لعواطف الأمة. فلم نجد في ذلك غرابة لأننا نبهنا إليه منذ خمسة أشهر. ولكننا تأسفنا لشيوع ذلك الخبر على صفحات الجرائد قبل مخابرتنا فأدى إلى انتقاد أفاضل يبذلون أقصى جهدهم في خدمة هذه الأمة. ولو شعرنا بأقل خلاف جرى في الجامعة بشأن تعييننا لكفيناها مؤونة المناقشة على أهون سبيل وخففنا عنا عناء اللوم. وفي كل حال فإننا تلقينا عذرها بالقبول ووافقناها تعيين من تشاء. ورجعنا إلى عملنا، وضميرنا في راحة وطمأنينة. ونشعر أننا قمنا بما علينا، وندعو للجامعة المصرية بالنجاح والسداد، لأن بنجاحها سعادة الأمة المصرية وحياة اللغة العربية.

هذا ويعجز القلم عن أداء واجب الشكر لزملائنا أصحاب الصحف العربية والأمريكية وغيرهم من أرباب الأقلام الذين خاضوا عباب هذه المسألة على اختلاف آرائهم وأحكامهم فيها فإنهم قد أحسنوا إلينا بإحسانهم الظن فينا فوق ما نستحق جزاء الله خيرا.[٥١] مجلة الهلال: ج٣، السنة ١٩أول ديسمبر ١٩١٠م-٢٩ذو القعدة ١٣٢٨هـ.

مؤلفات جرجي زيدان مرتبة تاريخيا

١- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية(١٨٨٦م).

٢- تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن مع فذلكة في تاريخ مصر القديم، ٢ج (١٨٩٩م)

٣- تاريخ الماسونية العام (١٨٨٩م)

٤- التاريخ العام منذ الخليقة إلى هذه الأيام -ج١ (١٨٩٠م)

٥- مختصر جغرافية مصر (١٨٩١م)

٦- المملوك الشارد- رواية (١٨٩١م)

٧- رد رنان على نبش الهذيان (١٨٩٣م)

٨- استبداد المماليك - رواية (١٨٩٣م)

٩- جهاد المحبين - رواية (١٨٩٣م)

١٠- أسير المتمهدي- رواية (١٨٩٣م)

١١- أرمانوسة المصرية - رواية (١٨٩٥م)

١٢- خلاصة تاريخ اليونان والرومان (١٨٩٧م)

١٣- عذراء قريش - رواية (١٨٩٨م)

١٤- تاريخ انجلترا منذ نشأتها إلى هذه الأيام (١٨٩٩م)

١٥- فتاة غسان -رواية (١٨٩٩م)

١٦- ١٧رمضان - رواية (١٨٩٩م)

١٧- علم الفراسة الحديث (١٩٠١م)

١٨- غادة كربلاء - رواية (١٩٠١م)

١٩- تاريخ التمدن الإسلامي - مج ١ (١٩٠٢م)

٢٠- الحجاج بن يوسف - رواية (١٩٠٢م)

٢١- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج١ (١٩٠٢)

٢٢- تاريخ التمدن الإسلامي - مج٢ (١٩٠٣م)

٢٣- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ج٢ (١٩٠٣م)

٢٤- تاريخ التمدن الإسلامي- مج ٣ (١٩٠٤م)

٢٥- تاريخ اللغة العربية باعتبار أنها كائن حي تام خاضع لناموس الارتقاء (١٩٠٤م)

٢٦- فتح الأندلس - رواية (١٩٠٤م)

٢٧- شارل وعبد الرحمن - رواية (١٩٠٤)

٢٨- تاريخ التمدن الإسلامي -مج ٤ (١٩٠٥م)

٢٩- أبو مسلم الخراساني - رواية (١٩٠٥م)

٣٠- تاريخ التمدن الإسلامي- مج ٥ (١٩٠٦م)

٣١- أنساب العرب القدماء (١٩٠٦م)

٣٢- العباسة أخت الرشيد - رواية (١٩٠٦م)

٣٣- الأمين والمأمون - رواية (١٩٠٧م)

٣٤- محمد على - رواية (١٩٠٧م)

٣٥- العرب قبل الإسلام - ج١ (١٩٠٨م)

٣٦- عروس فرغانة- رواية (١٩٠٨م)

٣٧- عبد الرحمن الناصر - رواية (١٩٠٩م)

٣٨- أحمد بن طولون- رواية (١٩٠٩م)

٣٩- تاريخ آداب اللغة العربية - ج١ (١٩١١م)

٤٠- الانقلاب العثماني - رواية (١٩١١)

٤١- مصر العثمانية ؛ أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ - ١٥١٧م إلى الحملة الفرنسية ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م

٤٢- تاريخ آداب اللغة العربية - ج٢ (١٩١٢م)

٤٣- طبقات الأمم أو السلائل البشرية (١٩١٢م)

٤٤- عجائب الخلق (١٩١٢م)

٤٥- فتاة القيروان- رواية (١٩١٢م)

٤٦- تاريخ آداب اللغة العربية - ج٣ (١٩١٣م)

٤٧- صلاح الدين ومكايد الحشاشين- رواية (١٩١٣م)

٤٨- تاريخ آداب اللغة العربية - ج٤ (١٩١٤م)

٤٩- شجرة الدر - رواية (١٩١٤م).

٥٠- البلغة في أصول اللغة - غير موجود( )

٥١- مختارات جرجي زيدان (١٩١٩م)

٥٢- رحلة جرجي زيدان إلى أوربا سنة ١٩١٢م (١٩٢٣م)

حواشي المقدمة

(١) محمد عبد الغني حسن، جرجي زيدان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة١٩٧٠، ص ٢٠. ويعتبر البعض أن الأستاذ محمد عبد الغني حسن- رحمه الله - مؤرخ جرجي زيدان.

(٢) محمد عبد الغني حسن، المرجع السابق، ص ٢١،ونظير عبود، جرجي زيدان، المجلد ٢١ من مؤلفات جرجي زيدان الكاملة، دار الجيل، بيروت ١٩٨٣، ص ١٧.

(٣) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص ٢١.

(٤) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق،ص٢٣.

(٥) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق،ص ٢٩، ونظير عبود ، مرجع سابق، ص ٢١.

(٦) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص ٣٦ وشوقي خليل، جرجي زيدان في الميزان، وجرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث، طبعة بيروت عام١٩٨٣، جـ٢ ص ٦٩١

(٧) جرجي زيدان ، تاريخ مصر الحديث جـ٢ مرجع سابق ص ٦٦٥و ٧٠١و ٧٠٢.

(٨) محمد عبد الغني حسن، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٩

(١٠) نظير عبود، مرجع سابق، ص ٢٣

(١١) عبد الغني حسن ٣٩

(١٢) عبد الغني حسن ٤٠

(١٣) MUHARREM GELEBI,CORCI ZEYDAN.D.V.IA.C.12, S,69-70 ISTANBUL 1995

(١٤) معلم جودت أينانج آلب، ذيل على فصل الأخية الفتيان التركية " في رحلة ابن بطوطه، استانبول ١٣٥٠هـ - ١٩٧١،ص٥.

(١٥) جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث، الجزء الأول ، القاهرة ، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٣٠٦هـ- ١٨٨٩م، ص ٤.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٨٥،٨٦.

(١٧) جورجي زيدان : تاريخ مصر الحديث، ج١،ص٨٦.

(١٨) ولعله من المهم ان نشير أن سن زيدان في ذلك الوقت كان ٢٨سنة، وإذا كان في كتابه " رد رنان على نبش الهذيان" - الذي رد فيه على كتاب " نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان" للشيخ حسن حلواني مدني- قد ذكر انه درس " تاريخ مصر " وألفه وطبعه في مدة لا تزيد على سنتين، فإن هذا يعنى أن عمره كان ٢٦سنة عندما شرع فيه ، ولم يسبق له أن عالج الكتابة التاريخية. جرجي زيدان: رد رنان على نبش الهذيان، القاهرة ، مطبعة التأليف، ١٨٩١م، ص ٧،٨.

(١٩) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، للقاهرة، مطبعة الهلال، ١٩٠٢م، ص٦.

(٢٠) محرم جلبي، مرجع سبق ذكره، ص ٦٩-٧٠.

(٢١) جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة ، مكتبة النهضة، ١٩٥٨م، ص ١٠-٢٧.

(٢٢) جاك كرابس جونيور: كتابة التاريخ في مصر في القرن التاسع عشر ترجمة عبد الوهاب بكر سلسلة الألف كتاب الثاني- ١١٨، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص٧٤.

(٢٣) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق ، ص ٩٩- ١١٤.

(٢٤) جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ٧٠-٧٢.

(٢٥) جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ٨٣،٧٦.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ٧٦-٨٧.

(٢٧) وقد أسندنا في تحقيق المخطوط ما نقله المؤلف لابن إياس.

(٢٨) جرجي زيدان: تاريخ مصر الحديث، ج١،ص ٨٨،٨٧. ويرى جاك كرابس جونيور أن هذه المادة ليست كافية للمشروع الذي كان في ذهن زيدان، وحيث أنه لم يلمح أبدا لمصادره ولم يقدم حواشي لمتونه، فإننا نبقى متروكين للحيرة حول المراجع التي استخدمها. جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦١.

(٢٩) يشير جاك جونيور إلى أن كل المؤرخين المصريين بعد الطهطاوي كانوا أكثر استيقاظا في الضمير فيما يتعلق بالإشارة إلى مصدر معلوماتهم، وأنه كان ينبغي على زيدان أكثر من أي من سابقيه أن يكون مدركا لالتزامه في الاستشهاد بالمصادر حتى لا يصبح عمله مشكوكا فيه كثيرا. جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٣٠) ومصدر الدهشة والتناقض أن المؤلف يستخدم أسلوب هؤلاء المؤرخين ومفرداتهم في أسلوبه، ويذكر بعد ذلك في نهاية مخطوطه أن الإنشاء في اللغة في العصر العثماني، انحط إلى أقصى درجاته، حتى صار أقرب إلى لغة العامة، ويضرب المثل لذلك بتاريخ" ابن إياس" و" الجبرتي".

(٣١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الخامس تحقيق محمد مصطفى، ط٣، القاهرة، ١٩٨٤،ص ١٥٠.

(٣٢) قصد زيدان" ابن إياس" ، ولكن " ابن إياس" كما رأينا في نصه لم يذكر، أنه رأي السلطان سليم، وإنما نقل صفاته سماعا.

(٣٣) انظر المتن في المخطوط.

(٣٤) الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجزء الأول، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٩٨٦، ص ٥٠١.

(٣٥) انظر المتن في المخطوط.

(٣٦) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج٢،القاهرة، المطبعة الأميرية ، ١٣١٤هـ،ص ١٩٥.

(٣٧) أحمد شلبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة ، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م، ص ١٦٤،١٦٥.

(٣٨) الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص ٣١-٣٤؛على بن محمد الشاذلي الفرا: ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة القاهرة (١١٢٣-١٧١١م)، تحقيق عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، مج ١٤، ١٩٦٨م، ص ٣١٩-٤٠١.

(٣٩) أحمد شلبي عبد الغني: المصدر السابق، ص ٣٨٣-٣٨٦.

(٤٠) ولعل هذا يفسر لنا النقد العنيف الذي وجهه محمد حسين هيكل إلى زيدان كمؤرخ سنة ١٩١٢، وذلك في نقده لكتاب تاريخ آداب اللغة العربية: " زيدان كان أحرى الناس- على سعة معارفه التاريخية- بأن يختط هذه الطريقة ويرمي لهذا الغرض. وأول المطلوب من المؤرخ الذي يرمي لهذا الغرض أن يتحري في التاريخ الذي يكتب كل دقيقة وجليلة، وأن يفسر الحوادث بالدقة والضبط. وقد رأينا أن صاحب تاريخ آداب العرب لم يقم بذلك على الوجه الأكمل ". انظر النقد الذي وجهه هيكل لجرجي زيدان في : محمد حسين هيكل: في أوقات الفراغ ، القاهرة ، المطبعة العصرية، د.ت، ص ٢٢١-٢٤٧. وقد حاول محمد عبد الغني حسن- الذي يصف زيدان بالدقة والضبط والحيدة المطلقة في كتابة التاريخ- حاول تبرير نقد هيكل العنيف، فذكر أنه كان متأثرا بالحملات التي شنها خصوم زيدان ، سلسلة أعلام العرب- ٩٠،القاهرة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م،ص ٧٥.

(٤١) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦١. وقد لاحظ جونيور أن زيدان عاش حياة حذرة فيما يتعلق بالسياسة، وأحجم عن كل ذكر للسياسة أو رجال الدولة الأحياء في مجلة الهلال، وقد انعكس ذلك في تاريخه، وضرب مثالا لذلك وصف زيدان للحرب السورية خلال عهد محمد على بالتفصيل مع تجاهل الأسباب والنتائج والدوافع، وكذلك العرض الذي قدمه للاحتلال الإنجليزي لمصر في ختام تاريخه.

(٤٢) كرر زيدان هذا الحكم كذلك في كتابه : تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، القاهرة ، مطبعة الهلال، ١٩١٣م، ص ٢٧٢. وقد تصدى لهذا الحكم كاتب من كتاب سيرته، فذكر أن هذا الحكم لا يكفي على عصر استمر عدة قرون، وكان على زيدان أن يتناول نصوصا من العصر العثماني ويبين ما فيها من تفاهة، ولكنه لم يفعل، مما يجعل حكمه موضع استفهام، وأيد الكاتب رأيه بدراسة قدمها محمد سيد كيلاني عن " الأدب المصري في ظل الحكم العثماني" ، أظهرت بوضوح أن في هذا العصر مدارس أدبية. انظر بتفصيل: أحمد حسين الطماوي: جرجي زيدان سلسلة نقاد الأدب - ١١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

(٤٣) انظر نموذجا لاستخدام التواريخ بكثرة في بدايات الفقرات عند ذكر ولاة مصر في زمن السلطان سليمان القانوني: " وفي سنة ٩٤١ ..."، " وفي سنة ٩٤٥هـ..."، " وفي سنة ٩٦١هـ..." ، " وفي سنة ٩٦٨ ...." " ثم في سنة ٩٧١هـ..."، " وفي شوال سنة ٩٧٣..." ، " وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤هـ...".

(٤٤) ويبدو أن هذا ما كان يطمح إليه زيدان عند تأليفه، فقد أشار إلى ذلك في فاتحة كتابه بقوله: " لم أر بين مدارس هذا القطر السعيد من أميرية وغير أميرية مدرسة تعتني بتدريس هذا التاريخ الذي هو تاريخ بلادها، لعل السبب في ذلك عدم وجود الكتب الموضوعة على أسلوب مناسب".

(٤٥) جاك كرابس جونيور: المرجع السابق، ص ٢٦٢.

(٤٦) عن اختيار زيدان للتدريس في الجامعة المصرية والمعارضة القومية لذلك، انظر مقالته: نحن والجامعة المصرية، مجلة الهلال، الجزء الثالث، السنة ١٩، أول ديسمبر ١٩١٠م- ٢٩ من ذي القعدة ١٣٢٨هـ، ص ١٧٧-١٨١.

(٤٧) أمين سامي : التعليم في مصر في سنتي ١٩١٤و١٩١٥ ، القاهرة ، مطبعة المعارف، ١٣٣٥هـ- ١٩١٧م، القسم الثالث من الملحقات، ص ٥٤-٥٥.

(٤٨) يؤيد هذا قلة اعتماد الباحثين عليه كمرجع موثق في التاريخ المصري الحديث. وعلى العكس تماما، المؤرخ السوري سليم خليل النقاش (المتوفى سنة ١٨٨٤م) في موسوعته التاريخية " مصر للمصريين" التي صدرت في ٦ مجلدات (من الرابع إلى التاسع)، فقد كان توثيقه شاملا ومتقنا بصورة كبيرة، مما جعل عمله مرجعا لا غنى عنه للمؤرخ السياسي وطالب التاريخ الاجتماعي والاقتصادي. انظر: جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٤، جاك جونيور: المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٧.

(٤٩) جرجي زيدان، مصر العثمانية أو تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية، مخطوط بخط المؤلف، صورة فوتوغرافية، مكتبة جامعة القاهرة، مخطوط رقم ٧٥،ف ٣٠٠٢.

(٥٠) معلم جودت (أينانج آلب) ذيل على فصل " الأخية الفتيان التركية" في رحلة ابن بطوطة، ص ٥، استانبول ١٣٥٠هـ-١٩٣٢م.

(٥١) جرجي زيدان، نحن والجامعة المصرية، مصدر سبق ذكره. نفس الصفحات.

***

مصر العثمانية

المَـتْن

[ص/١] مصر العثمانية

أو

تاريخ مصر في عهد الدولة العثمانية

من الفتح العربي سنة ٩٢٣هـ او ١٥١٧

إلى الحملة الفرنساوية ١٢١٣هـ أو ١٧٩٨م

ألفه

جرجي زيدان

منشئ الهلال

لدروس التاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية

سنة ١٩١١

[ص/٢] مقدمات تمهيدية

التاريخ الإسلامي بالنظر إلى سائر التواريخ

التاريخ العام

التاريخ العام، عبارة عن الحوادث التي رافقت الإنسان في أول وجوده إلى الآن. أو ذكر ما انتاب الأمم من التقدم أو التأخر والصعود أو الهبوط في السياسة والاجتماع، أو هو بيان تدرج البشر في المدنية. ولذلك فهو مقصور على الأمم التي كان لها شأن في ترقية الهيئة الاجتماعية.

وقد عبر بعضهم عن التاريخ بقوله: إنه الفلسفة مشروحة بالأمثال حتى تكون حوادث المقدمين عبرة للمتأخرين.

والتاريخ العام يقتضي معرفة أخبار الناس من أول عهد الإنسان إلى الآن، وهذا غير ميسور لأن ما وصل إلينا من حوادث البشر إنما هو جزء صغير جدا في تاريخهم، والإنسان لم يدون تاريخه إلا بعد أن وفق لاختراع الكتابة، وهو لم يوفق إليها إلا بعد التدرج في الرقي أدهارا ، ظهرت في أثنائها دول وأمم انتشبت بينها الحروب، وعقدت المعاهدات، وذهب العقلاء في أثنائها مذاهب في الفلسفة. فهذه كلها ذهبت أخبارها فلم يصلنا منها شئ، حتى أسماء تلك الأمم، فإنها ضاعت، وإنما استدللنا على وجودها من ثمار أعمالها، أو بما خلفته من الأدوات أو الأحافير أو الخرائب.

وعلماء التاريخ لا يعدون تلك المعرفة تاريخا. ولذلك سموا [ص/٣] المدة التي قضاها الإنسان قبل تدوين أخباره " الزمن قبل التاريخ" وهو أطول كثيرا في زمن التاريخ تقدم فيها الإنسان شوطا بعيدا في سلم المدنية والارتقاء العقلي، وفيها تألفت الهيئة الاجتماعية ووضعت سنن الزواج والإرث، وانتظمت العائلة، وفيها شكلت الحكومات، ونشئت الأديان. وفيها حدثت أهم الاختراعات والاكتشافات التي بني عليها البشر رقيهم في زمن التاريخ ، لأن في تلك الفترة المظلمة، اخترعت الكتابة، واستنبط الطبخ والعجن والخبز والغزل والنسيج والخياطة والبناء، واكتشفت النار والملح، وهما من أهم الاكتشافات.

من لنا بمن يخبرنا عن مخترع الكتابة الصورية، لنشيد له تذكارا، أو مخترع الإبرة لننصب له تمثالا، بل لو عرفنا مكتشف النار، أي أول من ولد النار

بالفرك، لحق له علينا الإكرام الجزيل، إن ذلك وأمثاله من أعمال الإنسان قبل زمن التاريخ لا يدخل في علم التاريخ ولا إلى معرفته سبيل إلا بالتخمين.

أما زمن التاريخ فهو الذي عرفنا أسمه وقبائله ودوله وبعض حوادثه، إما من الكتب التي وصلت إلينا أو من النقوش التي قرأناها في الآثار أو من أحوال أخرى، وهو لا يتجاوز في مدته ستة آلاف سنة، نصفها الأول ناقص، وأكثره مبني على الحدس، والنصف الآخر محشو في أوائله بالمبالغات أو الخرافات، ولكن أكثره ثابت، لرجوعه إلى النصوص التاريخية بعد شيوع الكتابة.

ما معنى لفظ تاريخ؟

وقبل التقدم إلى ذكر أقسام التاريخ، نتكلم عن أصل هذا اللفظ [ص/٤] في العربية. وقد اختلفت الأقوال؛ فذهب جماعة إلى أنه فارسي، وقال آخرون: إنه يوناني: إنه يوناني، وتكلفوا في تخريجه تكلفا نحن في غنى عنه لأن اللفظ عربي، وفي القاموس [١] " أرخ الكتاب يأرخه أرخا، وقَّته" أي عرف وقته، ثم تفرع المعنى فصاروا يدلون بها عن علم التاريخ أي ذكر الوقائع والحوادث، ولعل سبب الشك في كون هذا اللفظ عربيا أن العرب أخذوا التاريخ عن الفرس. وقيل لهم إن اسمه عند الفرس" ماه روز" [٢] فعربوها " مؤرخ" ثم اشتقوا منها مصدرا " تاريخ" وهو تكلف لا حاجة بنا إليه، فدفعا لكل شك في كون هذا اللفظ عربيا نأتي بأشباهه من أخوات اللغة العربية.

فهو في العبرانية " يرخ" ومعناه: القمر، ومثلها " يرحا" في السريانية لنفس هذا المعنى ونحو ذلك في الكلدانية والأشورية. وهي تدل عندهم على الشهر؛ لأن حسابهم كان قمريا، وكذلك الشهر والقمر في العربية بمعنى واحد، ولا عبرة في إبدال الخاء، حاء، بين العربية وأخوتها، فإنه عادي فيها، ومن بقايا دلالة" يوح " أو " أرخ" على القمر في العربية، قول العرب" راح " أي ذهب أو جاء في العشي، أي في نور القمر، والمعنى راجع إلى العشي بدون تقييد بالذهاب أو المجئ، مثل قولهم أصبح وأمسى؛ ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي ثم صارت تدل على مطلق الذهاب، وقد يكون اللفظ الواحد معناه القمر في إحدى هذه اللغات، والشهر في اللغة الأخرى، فإن " سهر" في السريانية [ص/٥] معناها قمر في العربية وهو " الشهر"

بإبدال السين شينا، وقد بقى في معناها الأصلي في العربية " الساهور" وهو القمر أو غلافه، والخلاصة أن لفظ التاريخ، عربي الأصل والاشتقاق.

أقسام التاريخ العام

اختلف المؤرخون في تقسيم زمن التاريخ وتبويبه، والأكثر يرون قسمته إلى ثلاثة أقسام: الأول، التاريخ القديم ويبدأ بأقدم الأزمان، وينتهي عند سقوط روميه سنة ٤٧٦ للميلاد، والقسم الثاني، القرون الوسطى أو المظلمة، وهي تمتد من هذا التاريخ إلى اكتشاف أميركا سنة ١٤٩٢ مسيحية، والثالث، التاريخ الحديث، من اكتشاف أميركا ولا يزال.

ذلك هو تقسيم التاريخ العام عند كتاب الإفرنج، وهو في اعتبارنا تقسيم ناقص، مبني على الأحوال التي توالت في أوربا وأمريكا، ولا يدخل فيها من تاريخ الشرق إلا الدول القديمة في مصر وبابل وفينيقية وغيرها من التمدن القديم، ولم يراعوا فيه الانقلابات السياسية العظيمة التي توالت في الشرق بعد ذهاب تلك الدول، وكان لها تأثير كبر في تاريخ العمران في سائر أنحاء العالم المتمدن.

أما أقسام التاريخ العام بالنظر إلى الشرق وأممه ودوله، فإنه في نظرنا يقسم إلى قسمين كبيرين، أو هما شطران: شرقي وغربي، نعبر عنهما بتاريخ الشرق، وتاريخ الغرب، ونقصد بالشرق آسيا على الإجمال ومعها وادي النيل وما يليه من البلاد التي تمدنت قديما في أفريقيا. ونعني [ص/٦] بالغرب أوروبا وأميركا وما يلحقهما.

ولكل من هذين الشطرين ثلاثة أطوار أو أعصر تتشابه في التقسيم ولكنها تختلف في الزمن، لكل منها عصر قديم وعصر متوسط وعصر حديث، لكن الشرق متقدم فيها على الغرب وسابق منه في عوامل المدنية.

فتاريخ الشرق القديم يمتد من أقدم الأزمنة إلى فتح الإسكندر المكدوني بلاد فارس سنة ٣٣١ قبل الميلاد.

وتاريخه الأوسط أو قرونه الوسطى أو المظلمة تمتد من فتح الإسكندر إلى ظهور الإسلام سنة ٦٢٢ للميلاد أو السنة الأولى للهجرة.

أما تاريخ الغرب القديم فيبدأ من أول تمدنه نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد في بلاد اليونان، وقد اقتبس أصول تمدنه من أمم الشرق القديمة في مصر وفينيقية وبابل وغيرها، وينتهي بسقوط روميه سنة ٤٧٦م، وسبب انقضائه، هجوم البربر، بدو شمال أوربا" قبائل الجرمان" على المملكة الرومانية، وفي أثنائه دخل الشرق في أجياله الوسطى بسقوط دولة الفرس، كما تقدم.

وتاريخ الغرب الأوسط هو عصر الظلمة أو القرون الوسطى في أوربا، يبدأ بسقوط روميه، وتسلط البربر إلى بزوغ نور التمدن الحديث بعد اكتشاف أميركا سنة ١٤٩٢م، وقد أغفل فيه الغربيون علوم أسلافهم اليونان. ونهض الشرق في أثنائه من عصوره المظلمة[ص/٧] بظهور الإسلام وقيام دولة العرب، فأخذوا تلك العلوم وترجموها.

فتاريخ الإسلام هو تاريخ الشرق الحديث، وبه نهض الشرق من غفلته واستعاد رونقه ومجده، وامتد سلطان المسلمين على أضعاف ممالك أسلافهم الشرقيين، وخفقت أعلامهم على ممالك الفراعنة والفينيقيين والآشوريين والبابليين والفرس والأرمن والهند والترك والمغول والمغاربة وسائر بلاد المشرق، وقسم من أوربا؛ في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا، مما لم يسبق له مثيل.

أقسام تاريخ الإسلام

يقسم تاريخ الإسلام إلى خمسة أعصر:

أولا: عصر التكوين والنمو: من ظهور الإسلام إلى آخر الدولة الأموية بالشام وهو عصر الفتوح في الدولتين، أو العصر العربي.

ثانيا: عصر البلوغ: من أول الدولة العباسية ١٣٢هـ إلى تغلب الجند التركي سنة ٢٣٢للهجرة، وهو يشتمل على أبان الدولة العباسية. وفيه نشأ الأدب، ونقلت علوم القدماء إلى العربية. وهو عصر الإسلام الذهبي، ويعرف بالعصر الفارسي، لأن الدولة فيه كانت بأيدي الوزراء الفرس.

[ص/٨] **ثالثا:** عصر التفرع والتشعب: من تسلط الأتراك إلى سقوط بغداد، وفيه تفرعت هذه الدولة إلى دول من أمم مختلفة، في أنحاء مختلفة. ونشأت دول

جديدة كدولة الفاطميين بمصر والأمويين بالأندلس والسلاجقة في الشام وغيرها، ونشأت سائر دول الأتراك والأكراد والفرس وغيرهم.

رابعا: القرون الإسلامية: من سقوط بغداد إلى أوائل القرن التاسع عشر.

خامسا: النهضة الأخيرة: من أوائل القرن الماضي، ولا تزال، وهي مقتبسة من تمدن الغرب الحديث.

ويقسم التاريخ على الإجمال أيضا إلى عام وخاص. والعام يتضمن تاريخ البشر عموما، والخاص يشمل التاريخ الخاص المتعلق بموضوع واحد، كتاريخ أمة، أو مملكة، أو ولاية أو مدينة أو دولة أو عائلة أو شخص، والمتعلق بشخص واحد يسمى ترجمة، أو سيرة ، أو حادثة مأثورة، كتاريخ الإخلاص، ومذبحة المماليك، وحادثة عرابي، وظهور المهدي، ونحو ذلك.

ويسمى التاريخ الخصوصي بأسماء تختلف باختلاف موضوع، كتاريخ الكنيسة والتاريخ السياسي والشرعي والقضائي والتجاري والأدبي والعلمي ونحو ذلك.

مزايا التاريخ الإسلامي
على سائر التواريخ

فتاريخ الإسلام من التواريخ الخاصة المتعلقة بالأمم أو الدول؛ لأن المراد بها كر حوادث الأمة الإسلامية أو الدولة الإسلامية، ومقابلة تاريخ الرومان أو اليونان أو الفرس ونحوهم لكنه يمتاز عنها بأمور جديرة [ص/٩] بالاعتبار أهمها:

١- إن تاريخ الإسلام حلقة موصلة بين الشرق والغرب؛ لأنه بامتداد أصحابه إلى أقصى الشرق وإلى أقصى الغرب تمكنوا من الوصل بينهما. وهو أيضا حلقة موصلة بين التمدن الغربي القديم، والتمدن الغربي الحديث؛ لأنه حفظ ما توالى على عوامل التمدن الغربي القديم من التغيير أو التحوير في العلوم الفلسفية والطب مما اشتغل به المسلمون في أثناء تمدنهم، ولا سبيل إلى معرفة بذلك إلا بتاريخ الإسلام.

٢- يمتاز تاريخ الإسلام عن سائر تواريخ الأمم والدول بما يدخل تحته من تواريخ العناصر المختلفة التي أنقذها الإسلام في أواسط آسيا وغيرها، وكانت في

حال البداوة أو الهمجية، فساقها إلى المدنية، أو العلم حتى نبغ منها العلماء والفلاسفة ورجال السياسة والإدارة. وأشهرهم الأتراك والمغول والبربر والزنوج.

وهنا نقطة يحسن بنا الوقوف عندها لحظة؛ لنذكر شيئا عن كل من تلك الأمم:

الأتراك

كان الأتراك قبل الإسلام، أهل بادية يقيمون في أواسط آسيا؛ بين الهند والصين وسيبريا.

ولم يعرفوا عن أهل الغرب من اليونان أو الرومان إلا قليلا. فكان الفرس يقتنونهم للرق والخدمة، ويتهادونهم كما المتاع. فلما جاء العرب وفتحوا بلادهم وجندوهم ؛ نهضوا في جملة الناهضين ، وتولوا الإمارات، ثم أنشأوا الدول العظمى في فارس والعراق والشام ومصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية وأفغانستان وتركستان، وأشهرها الدولة الطولونية والإيليكية والإخشيدية والغزنوية **[ص/١٠]** والسلجوقية بفروعها ودول الأتابكة التي تخلفت عنها. ويزيد عدد الدول الشرعية الإسلامية على ثلاثين دولة، واتسع سلطانهم حتى وطئت خيولهم أواسط أوروبا، ونبغ منهم القواد والساسة والفقهاء والكتاب وشادوا القصور والمساجد والمعاهد، وأنشأوا المارستانات والمدارس والتكيات.

وأكثر ما بقي من آثار الإسلام في مصر والشام والعراق من بنائهم، فهؤلاء لا سبيل إلى معرفة أحوالهم إلا بتاريخ الإسلام.

المغول

والمغول طوائف رحل، كانوا يقيمون حوالي بحيرة " بيقال "[٣] في جنوبي سيبريا، ولم يظهروا للعالم إلا بعد الإسلام، وكانوا قبل ذلك قبائل يعيشون بالغزو والنهب والصيد والقنص.

فلما احتكوا بالمسلمين في تركستان ورأوا دولهم وجيوشهم، عملوا على الاقتداء بهم، حتى عمدوا إلى فتح مملكتهم ففتحوها ببداوتهم وخشونتهم، وأمعنوا فيها قتلا ونهبا وإحراقا على يد جنكيز خان[٤]، لكنهم ما لبثوا أن تحضروا، لمعاشرتهم

المسلمين في فارس والعراق، وأنشأوا دولا عظمى حكمت الشرق خمسة قرون ونصف قرن، أشهرها أربع دول كبرى هي دول أقطاي وطلوي وجوجي وجغطاي[٥].

وتفرعت منها دول أخرى امتدت سطوتها وخفقت أعلامها على زنقاريا[٦] وبلاد المغول والقبجاق وتركستان، وفتحوا المملكة الإسلامية، وأمعنوا في بلاد فارس والعراق والشام.

ونبغ منهم الساسة والقواد، وبعد أن كانوا أهل أوثان، أسلموا وشادوا المساجد والمدارس والمعاهد، وعمروا المدن في أقصى الشرق وأقاموا فيها الأبنية الباذخة ، والقصور الشامخة، وغرسوا الحدائق والبساتين وهذه الدول [ص/١١] لا سبيل إلى معرفة أخبارها إلا بتاريخ الإسلام.

البربر

ويراد بهم بدو أفريقيا الشمالية، وهم قبائل رحل، كانوا قبل الإسلام من الهمجية والجهالة على جانب عظيم، وكانوا أصحاب أوثان، يعتصمون الجبال ويتقاضون إلى الكهان، يكرهون المدنية وأهلها، وقد قاسى اليونان والرومان من غزوهم ونهبهم عذابا شديدا، ولم يكن لهم شغل غير ذلك، ولاقى العرب أيام الفتح مشقة كبرى في إخضاعهم، فلما خضعوا وأسلموا تجندوا للخلفاء والأمراء، وافتتحوا البلاد، ولاسيما في الغرب فاكتسحوا الأندلس بقيادة طارق بن زياد، وكانوا عونا كبيرا في قيام دولة الأدارسة[٧] والدولة الفاطمية [٨] ، وأنشأوا دولة الملثمين[٩] والمرابطين[١٠] والموحدين [١١] والمصامدة وآل زيري [١٢] وغيرهم مما لا يحصى. وقد جندوا الجنود وبنوا المعاقل وأخذوا بأسباب المدنية ولا وسيلة لمعرفة أخبارهم إلا بتاريخ الإسلام.

الزنوج

كان الزنوج ولا يزال، السواد الأعظم منهم، يحملون إلى الآفاق كما تحمل الأغنام يباعون بيع السلع؛ فكانوا يرضخون تحت نير المتمدنين، وكانوا يعبدون

الحجارة أو الشجر. وبعضهم لا يفهم معنى الدين أو العبادة. وكان المعروف في سواطنهم عند ظهور الإسلام شمالي [ص/١٢] إفريقيا وبعض غربيها وشرقيها.

فلما انساح العرب في الأرض للفتح أو المهاجرة ، ذهبت قبائل منهم إلى أواسط إفريقيا، فضلا عن شواطئها، فاكتسب الزنوج منهم أخلاق الأمم المتمدنة، وأسلموا، ثم انتظموا في الجندية، وتألفت منهم فرق حاربت تحت رايات الخلفاء في بلاط الخلفاء، حتى صاروا من أهل الحل والعقد.

وتولى بعضهم الحكومة، ثم تجندوا لأنفسهم، ونهضوا كما تنهض الأمم الراقية ، فألفوا جيشا حاربوا به الدولة العباسية عدة سنين، حتى أقلقوا راحتها. وفتحوا المدن، وكادوا يؤسسون دولة إسلامية كبرى.

على أنهم أنشأوا دولا صغرى في أواسط إفريقيا وغربيها. ونبغ منهم الحكام والقواد. وأشهرهم: كافور الإخشيدى [١٣] صاحب مصر ، وظهر غير واحد من الشعراء ونظموا القصائد الحسنة، ونبغ منهم جماعة من القراء والفقهاء، وتدخل أخبارهم في تاريخ الإسلام.

وقس على ذلك أخبار أمم الشمال: كالكرج والأرمن والأكراد والخزر والصقالبة وغيرهم.

ناهيك بالعرب أنفسهم وتاريخهم قبل الإسلام وبعده، لولا الإسلام لذهبت أخبارهم وأخبار الأمم الإسلامية الأخرى، وأكثر ما يعرفه المتمدنون في هذه الأمم، أخذوه من تاريخ الإسلام.

٣- أرخ المسلمون فترة من الدهر ، لم يعرف تاريخها، لولاهم، لأن حوادث ظهور الإسلام وما تلاه من أخبار الفتح وما عقب ذلك من إنشاء التمدن ونشر لواء العلم ونقل الفلسفة وغيرها من علوم القدماء، وما اقتضاه ذلك من التغيير والتبديل، قلما عرف عنه الإفرنج شيئا لولا تاريخ الإسلام.

[ص/١٣] ٤- إن مدة هذا التاريخ أطول من مدد سائر التواريخ، لأن الإسلام يشمل دولا شتى إسلامية، إذا انقضت دولة قامت أخرى، ونحن في القرن الرابع عشر من تاريخ الهجرة[١٤]، وقد توالى في الإسلام مئات من الدول من أمم مختلفة في آسيا وأفريقيا وأوربا، ولا يزال من هذه الدول كثير حتى الآن في هذه

القارات، منها الدول الكبرى كالدولة العثمانية والفارسية والدول الصغرى في الهند وجزيرة العرب وإفريقيا.

ولا نعرف أمة طال سلطانها في الأرض مثل هذه المدة، ولا يزال عمر الإسلام طويلا، بل هو في نهضة إصلاحية تساعده على طول بقائه، فهو لذلك يحتوى على تاريخ أطول من سائر التواريخ الأخرى.

٥- يمتاز تاريخ الإسلام عن سواه أنه يشتمل على تاريخ السياسة والدين والعلم والشريعة، وهذا قلما يجتمع في التواريخ الأخرى.

وتاريخ الفقه الإسلامي لا يدانيه تاريخ فقه لأمة من أمم الأرض بما يدخل فيه من إعمال الفكر واستنباط العقل، وقس عليه تاريخ العلم؛ لأن المسلمين أتوا في نهضتهم العلمية في العصر العباسي بما لم يأته غيرهم في نهضتة، فقد اشتغلوا بعلوم اليونان والفرس والهنود والسريان وغيرهم ونقلوها إلى لسانهم ودكروا أخبارها وأحوالها فضلا عما في اختلاف أجناس المؤرخين من جوامع الفوائد، فإن بينهم العربي والفارسي والتركي والرومي والمصري والسرياني والهندي وغيرهم، ولكل أمة مزية، فاجتمعت هذه المزايا في تاريخ الإسلام.

٦- يشتمل تاريخ الإسلام على عبر تاريخية لا يتيسر اجتماع مثلها في تاريخ أمة أخرى؛ لكثرة العناصر والأجناس الداخلة في الإسلام، ولكل منها عادات وأخلاق.

وكان في كتاب المسلمين ميل إلى ذكر الحوادث**[ص/١٤]** والإشارة إلى العبرة والوفاء فيها، على أننا لا ننكر ما في تواريخ الأمم الأخرى من المزايا التي قد تمتاز بها على تاريخ الإسلام.

تاريخ مصر بالنظر إلى سواه

إن تاريخ مصر من قبيل التواريخ الخاصة؛ لأنه يختص بمصر دون سواها من البلاد، وهو تاريخ طويل، لأن مصر من البلاد التي تمدنت قديما، ولعلها أقدم الممالك المتمدنة التي وصل إلينا خبرها، ويقسم تاريخها إلى قسمين كبيرين: قديم وحديث، فالتاريخ القديم: يشتمل على تاريخها من أول عهدها إلى الفتح الإسلامي، ويدخل فيه تاريخ دول الفراعنة، وينتهي هذا بفتح الإسكندر الإسكندرية سنة

٣٣٢ق.م.ودولة البطالسة تبدأ بفتح الإسكندر وتنتهي بالفتح الروماني سنة ٣٠ق.م والدولة الرومانية تبدأ بهذا الفتح وتنتهي بفتوح الإسلام سنة ٦٤٠م، ولا يزال ، وهو تاريخها الإسلامي.

ويقسم تاريخها الحديث الإسلامي إلى ١٢ دولة كلها إسلامية، يتخللها الفتح[١٥] الفرنساوي على يد " بونابرت" ثلاث سنوات، ونعدها دولة ثالثة عشرة وهي:

١- دولة الخلفاء الراشدين: من سنة ١٨ [١٦] - ٤١هـ أو من ٦٤٠- ٦٦١م.

٢- الدولة الأموية: من ٤١-١٣٢هـ أو من ٦٦١- ٧٥٠م.

٣- الدولة العباسية: للمرة الأولى من ١٣٢- ٢٥٧هـ أو من ٧٥٠- ٨٧٠م.

٤- الدولة الطولونية: من ٢٥٧-٢٩٢هـ أو من ٧٨٠-٩٠٥م.

[ص/١٥] ٥- الدولة العباسية: للمرة الثانية من ٢٩٢-٣٢٣هـ أو ٩٠٥-٩٣٤م.

٦-الدولة الإخشيدية: من ٣٢٣-٣٥٨هـ أو من ٩٣٤[١٧] -٩٦٩م.

٧-الدولة الفاطمية : من ٣٥٨-٥٦٧هـ أو من ٩٦٩-١١٧١م.

٨-الدولة الأيوبية: من ٥٦٧-٦٤٨هـ أو من ١١٧١-١٢٥٠م.

٩-دولة المماليك الأولى : من ٦٨٤[١٨]- ٧٨٤هـ أو من ١٢٥٠-١٣٨٢م.

١٠-دولة المماليك الثانية: من ٧٨٤- ٩٢٣هـ أو من ١٣٨٢-١٥١٧م.

١١-الدولة العثمانية : من ٩٢٣-١٢١٣هـ أو من ١٥١٧-١٧٩٨م.

١٢-الحملة الفرنساوية: من ١٢١٣-١٢١٦هـ أو من ١٧٩٨-١٨٠١م.

١٣- الدولة المحمدية العلوية: من ١٢١٦هـ أو ١٨٠١م ولا تزال.

موضوع هذا الكتاب

فموضوع هذا الكتاب يقتصر على الدولة الحادية عشرة من الدول الإسلامية التي دخلت مصر في حوزتها، نعني الدولة العثمانية بعد إخراج المدة التي كانت مصر في أثنائها تحت سيطرة[١٩] الفرنساوي، على أثر الحملة الفرنساوية من سنة ١٧٩٨-١٨٠١ فيكون موضوع هذا الكتاب، تاريخ مصر العثمانية من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ-١٢١٣هـ أو من ١٥١٧- ١٧٩٨م وهو أظلم[٢٠] أقسام التاريخ المصري الحديث، لأن مصر كانت في أثنائه مضطربة، وقد استبد بها المماليك

وفسدت حكومتها، وقل من كتب في تاريخها من المحققين، على أننا سنبذل الجهد في إيضاح ذلك التاريخ.

ولابد لنا قبل التقدم إلى الكلام فيه من أن نقدم القول[ص/١٦] بمقدمات تمهيدية لزيادة الإيضاح فنقول:

ما كانت عليه مصر عند الفتح العثماني

ويقتضي بيان بذلك أن نأتي بفذلكة تاريخ السلاطين المماليك الذين انتقلت مصر من أيديهم إلى العثمانيين على يد السلطان سليم الفاتح[٢١].

السلاطين المماليك

ويراد بالسلاطين المماليك، الدولة التي أنشأها مماليك الدولة الأيوبية بعد انقضائها.

حكمت الدولة الأيوبية من سنة ٥٦٧-٦٤٨هـ (١١٧١-١٢٥٠م) وهي كردية، لأن مؤسسها السلطان صلاح الدين الأيوبي[٢٢] كردي، وهو من أعظم رجال الإسلام تعقلا وسياسة وبسالة وتدبيرا، أنشأ دولته على أنقاض الدولة الفاطمية بمصر، وبايع فيها للخلفاء العباسيين، وحارب الصليبيين وردهم عن سوريا، وأنقذ بيت المقدس من أيديهم، ومآثره أشهر من أن تذكر، وارتفع شأن الأكراد في أيام دولته، وتولوا الإمارات والولايات في مصر والشام وكردستان واليمن وخراسان.

ولما مات اقتسم مملكته، إخوته وأولاد إخوته[٢٣]، ولذلك لم يطل حكمها، فغلبهم على معظمها مماليكهم الأتراك، كما غلبت الأتابكة ملوكهم السلاجقة قبلهم، فكان للمماليك في مصر دولتان تعرفان بالسلاطين المماليك.

أصل السلاطين المماليك

يدل اسم المماليك على أصلهم فقد كانوا أرقاء مملوكين، ثم صار الحكم إليهم، وهم من الأتراك،كانوا في الأصل جندا مأجورا أو مبتاعا[٢٤]. بدأ استخدام الأتراك في الجندية على هذه الصورة في أيام المعتصم [٢٥] العباسي [ص/١٧] في أوائل القرن الثالث للهجرة، فإنه استقدم منهم جماعة من تركستان ابتاعهم أو

استرضاهم أو استأجرهم لتعزيز حاشيته خوفا من تغلب أحد الحزبين اللذين استفحل شأنهما يومئذ في أثناء الفتنة بين أخويه الأمين والمأمون. إذ قام العرب مع الأمين(٢٦) والفرس مع المأمون(٢٧) وكان الشان الأكبر في أول الدولة العباسية للجند الخراساني (الفرس) وهم الذين نقلوا الدولة الإسلامية من بني أمية إلى العباسيين. وكان العرب أقوياء لأنهم قوام الدولة ، ومنهم الخلفاء وهم مادة الإسلام وأصله وكان الفرس من حزب البرامكة، وكان الرشيد ذا عصبية للعرب ويخاف الفرس، لأنهم أنصار الشيعة العلوية فنكب البرامكة خوفا منهم.

ولما اختلف الأمين والمأمون وتنازعا على الخلافة بعد الرشيد، كان العرب مع الأمين، والفرس مع المأمون، لأن أمه فارسية، والأمين أمه عربية هاشمية " زبيدة" ، وكان الفوز للمأمون وقتل الأمين، فانحط شأن العرب، وصارت السيادة إلى الفارسيين أنصار المأمون واستبدوا في الدولة.

وكانت الحضارة قد أضرت بالمسلمين وأذهبت منهم قوة التغلب والفتح(٢٨). ففكر المعتصم أخو المأمون في ذلك قبل أن تفضى الخلافة إليه. وكانت أمه تركية ، وفيه كثير من طبائع الأتراك مع الميل إليهم، لأنهم أخواله. كما كان يميل المأمون إلى الفرس لنفس هذا السبب.

وشاهد المعتصم من جرأة الفرس وتطاولهم بعد قتل أخيه الأمين حتى أصبح يخافهم على نفسه، ولم تكن له ثقة بالعرب وقد ذهبت عصبيتهم وأخلدوا إلى الحضارة والترف وانكسرت [ص/١٨] شوكتهم فرأي أن يتقوى بالأتراك وهم لا يزالون إلى ذلك العهد أهل بداوة وبطش مع الجرأة على الجر(٢٩) والصبر على شظف العيش فجعل يتخير منهم الأشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم في العراق، أو يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها، فاجتمع عنده عدة آلاف منهم وفيهم جمال وصحة، فألبسهم أثواب الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة، وميزهم بالزي عن سائر الجنود.

دولة المماليك الأولى

وصار تجنيد الأتراك من ذلك الحين قاعدة في الدول الإسلامية(٣٠)، ومن جملتها الدولة الأيوبية بمصر، فإن الملك الصالح ابن الكامل (٦٣٧-٦٤٧هـ) ١٢٤٠-١٢٤٩م استكثر من اقتنائهم حتى جعل منهم بطانته وأمراء دولته والمحيطين

بدهليزه وصارت مناصب الدولة إليهم، وأمنع حصون البلاد في قبضتهم قد اتخذوها مستقرا لهم حتى إذا ضاقت ذرعا من الإحاطة بهم ابتنوا - بأمر الملك الصالح- قصورا عظيمة متقنة البناء منيعة الجانب من جزيرة الروضة بضواحي القاهرة قرب المقياس. وقد زادها مركزها الطبيعي مناعة وجمالا(٣١) ، لأن النيل يتفرع هناك إلى فرعين، وكان يدعى نقطة تفرعه، بالبحر(٣٢) لعظم اتساعه، فسمي هؤلاء المماليك بالمماليك البحرية، ومنها اسم دولتهم تمييزا لها عن دولة المماليك الشراكسة، الآتي ذكرها.

وكانت سطوة المماليك البحرية تنتشر يوما فيوم إلى أن طمعوا بخلع السلطان وتولى الملك مكانه(٣٣)، فلما تولى الملك المعظم آخر سلاطين بني أيوب، وكان على ما كان عليه من الاستبداد، أنفت نفوسهم من أعماله فسعوا فيه إلى أن قتلوه.

ولما قتل الملك المعظم اختلفت الأحزاب فيمن يبايعون بعده [ص/١٩] وكل فئة تحاول استبقاء الحكم في يدها وتعاظم الخصام فتداركت الأمر شجرة الدر وهي محظية كانت لها منزلة عند الملك المعظم (٣٤) وسائر رجال الدولة فرأت حزب المماليك أعز جانبا من الجميع. وكانت قبلا قد تواطأت مع أيبك عز الدين وهو من أعظم الأمراء المماليك نفوذا وبينهما علاقات ودية من أيام الملك الصالح فتمكنت بهذه الصداقة من مبايعة الجميع لها مما لم يسبق له مثيل في الإسلام لكنها لم تستطع استبقاء الحكم في قبضتها أكثر من سنة فخلعها المماليك وولوا أيبك عز الدين المذكور سنة ٦٤٨(١٢٥٠م) وله منازعون ومناظرون، وزاد الأمر إشكالا تعدي الصليبيين على دمياط في تلك الأثناء.

وما زالت السيادة تنتقل من واحد إلى آخر منهم(٣٥) حتى أفضت إلى الظاهر بيبرس البندقداري(٣٦) أعظم سلاطينهم (٦٥٨-٦٧٦هـ) ١٢٦٠-١٢٧٧م.

الملك الظاهر بيبرس

وكان الملك الظاهر ملكا حازما، شديد البطش كثير الغزوات، خفيف الركاب يحب السفر، وكان مشهورا بالفروسية في الحرب ، وله إقدام وعزم على القتال،

وثبات عند التقاء الجيوش حتى لقبوه بأبي الفتوح، وكان شعاره الأسد، إشارة إلى شجاعته[٣٧].

ومن أعماله المأثورة أنه عمر الحرم النبوي، وقبة الصخرة في بيت المقدس، وزاد في أوقاف الخليل، وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وسور الإسكندرية ومنار رشيد، وردم فم بحر دمياط ووعر طريقه، وعمر الشنواني، وعمر قلعة دمشق وقلاعا عديدة في أنحاء سورية، وعمر المدرسة بين القصرين في القاهرة والجامع الكبير بالحسينية [ص/٢٠] وهو المعروف الآن بالجامع الظاهر، وحفر خليج الإسكندرية القديم وباشره بنفسه، وبنى هناك قرية سماها الظاهرية، وحفر بحر أشمون طناح، وجدد الجامع الأزهر بالقاهرة وأعاد إليه الخطبة، وعمر بلد السعيدية من الشرقية بمصر وبنى القصر الأبلق في دمشق، وغير ذلك من الآثار الباقية إلى اليوم.

واشتهر الملك الظاهر بحروبه مع الصليبيين، فاستولى على بلاد كثيرة من سوريا وفلسطين وحلب، وفتح بلاد النوبة وبرقة.

وفي أيامه جاء العباسيون إلى مصر على أثر فرارهم من بغداد بعد سقوطها بأيدي التتر وقتل الخليفة المستعصم سنة٦٥٦هـ (١٢٥٨م) فجاء منهم إلى مصر الإمام أحمد بن الخليفة الظاهر بأمر الله ، فوصل مصر سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) فاستقبله الملك الظاهر أحسن استقبال، وبايعه، وأثبت نسبه في مجلس من القضاة والعلماء، وأراد أن يسترجع لهم بغداد، فأرسل جندا لاستخراجها من سلطة التتر فلم يفلح[٣٨] في حديث يطول شرحه، لكنه أفلح في جعل مصر مقر الخلفاء العباسيين، وصاروا لا يثبت سلطان منهم على كرسي مصر إلا إذا بايعه الخليفة العباسي بماله من السيادة الدينية[٣٩].

[ص/٢١] بقية دولة المماليك الأولى أو البحرية

مات الملك الظاهر سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م) وخلفه على الملك ولداه بركه خان[٤٠] ثم سلامش. ولم يكونا أهلا للرئاسة، فتغلب عليهما وصي كان على سلامش[٤١] اسمه سيف الدين قلاوون الألفي، فخلع سلامش، وتسلم زمام الأحكام، فبويع ولقب بالملك المنصور.

وكان مدة حكمه بضع عشرة سنة من ٦٧٨-٦٨٩هـ (١٢٧٩-١٢٩٠م) ، وكان حسن الشكل ، ربع القامة ، قليل الكلام بالعربية، وكان شجاعا بطلا مقداما في الحرب، مغرما بشراء المماليك حتى قيل إنه تكامل عنده ١٢,٠٠٠ مملوك أكثرهم من الشراكسة، وحارب الصليبيين وغيرهم ، وخلف آثارا بنائية لا يزال بعضها قائما إلى اليوم، منها المارستان المنصوري، وجامع قلاوون في شارع النحاسين بمصر.

وبلغ من عنايته بالمماليك أنه غير ملابسهم، وألبسهم المخمل الأحمر والأخضر والسمور والفرو، وكان استكثاره من الممالك الشراكسة سببا في خروج السلطة من نسله، كما أصاب الملك الصالح باستكثاره من المماليك الأتراك. فتوالى على الملك بعده بعض أولاده وبعض مماليكه الأتراك[٤٢] ولم يثبت الملك طويلا إلا لابنه الناصر بن قلاوون من سنة ٧٠٩-٧٤١هـ (١٣١٠-١٣٤١م) فخلف آثارا كثيرة، وحارب حروبا جمة ، ومن جملة آثاره مجراة الماء، والسقايات السبع على حدود مصر القديمة في القاهرة.

وتكاثرت مماليك الملك الناصر المذكور في أواخر أيامه، وانتقل الحكم بعده إلى أبنائه الواحد بعد الآخر، وهم ثمانية، من سنة ٧٤١-٧٦٢هـ (١٣٤١-١٣٦١م) ومنهم السلطان حسن صاحب الجامع المعروف باسمه في مصر ، وانتقل[٤٣] [ص/٢٢] بعدهم إلى جماعة من أهلهم حكموا ٢٢سنة أخرى[٤٤] حتى انتقل سنة ٧٨٤هـ إلى دولة المماليك الشراكسة أو " دولة المماليك الثانية".

دولة المماليك الثانية، أو الشراكسة

والمماليك الشراكسة هم مماليك السلطان قلاوون المتقدم ذكره، وهم جنس من أهل آسيا يخالف الأتراك، أصلهم من جهات سيبريا ونواحي بحيرة " بيقال"، وهاجروا في القرن السادس للميلاد إلى غربي بحر قزوين يحملون من بلادهم للاتجار بهم في أنحاء العالم، فاقتنى منهم سلطان المماليك البحرية الأخير عددا وافوا فضلا عن المماليك البحرية اقتداء بأسلافه، وكانوا يستخدمونهم في صالح الدولة فارتقوا فيها تبعا لما خصتهم به الطبيعة من الجمال والذكاء حتى صارت إليهم حماية الحصون والقلاع فجعلوا سكناهم في الأبراج فلقبوا " بالبرجية" وما زالوا يزدادون عددا وقوة ومنعة حتى تاقت نفوسهم إلى تسلق كرسي الملك يجعلونه إرثا في نسلهم.

فتمكنوا من ذلك على يد مملوك منهم حازم اسمه برقوق(٤٥)، وهو ابن مرتد شركسي اسمه أنس، تدرج في مصالح الدولة من أدناها إلى أعلاها بحزمه ودهائه حتى تمكن من تسلق كرسي الملك سنة ٧٨٣هـ(٤٦)، ومازال حاكما نافذ الكلمة إلى سنة ٨٠١هـ (١٣٩٩م).

وفي أيامه حمل " تيمورلنك"(٤٧) القائد التتري على العالم الإسلامي حتى هدد حدود سوريا فحمل عليه برقوق في صفد وأوقفه عند حده.

أول علائق العثمانيين بمصر

وفي أثناء ذلك أفضت سلطنة آل عثمان إلى السلطان بايازيد(٤٨) [ص/٢٣] في آسيا الصغرى، وقد طمع بمصر فجاء تيمورلنك لينازعه عليها وعلى مصر، فبعث كل منهما وفدا إلى القاهرة. فطلب وفد بايازيد إلى برقوق أن يعاهده على السلم، وإلى الخليفة العباسي المقيم في القاهرة أن يقر بايازيد رسميا على سلطنة الأناضول، فأجابهم إلى ما طلبوه.

أما وفد تيمورلنك فاتخذوا خطة أخرى لأنهم استعملوا الخشونة والفظاظة في أقوالهم ومطالبهم، فطلبوا منه أن يسلم لهم قرا يوسف، وأحمد بن ويس اللذين قد التجآ إليه(٤٩)، فطيب برقوق خاطرهم وأخذهم بالملاينة فازدادوا فجورا، فأمر بقتلهم، فشق ذلك على تيمورلنك، فساق جيشه وقدم للانتقام فمر بالرها، وقتل من فيها ثم جاء حلب فأنكي فيها، ثم توقف عن مسيره لغرض في نفسه يسهل عليه افتتاح مصر، فلم يغفل برقوق عن ذلك فأكثر من الجند والسلاح ، وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكد يتم هذه التأهبات حتى أدركته الوفاة(٥٠).

[ص/٢٤] والسلطان برقوق أعظم سلاطين دولة المماليك الشراكسة أو الثانية وله آثار منها جامع لا يزال يعرف باسمه وكان له ولع خاص باقتناء الأسلحة، ونظم الجند، وعين رتبه، وجعل مناصب الدولة إلى تسعة من كبار الموظفين أكبرهم أتابك العساكر، فرأس نوبة الأمراء فأمير السلاح، فأمير المجلس، فأمير الياخور، فالدوادار، فرأس النوبة الثاني ، فحاجب الحجاب(٥١)، وهو أول من عقد مع العثمانيين صلحا أو عهدا، كما رأيت.

وتولى الملك بعده اثنان من أولاده، الواحد بعد الآخر[٥٢] ثم تنازع السيادة مماليك آخرون[٥٣] يطول بنا ذكر مدد حكمهم، أهمهم فيما نحن فيه : الملك الأشرف قايتباي من سنة ٨٧٢-٩٠١هـ (١٤٦٨-١٤٩٦م).

تولى الملك والمملكة المصرية في اضطراب، وفي أيامه اقتضت الأحوال أن تتداخل الدولة العثمانية بمصر، وتعاديها وذلك أن السلطان محمد الثاني حارب ملك الفرس " أوزون" وتغلب عليه [٥٤] وكان بين المصريين والفرس تحالف. ثم ما لبث"قايت بك" أن سمع بعزم السلطان المذكور على فتح " سوريا" سنة ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) ولكن لم يخرج من بر الأناضول حتى داهمته المنية في مدينة " طيفور جاير" وتخاصم ابناه " بايازيد"، و" جم" أو " زيزم" على الملك ، فشغلا عن الفتح، فاغتنم قايت باي تلك الفرصة وانسحب بجيشه إلى مصر.

وما زال الخصام يتعاظم بين ابني محمد حتى كانت بينهما [٥٥] واقعة " يكي شهر" [٥٦] فانهزم جم حتى أتى مصر، والتجأ إلى قايت بك ، فأكرم وفادته، ثم علم أن ذلك الإكرام يهيج حاسة الانتقام في بايازيد " الثاني" فقال في نفسه: " إذا كان لابد من محاربة العثمانيين لنكن [ص/٢٥] مهاجمين أولى من أن نكون مدافعين" فجعل يناوئ الأتراك ويقطع السبل على قوافلهم الناقلة الحجاج إلى الحرمين حتى قبض على وفد هندي مرسل في مهمة سياسية إلى بايازيد، واستولى على " أدنة" و " ترسوس" وكانتا في حوزة العثمانيين.

أما بايازيد فكان واقفا بالمرصاد ينتحل حجة لمهاجمة المصريين فجاءت تلك الإجراءات طينة على عجينة، إلا أنه رأي أن يأتيهم من باب الحزم فأنفذ إليهم رسلا في طلب التعويض عما سببوه من الخسائر والأضرار، فأرجع" قايت باي" الرسل وبعث يهاجم الجيوش العثمانية، فقاومته أشد المقاومة، وأرجعت جيشه إلى ملاطيه، فأنجدهم " قايت باي" بخمسة آلاف رجل فعادوا إلى العثمانيين وهم في مضايق الجبال، فهجموا عليهم بغتة، وذبحوا منهم عددا كبيرا، وفر الباقون وتحصنوا في " ترسوس" و" أدنة" فاتصل ذلك بقايت بك فأرسل الأمير الأزبكي في نجدة لإخراج العثمانيين من تينك المدينتين ، فسار وحارب وفاز فشق ذلك على بايازيد وآلى على نفسه إلا أن يسترجع ترسوس وأدنة، فأنفذ [٥٧] جيشا كبيرا تحت قيادة صهره أحمد، وهو ابن أمير البوسنة فلما وصل إلى معسكر الأزبكي[٥٨] اقتتل الجيشان فهجم أحمد

هجمة قوية، لكن رجاله لم يستطيعوا الثبات، ففازت الجيوش المصرية، وأسر أحمد بعد أن جاهد جهادا حسنا، فعاد الأزبكي بأسيره إلى مصر ظافرا، فبني جامعه المشهور المعروف بجامع الأزبكية(٥٩) وكانت في أيامه بركة يتجمع إليها الماء أيام الفيضان وهي التي صارت الآن حديقة الأزبكية.

فلما بلغ بايازيد ما كان من انكسار جيوشه، استشاط غضبا، وجند جندا كبيرا جعله تحت قيادة " على باشا" لمحاربة [ص/٢٦] المصريين، فسارت تلك الحملة من الآستانة فعبرت البوسفور في ٣ ربيع آخر سنة ٨٩٣(٦٠) ، ونزلت قرمان، فاتصل خبرها بقايت بك، فأوجس خيفة فعمد إلى المصالحة، فأنفذ إلى بايازيد صهره أحمد واسطة لعقد شروط الصلح، فرفض بايازيد ذلك رفضا باتا، وسار حتى التقى بالمصريين في " أدنة " و" ترسوس" فحاربهم وفاز عليهم، واسترجع المدينتين الواحدة بعد الأخرى، بعد أن أهدر دماء غزيرة ثم سار إلى أرمينيا وأخضعها، وحاصر عاصمتها، فافتتحها بعد أن دافعت دفاعا قويا، وأسر حاكمها، وأرسله بعد ذلك إلى مصر بدلا من الأمير أحمد، فبعث قايت باي الأزبكي ثانية لدفع العثمانيين، فواقعهم في "ترسوس" فغلبوه أولا ثم عاد إليهم وفاز بهم وأعادهم القهقري وعاد إلى القاهرة ظافرا، فخلع عليه قايت باي، ثم رأي أن يغتنم كونه ظافرا لمصالحة العثمانيين، فبعث إلى بايازيد في ذلك فأجابه وطلب إليه أن يتنازل له عن " ترسوس" و"أدنة" وأنه إذا لم يفعل يدعو الناس إلى الجهاد، فيجتمع تحت لوائه كل من يدعو لآل عثمان، فيجيئ مصر ويفتحها فتحا مبينا، فخاف قايت بك وتنازل عن المدينتين اكتفاء بأهون الشوين وكان ذلك سنة ٨٩٦هـ (١٤٩١م) ، فقايت بك أول من حارب العثمانيين، وكان عادلا محبوبا، وما زال العقلاء الذين عاصروا سائر دولة المماليك يضربون المثل بأيامه، ويطلبون الرجوع إلى مثلها.

حرب أخرى مع العثمانيين

قنسوه (٦١) الغوري

خلف قايت باي على مصر خمسة سلاطين (٦٢) لم يطل حكمهم أكثر من [ص/٢٧] من خمس سنين لاضطراب الأحوال فجاء بعدهم السلطان قنسو الغوري

حكم من سنة ٩٠٦-٩٢٢هـ (١٥٠١-١٥١٦م) وكان مخلصا في الحكم وهو صاحب الجامع المعروف باسمه في القاهرة.

ويهمنا هنا أن في أيامه حدث اختلاف آخر بين العثمانيين والمصريين. وذلك أن كركود أخا السلطان سليم بن بايازيد جاء مصر سنة ٩١٨هـ (١٥١٢) فارا من أخيه، وكانا قد تخاصما على الملك كما حصل بجم وبايازيد قبلا، فرحب قنسو الغوري به ترحابا عظيما وجهزه بعشرين بارجة بحرية لافتتاح القسطنطينية، فذهبت العمارة غنيمة لمراكب " أورشليم " في البحر المتوسط ولم تكن النتيجة إلا إثارة غضب السلطان سليم على مصر فجهز إليها، وابتدأ بفتح الحدود السورية وأرسل إلى مصر رسائل التهديد، فاتحد الغوري مع ملك الفرس إسماعيل شاه على قهر العثمانيين، وكان الفرس في حرب معهم وسنعود إلى تفصيل ذلك إلا أن الجيوش العثمانية لم تبال بكثرة العدد فشتت الجيشين وأي تشتيت. فعمد قنسو الغوري إلى مخابرة العثمانيين بأمر الصلح على أي وجه كان، وبعث إلى السلطان سليم بذلك فسارت الرسل إلى السلطان سليم فخروا ساجدين وخاطبوه بأمر الصلح فقال لهم وقد استشاط غيظا" لقد فات الأوان، انهضوا وارجعوا إلى سلطانكم وقولوا له، إن الرجل لا تعثر بحجر واحد مرتين ، وها إني ذاهب إلى القاهرة فيستعد للدفاع إن كان له أهلا" .

فعادوا وأخبروا بما كان، فجمع قنسو رجاله وزحف لملاقاة الجيوش العثمانية فالتقى بها في " مرج دابق" قرب حلب فانتشبت [ص/٢٨] الحرب هناك وأظهر الغوري بسالة وثباتا عظيمين حتى أوشكت رجاله أن تستظهر، فمنعتها مدافع العثمانيين من ذلك ولم يكن للمصريين، مثل ذلك السلاح[٦٣] فتشوش نظامهم ووقع الرعب في قلوبهم، وانحاز قائدا جناحيهم إلى العثمانيين، وكان الغوري قائدا لقلب الجيش فاضطر إلى الفرار، فحول شكيمة جواده، فسقط عنه لشدة الازدحام وقتل تحت أرجل الخيل سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م).

آخر السلاطين المماليك

فخلفه الملك " الأشرف طومان باي" ابن أخيه، وفي أيامه فتح السلطان سليم مصر وصارت عثمانية، ولم يتم طومان باي سنة في حكمه، وقبل التقدم إلى تفصيل ذلك الفتح، نأتي بفذلكة عن تاريخ الدولة العثمانية إلى سنة الفتح فنقول:

الدولة العثمانية

هي دولة تركية لكنها تختلف عن دولة المماليك التركية (الأولى) المتقدم ذكرها أن أصحابها لم يكونوا من المماليك بل هم قوم أحرار أهل سيادة، جاءوا فاتحين – وقد نشأت في الإسلام عدة دول تركية منها أربع دول نشأت وانقرضت في أيام العباسيين قبل سقوط بغداد، وكان مؤسسوها في الغالب عمالا للعباسيين في بعض الولايات ثم استقلوا وهي: الدولة الطولونية والإيليكية[٦٤] والإخشيدية والغزنوية[٦٥]، وليس في الدولة التركية دولة كان أصحابها أهل سيادة في بلادهم وجاءوا [ص/٢٩] المملكة الإسلامية فاتحين إلا السلاجقة والعثمانيون.

أما دولة السلاجقة فمؤسسها أمير تركي كان في خدمة بعض خانات تركستان فعلم باختلال المملكة العباسية، فطمع بها وعلم أنه لا يبلغ ذلك وهو على غير دين الإسلام، فأسلم هو وقبيلته وسائر جنده ورجال عصبيته دفعة واحدة[٦٦]. ونهض بجميع هؤلاء من تركستان وساروا غربا فقطعوا نهر جيحون وتدرجوا في الفتح ونشر السيادة حتى اكتسحوا المملكة العباسية، وامتد سلطانهم من أفغانستان إلى البحر الأبيض وكانت لهم بعد ذلك دولة عريضة تفرعت إلى خمسة فروع[٦٧] لا محل لذكرها هنا، ولما شاخت دولتهم، أفضت المملكة إلى مماليكهم، ويسمونهم الأتابكة، واحدهم " أتابك" فتفرعت المملكة السلجوقية بهم عشر ممالك[٦٨] ، وبقي من السلاجقة فرع عرف بسلاجقة الروم في آسيا الصغرى، تفرع إلى ثماني إمارات[٦٩] أخذها منهم العثمانيون، وأقاموا دولتهم على أنقاضها كما سيجيئ.

العثمانيون شأنهم في تأسيس دولتهم مثل شأن السلاجقة، فإنهم جاءوا من تركستان وهم أهل دولة وأصلهم من التتر الذين يقطنون ما يجاور جبال ألتاي عند حدود الصين الشمالية، ويغلب على الظن أنهم الإسكتيون المعروفون قديما بالشجاعة وشدة البأس، ويقال إن جماعة منهم ينتسبون إلى جد يقال له" ترك" نزحوا غربا في

القرن الأول للميلاد، وأقاموا فيما هو الآن تركستان، وهي مشهورة بجـودة الإقليـم وخصب المرعى وجمال المكان وقوة الأبدان(٧٠).

وما استتب لهم المقام هناك حتى أخذوا يمدون سـلطتهم[ص/٣٠] وهـم لا يزالون في حال الجاهلية، ولم يعتنقوا الإسلام إلا في أواسط القرن الرابـع للـهجرة وأشهرهم طائفتان، إحداهما السلاجقة المتقدم ذكرهم، وقلنا إن منهم فرعا ظل سـائدا في آسيا الصغرى إلى أواخر القرن السابع للهجرة، وسلطانه يومئذ علاء الدين كيقباد الثاني(٧١)، تولى الملك سنة ٦٩٦هـ (١٢٩٦) م.

أما الأغوزية فما زالوا مقيمين في تركستان حتى ظهر جنكيز خان القـائد المغولي وغزا قبائل تلك البلاد، فأذعنوا له إلا الأوغوزية فإنهم هاجروا بقيادة أمـير يدعى سليمان يطلبون مقاما ومرعى لماشيتها، وما زالوا يسيرون غربا حتى حـدث وهم يعبرون الفرات أن أميرهم سقط بجواده في النهر ومات(٧٢)، فدفنوه هناك وهـو جد السلطان عثمان مؤسس هذه الدولة فأصبحوا بعده جماعات متفرقة، فـاتخذ ابنـه أرطغرل قيادة جماعة منهم وسار بهم يخترق آسيا الصغرى ، وهو في بعض السهول شاهد أرطغرل عن بعد غبارا متصاعدا وحربا قائمة، فتقدم علـى نيـة الانتصـار لأضعف الفئتين المتحاربتين، ففعل، وهو لا يدري لمن ينتصر، فقيض الله النصر لـه ن وتقهقرت الفئة الأخرى ثم علم أنه انتصر للسـلجوقيين وقـهروا المغوليين(٧٣) ، فشكر الله على ذلك.

فنال منزلة رفيعة لدى علاء الدين السلجوقي(٧٤)، فأقطعه بقعة كبيرة يقيـم فيها برجاله على حدود فريجيا وبيثينيا(٧٥) فكانت أرضا خصيبة ذات مرعى حسـن- وفي تلك البقعة نشأ ابنه عثمان وشب [ص/٣١] وترعرع ومازال أرطغـرل تحـت رعاية علاء الدين حتى توفي(٧٦) فخلفه ابنه عثمان(٧٧) ثم توفي علاء الديـن فاقتسـم أمراؤه مملكته ، فاستقل عثمان بما لديه سنة ١٣٠٠م وهو أول أمراء آل عثمان(٧٨).

ومن التقاليد المأثورة بين العثمانيين ، أن عثمان هذا عشق وهو شاب فتـاة تدعى " مال خاتون" وكان والدها شيخا تقيا ورعا طاعنا في السن اسمه أدبالي، فلمـا شعر بمحبة عثمان لابنته، خاف العاقبة وصار يحاول إبعادهما الواحد عـن الآخـر، وبالغ في حجاب ابنته لأنه لم يكن يطمع بمصاهرة ابن حاكمه(٧٩).

فجاء عثمان ذات ليلة ليبيت في منزل أدبالي وقضى معظم الليل هاجسا بحبيبته[٨٠] حتى غلب عليه النعاس، فرأي في الحلم [ص/٣٢] كأن القمر خارج من صدر أدبالي، ثم رآه يتسع بسرعة حتى غطى كل ما كان واقعا تحت نظره من الأرض، ثم أخذ في التقلص حتى عاد إلى حجمه الأول، وارتد إلى صدر أدبالي كما كان ، ثم رأى شجرة عظيمة خارجة من صلب أدبالي، وأخذ ظلها يمتد حتى غطى البر والبحر وتراءي له أن أنهر دجلة والفرات والطونة والنيل خارجة من أصل تلك الشجرة، وجبال قوقاس[٨١] وأطلس وطوروس وهيموس تستظل بأغصانها، ورأي أوراقها تستطيل وتسترق حتى صارت كالسيوف ورؤوسها مصوبة إلى أشهر عواصم العالم، خصوصا القسطنطينية الواقعة في ملتقى القارتين ومجمع البحرين. وخيل له أنها جوهرة بين زمردتين وياقوتتين مصطنعة في فص خاتم وأنه أهم أن يجعل ذلك الخاتم في اصبعه، فاستيقظ مبغوتا، فأخبر أدبالي في الصباح بما كان، فاستبشر بما سيكون من مستقبل ذلك الشاب، وأنه سيمتلك القسطنطينية[٨٢].

وما انفك خلفاء عثمان كلما اتسع سلطانهم يزدادون ثقة بمآل ذلك الحلم، وقد حاول بعضهم فتح القسطنطينية، فرجع ولم ينل وطره[٨٣]، حتى ظهر محمد الفاتح[٨٤] السابع من سلاطين آل عثمان، وبينه وبين صاحب الحلم نحو ١٦٠سنة ، ففتحها بعد أن يئس المسلمون من فتحها. وحارب العثمانيون أعظم ملوك أوربا، وطاردوهم إلى بلاد المجر، وحاصروا فيينا عاصمة النمسا، وأخذوا الجزية من الأرشيدوق فردينان[٨٥] ، واكتسحوا البحر الأبيض إلى شواطئ آسيا، ووجهوا مطامعهم من الجهة الأخرى نحو الشرق[ص/٣٣] ففتحوا العراق والشام ومصر على يد السلطان سليم الفاتح الذي نحن في صدده[٨٦].

الإنكشارية

وقد تمكن العثمانيون من هذه الفتوح العظيمة بواسطة الانكشارية[٨٧] وهم جند أنشأه العثمانيون على شكل خاص لم يسبق له مثيل، لخلوه من عصبية تبعثه على التمرد، لأنه مؤلف من الغلمان الذين كان العثمانيون يأسرونهم في الحرب وأكثرهم من أصل مسيحي، فكان العثمانيون في أول دولتهم إذا فتحوا بلدا دخل في حوزتهم من أهله المأسورين، جماعة من غلمان النصارى الذين قتل آباؤهم وأصبحوا لا

نصير لهم، ولا مرجع لمآلهم فارتأي قرة خليل وزير[٨٨] السلطان أورخان ثاني سلاطين آل عثمان (سنة ٧٢٦-٧٦١هـ)(١٣٢٦-١٣٦٠م) أن يربي أولئك الغلمان تربية إسلامية ويدربهم على الفنون الحربية، ويجعلهم جندا دائما لا يخشى منه التمرد، لأنه لا يعرف عصبية غير الدولة، ولا عملا غير الجندية، **[ص/٣٤]** ولا دينا غير الإسلام، فجندهم وسار بهم إلى الحاج بكطاش[٨٩] شيخ طريقة البكطاشية بأماسيا، ليدعو لهم فدعا لهم وسماهم " يكي جري" أي الجند الجديد.

ولم يكن قره خليل هذا أول من فكر في تجنيد غلمان النصارى كما يظن أكثر مؤرخي الأتراك، فإن الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر الذي تقدم ذكره، فعل ذلك قبل تأسيس الدولة العثمانية وهو متوجه إلى دمشق سنة ٦٦٥هـ (١٢٦٧م) لملاقاة عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس[٩٠]، فنزل بلدا اسمه قارا بين دمشق وحمص ، فأمر بنهب أهلها النصارى وقتل كبارهم لأنهم كانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم سرا للصليبيين وأخذ صبيانهم مماليك رباهم بين الأتراك في الديار المصرية، فنشأوا على الإسلام وتجندوا في الجيش التركي.

[ص/٣٥] على أن قره خليل جعل للإنكشارية شروطا لم يسبق لها مثيل [٩١] فقسمهم إلى وجاقات واحدها وجاق [٩٢]، والوجاق يقسم إلى أورط إحداها أورطة[٩٣] ، ولكل أورطة عدد تعرف به، ولبعضها أسماء خاصة، ويختلف عدد الجند في كل أورطة حسب الأعصر من ١٠٠إلى ٥٠٠ ويختلف عدد الأورط في الوجاقات بمقتضى ذلك وأكبر ضباط الوجاق أو قائدها الأكبر يسمى " أغا" تحته سكبان[٩٤] باشي، تحته غيره فغيره على هذه الصورة.

الأغا: قائد الوجاق ويقابل اللواء في هذه الأيام[٩٥]، سكبان باشي: ينوب عن الأغا في الآستانة ويقابل القائمقام اليوم.[٩٦] قول كخيا أو كخيابك: نائب الأغا أو السكبان باشي. سمسونجي باشي: قائد أورطة نمرو ٧١. زغرجي باشي[٩٧] : قائد الأورطة نمرو ٦٤. محضر أغا[٩٨]: ينوب عن الإنكشارية عند الصدر الأعظم. خصكي[٩٩]: ينوب عن الأغا في القيادة على الحدود. باشجاويش[١٠٠]: قائد الأورطة الخامسة. كخيابري[١٠١]: ينوب عن الوجاق لدى الأغا. الأفندي: الكاتب.

ولكل أورطة ضباط يقتسمون قيادتها وإدارة شئونها على هذه الصورة:

١- الجوربجي: رئيس الأورطة يشبه الكولونيل.

٢- أوده باشي[١٠٢]: نائب الجوربجي في المناورات العسكرية.

٣- وكيل الخرج: يتولى أمرالطعام والشراب.

٤- بيرقدار: يتولى الأعلام والبيارق.

٥- باش اسكي[١٠٣]: يتولى قيادة القراقولات.

٦- اشجي: الطاهي[١٠٤].

[ص/٣٧] قوانين الانكشارية

قد رأيت أن جند الانكشارية تجند في زمن السلطان أورخان ولكن الفضل الأكبر في تنظيمه وترتيبه يرجع إلى السلطان مراد الأول (تولى سنة ٧٦١هـ) ١٣٥٩م وهذه خلاصة قوانينهم:

١- الطاعة العمياء لقوادهم وضباطهم أو من ينوب عنهم.

٢- تبادل الاتحاد بين الفرق كأنها فرقة واحدة وتكون مساكنها متقاربة.

٣- التجافي عن كل مالا يليق بالجندي الباسل من الإسراف أو الانغماس ويكون سؤولهم [١٠٥] عن البساطة في كل شئ.

٤- الإخلاص في الانتماء إلى الحاج بكطاش من حيث الطريقة مع القيام بفروض الإسلام.

٥- لا يقبل في سلك الانكشارية إلا الذين يشبون من غلمان الأسر على التربية الخاصة بين غلمان الأعاجم.

٦- إن الحكم عليهم بالإعدام ينفذ بشكل خاص.

٧- يكون الترقي في المراتب حسب الأقدمية.

٨- لا يجوز أن يوبخ الإنكشارية ولا يعاقبهم غير ضباطهم.

٩- إذا عجز أحدهم عن العمل يحال على المعاش.

١٠- لا يجوز لهم إرسال لحاهم.

١١- لا يجوز لهم أن يتزوجوا.

١٢- لا يجوز لهم الابتعاد عن ثكناتهم.

١٣- لا يجوز لهم أن يتعاطوا عملا غير الجندية.

١٤- يقضون أوقاتهم بالرياضة البدنية

والتمرين على الحركات العسكرية.[١٠٦]

[ص/٣٩] فإذا تدبرت هذه القوانين هان عليك تصور الأعمال العظيمة التي أتاها هذا الجند في مصلحة الدولة العثمانية من الفتوح العظام.

وقد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة ترفع الناس عن الانتظام في هذا الجند لأنه مجموع من لقطاء لا يعرف لأحد منهم أب ولا أم، ولكنك تفهم من البند الخامس من قوانينهم أنهم كانوا يحظرون على غير اللقيط أو المملوك الانتظام في جندهم، وكان السلاطين يشددون في تعظيم هذا الأمر في عيونهم.

رواتب الانكشارية (العلوفة)

الأصل في ترتيب العلوفة أن تدفع يوميا، لكنها لم تكن تدفع إلا مرة كل ثلاثة أشهر، تخفيفا للنقلة، فكانوا يؤدونها أربع مرات في السنة، وتعرف كل مرة باسم مؤلف في ثلاثة أحرف مقتطعة من أسماء أوائل شهورها، فالربع الأول من السنة مؤلف من ثلاثة أشهر محرم وصفر وربيع، فالأحرف الأولى من هذه الأشهر إذا جمعت من هذا الترتيب كانت " مصر " وعلى هذا النسق كانوا يسمون الربع الثاني رجج، وقد يقطعون من اسم الشهر غير حرفه الأول مراعاة للفظ، فالربع الثالث(رجب، شعبان، رمضان) يسمونه رشن بإقطاع النون من رمضان بدل الراء، وقس على ذلك وكانت لهم رسوم في تفريق العلوفة لا محل لها.

أما مقدار العلوفة فقد كان في أول إنشاء هذا الجند درهما واحدا عن كل انكشاري في اليوم ثم ارتفعت إلى ثلاثة دراهم، وفي ختام سنة ١٠٠٠(١٥٩٢م) صارت العلوفة خمسة دراهم، وكان للإنكشارية هدايا ينالونها في الأعياد، وعند تولية السلاطين[١٠٧] يسمى بخشش الجلوس[١٠٨] وكان هذا [ص/٤٠] البخشش يعطى لسائر الجند ولكبار الموظفين ، وله مقادير معينة [١٠٩].

ملابس الانكشارية

وكان المعول عند العثمانيين في التفريق بين الرتب وتميز أصحابها بعضهم عن بعض بأشكال القلانس (القاووق)، أو الأقبية (القفطان)، أو الأحزمة(الكمر) أو ألوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وكذلك الأقبية

والأحزمة وغيرها على اختلاف في ألوانها وأشكال أزرارها فضلا عن الأعلام. واختلف المؤرخون في وصف هذه الألبسة، واختلفوا في أسمائها وأشكالها باختلاف العصور، وفي الرسوم المنشورة هنا مثال منها[110].

فالصورة الأولى من الانكشارية، التي عليها (ش١) : هي صورة أغا الانكشارية وعليه القفطان والجبة وحول وسطه الحزام وفيه الخنجر، وفي قدميه نعال مكشوفة، وإلى يمينه في الطرف نائبه المسمى قول كخيا، وقاووقه يختلف عن ذلك اختلافا كثيرا وفي قمته شبه المروحة من الريش، وبجانبه، بينه وبين الأغا خادم الأغا وعمامته كالعمائم المعروفة. وإلى يسار الأغا الباشجاويش ويختلف لباسه عن أولئك من كل جهة خصوصا قاووقه وبنطاله ونعاله.

وفي الصورة (ش٢) أنفار الانكشارية، فإن نمرة ٣ خوذة جندي واقف وعليه الجبة والقفطان والقاووق بشكل خاص مثني إلى الوراء ونمرة ٤ انكشاري واقف وقفة الاحترام و(١) ضرب آخر من الانكشارية يعرف بسلاق و(٥) نوع آخر جيولك وانتبه إلى نمرة (٢) فإنها [ص/٤١] صورة أحد الغلمان الأعاجم وهم الصبيان الذين يقيمون في الثكنات للتمرن على المهمات العسكرية استعدادا للدخول في الوجاقات و(٦) انكشاري مدرع. وكان للانكشارية سلاح خاص وموسيقى خاصة بهم وبهذا الجند ضمن السلطان سليم! على مصر وقهر دولة المماليك.

السلطان سليم الفاتح

ولد سنة ٨٥٩هـ [111] وتولى ٩١٨هـ(١٥١٢م)وفتح مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وتوفي سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م).

هو السلطان التاسع من سلاطين آل عثمان[112] وهو أول خليفة منهم لأن السلاطين بعده خلفاء أيضا أي أن كلا منهم سلطان وخليفة أي له السلطتان السياسية والدينية، وبما أنه هو فاتح مصر حق علينا أن نذكر ترجمته.

هو ابن السلطان بايازيد الثاني وقد تقدم في ترجمة قنسو الغوري أنه تخاصم مع أخيه كركود وفر هذا إلى مصر واحتمى بسلطانها قنصو، وسبب هذا الخصام أنه كان لبايازيد الثاني (سنة ٨٨٦هـ- ٩١٨هـ) ١٤٨١- ١٥١٢م ثمانية أولاد ذكور، توفي منهم خمسة وبقي ثلاثة وهم كركود وأحمد وسليم، وكان كركود يحب العلم

ومجالس العلماء، فمقته الانكشارية لأنهم أهل حرب لا رزق لهم إلا بها، وكان أحمد محبوبا لدى أعيان الدولة والأمراء، أما سليم فكان رجل حرب وبطش فأحبه الانكشارية ونصروه.

ولحظ والدهم اختلافهم في المشارب والمناقب فخاف تنازعهم ففرق بينهم فعين كركود واليا على إحدى الولايات [ص/٤٢] البعيدة[١١٣]، وولى أحمد على أماسيا وسليما[١١٤] على طرابزون وكان لسليم ولد اسمه سليمان (صار بعد ذلك سليمان القانوني) فعينه جده بايازيد واليا على كافا[١١٥] في بلاد القرم فلم يرض سليم بمنصبه في طرابزون فتركه وسافر إلى كافا، وبعث إلي[١١٦] أبيه يطلب إليه أن يعينه على ولاية في أوربا، فلم يقبل السلطان بايازيد، وأصر على بقائه في طرابزون، فجاهر سليم بالعصيان على والده، وزحف بجيش جمعه من قبائل التتر إلى بلاد الروملي، فبعث والده جيشا لإرهابه، فلم يتهيب، فلم ير بايازيد بدا من مراضاته حقنا للدماء، فعينه واليا على مدينتي سمندرية وودين في بلاد البلغار سنة ١٥١١.

فلما علم كركود بنجاح أخيه أحب أن يقتدي به، فانتقل إلى ولاية صاروخان، وتولاها بدون أمر أبيه، ليكون قريبا من القسطنطينية عند الحاجة، وخرج سليم على أدرنة وأعلن نفسه سلطانا عليها، فجرد والده عليه جندا لمحاربته، وجندا لمحاربة أخيه كركود في آسيا، ففر سليم إلى بلاد القرم، وفر كركود أيضا. فأخذ الانكشارية يناصرون سليما، وألجأوا السلطان إلى العفو عنه ، وإعادته إلى ولايته في سمندرية، فلاقاه الانكشارية في أثناء الطريق وحملوه إلى القسطنطينية، وأدخلوه سراي السلطان باحتفال وطلبوا إلى بايازيد أن يتنازل عن الملك لابنه هذا فأطاع وترك القسطنطينية ليقضي باقي حياته في ديموتيقا[١١٧] ، فتوفي في الطريق ويظن أن ابنه سليما[١١٨] [ص/٤٣] دس له السم خوفا منه.

تولى السلطان سليم العرش العثماني سنة ٩١٨هـ (١٥١٢م) بقوة الانكشارية فوزع فيهم الجوائز، وعين ابنه سليمان حاكما على القسطنطينية وخرج بجيوشه على أخويه[١١٩] ولولاده حتى يهدأ باله ويستقر له الملك بلا منازع، فاقتفى أثر أخيه أحمد إلى أنقرة، فلم يقدر عليه هناك، فذهب إلى " بورصة" فقبض فيها على خمسة من أولاد إخوته، وأمر بقتلهم، ثم شخص إلى " صاروخان" مقر أخيه " كركود

ففر " كركود" إلى الجبال. وما زال يطارده حتى قبض عليه وقتله وعاد إلى أحمد، فحاربه، فانهزم فطارده حتى قتل سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م).

فاطمأن بال سليم من جهته الداخلية، إذ استقر له الملك بذهاب منازعيه، ومال إلى المهادنة. فعاد[١٢٠] إلى أدرنة وكان في انتظاره هناك، سفراء البندقية والمجر وموسكو ومصر، فأبرم معهم عهدا على المهادنة لمدة طويلة، لأن مطامعه كانت متجهة إلى بلاد الفرس، لمحاربة الشيعة. وكان الفرس في عهد الدولة الصفوية. وقد أسسها شاه إسماعيل سنة ٩٠٧هـ [١٢١] وفتح شروان واستقر في تبريز، فجعلها عاصمة مملكته، ثم فتح العراق وخراسان وما وراءها إلى هرات، فغلب على حكامها التيموريين التتر، فامتدت سلطته من نهر الأكسوس إلى خارج فارس، أي من أفغانستان إلى الفرات، فخافه العثمانيون، وهاجت فتوحه مطامعهم وتنبهت الضغائن بين السنة والشيعة، والعثمانيون حماة السنة كما كان الصفويون حماة الشيعة.

[ص/٤٤] وكان إسماعيل شاه، لما تمرد سليم وأخوه أحمد، على أبيهما، أخذ يناصر أحمد في عصيانه على أبيهما ثم على أخيه سليم، وكتب من الجهة الأخرى إلى مصر يطلب محالفتها على العثمانيين عند الحاجة. فبلغ ذلك إلى السلطان سليم، وهو رجل حرب وبطش، فهاجت مطامعه، ولم يعد يقنع بغير الفتح والتغلب على الدولتين جميعا. وأمر بالقبض على من كان من الشيعة في حدود مملكته، وعددهم نحو ٤٠,٠٠٠ وقتلهم[١٢٢]، وأعلن شاه إسماعيل بالحرب وخرج بجيوشه من أدرنة في ٢٢محرم سنة ٩٢٠(١٩مارس ١٥١٤م) وعددهم ٤٠,٠٠٠ماش و٨٠,٠٠٠راكب، وجرت بينه وبين الشاه إسماعيل في أثناء مسيره مكاتبات محشوة بالتهديد والوعيد ، وجعل السلطان سليم وجهته مدينة تبريز عاصمة الشاه المذكور.

وكانت الجنود الفارسية في أثناء الطريق تتقهقر أمام العثمانيين خداعا حتى يتبعوهم، ثم ينقضون عليهم، حتى إذا وصلوا أرباض تبريز، جرت واقعة[١٢٣] انتصرت فيها الجنود العثمانية بقيادة " سنان باشا" وفر الشاه بمن بقي من جنده وخلف وراءه كثيرين من قواده وأهله في الأسر. وكان من جملة الأسرى إحدى زوجاته، فزوجها السلطان سليم من بعض كتابه، انتقاما من الشاه. وفتحت تبريز أبوابها، فدخلها الفاتح العثماني ظافرا[١٢٤] واستولى على خزائنها وذخائرها وأرسلها إلى القسطنطينية، وفي جملتها عرش مرصع بالماس والياقوت ومطرز باللؤلؤ هو الآن

من جملة ذخائر آل عثمان في سراي طوب قبو بالآستانة، وقد شاهدته ووضعته في مجلة الهلال السنة ١٨ [١٢٥].

[ص/٤٥] وبعد ثمانية أيام اضطر لإخلاء تبريز لقلة المؤونة اللازمة لجنده وأخذ في مطاردة الشاة، ففتح ديار بكر وغيرها، وأراد الإيغال في بلاد فارس، فتوقف الانكشارية عن ذلك ، وقد ملوا الحرب، وتعبوا من الأسفار، فعاد إلى أماسيا للاستراحة في أثناء الشتاء والاستعداد للحرب في أوائل الربيع.

فلما كان الربيع، استأنف الحملة، ففتح بعض البلاد[١٢٦] ورجع إلى القسطنطينية، وخلف بعض قواده، لإتمام الفتح ، وحال وصوله إلى القسطنطينية، حاسب قواد الانكشارية على توقفهم عن السير في حملته المشار إليها، وقتل عددا كبيرا منهم، وقتل قاضي العسكر جعفر جلبي[١٢٧]، لأنه كان من أكبر المسببين لذلك التمرد، وخاف تمردهم ثانية، فغير نظام تعيين الرئيس، وكانوا يعينونه من أكبر قوادهم، فجعل لنفسه الحق في تعيين ذلك الرئيس.

[ص/٤٦] وأما جنوده فإنها واصلت الحرب، ففتحت ماردين وأورفة والرقة والموصل، فتم بذلك فتح ولاية ديار بكر، وخضعت قبائل الأكراد له. ولما تأتي له ذلك فكر في فتح مصر انتقاما من قنسو الغوري على تحالفه مع الشاه إسماعيل وجرت معركة مرج دابق، وقتل قنسو الغوري، كما تقدم، فحمل على مصر.

كيف كانت مصر
لما جاءها السلطان سليم؟

كانت مصر يومئذ في غاية الاضطراب والتضعضع، وقد فسدت النيات، واستفحل الظلم من عهد الغوري، لأن هذا السلطان ارتكب فظائع عديدة، غير قلوب الناس عليه، هذه شهادة مؤرخ معاصر له نفس ابن إياس صاحب كتاب بدائع الزهور، فقد قال في مساوئ قنصو الغوري ما نصه:

" إنه (قنسو) أحدث في أيام دولته من أنواع المظالم ما لم يحدث في سائر الدول من قبله، ومنها أن معاملته في الذهب والفضة والفلوس الجدد أنحس المعاملات جميعها زغل ونحاس وغش لا يحل بها بيع ولا معاملة في ملة من الملل، ومنها ما قرره على الحسبة في كل شهر، وهو مبلغ ٢٧٠٠دينار، وكانت السوقة تبيع البضائع

بما يختارونه من الأثمان، ولا يقدر أحد أن يكلمهم. فإن كلمهم أحد يقولون علينا مال السلطان فكانت سائر البضائع في أيامه غالية بسبب ذلك. وقرر على دار الضرب مالا له صورة في كل شهر فكانوا يضيفون [ص/٤٧] في الذهب والفضة النحاس والرصاص جهارا فكان الأشرفي الذهبي(١٢٨) إذا صفى يظهر فيه ذهب يساوي اثني عشر نصفا. وقد سلم السلطان دار الضرب إلى شخص يسمى جمال الدين ،فلعب بأموال المسلمين وأتلف المعاملة وسبك ذهب السلاطين المتقدمة حتى صار لا يلوح لأحد من الناس منها دينار ولا درهم، فلما شنق جمال الدين قرر في دار الضرب المعلم " يعقوب اليهودي" فمشى في طريقة جمال الدين، وقد استباح أموال المسلمين، فكان النصف الفضة ينكشف في ليلته ويصير في جملة الفلوس الحمر، فاستمر الغش في معاملته في مدد دولته إلى أن مات.

ومنها انه كان يولي الكشاف ومشائخ العربان على بلاد المقطعين والأوقاف فيأخذ منهم المثل أمثالا، فضعف أمر الجند يومئذ وتلاشي حال البلاد الشامية والحلبية، وكان يفرض عليهم الأموال الجزيلة في كل سنة، فيأخذنها من الرعية . وزيادة الظلم والعسف فكان كل واحد من الرعية أصحاب الإقطاع والأوقاف يتمنى الرحيل من بلاده إلى غيرها، من عظم الظلم الذي يصيبهم من النواب، ولاسيما ما حصل لعربان جبل نابلس بسبب المال الذي قرره عليهم لأجل المشاة عند خروج التجريدة (١٢٩) فما حصل لأهل البلاد الشامية بسبب بذلك خير ، وكان حسين نائب جده يأخذ العشر من تجار الهند، المثل عشرة أمثال، فامتنعت التجار من دخول بندر جده، وترك أمره إلى الخراب، وعز وجود الشاشات(١٣٠) بمصر، وعز وجود الأصناف التي كانت تجلب من بلاد الإفرنج [ص/٤٨] والأرز والأنطاع وخرب البندر، وكذلك بندر الإسكندرية، وبندر دمياط، فامتنعت تجار الإفرنج من الدخول إلى تلك البنادر من كثرة الظلم وكان كل أحد من أراذل الناس، يتقرب إلي خاطر السلطان بنوع من أنواع المظالم، فقرر على بيع الغلال قدرا معلوما يؤخذ على كل أردب، ثلاثة أنصاف من البائع ومن المشترى، وكذلك على البطيخ والرومان حتى حرج على بيع الملح.

وجدد في أيامه عدة مكوس(١٣١) من هذا النمط.. ولم يفته من أعيان التجـار أحدا لم يصادره، وصادر أمير المؤمنين المستمسك بالله يعقوب، وأخذ منه مـالا لـه صورة، ودخل في جملة ديون حتى أورد ما قرره عليه.

وأما من مات تحت عقوبته بسبب المال، فمنهم : " القاضي بدر الدين بـن مزهر" كاتب السر، ومنهم : " شمس الدين بن عوض" ومعين الدين بن شمس الدين" ، و"علم الدين" كاتب الخزانة، وغير ذلك ، جماعة كثيرة من المباشرين والعمال، مـاتوا في سجنه بسبب المال والمصادرات.

ومن أفعاله الشنيعة، ما فعله مع أولاد الناس من خروج أقاطيعهم، ورزقـهم من غيرسبب، وإعطاء ذلك إلى مماليكه الجلبان، ومنها قطع جوامك الضعفاء والأيتام من الرجال والنساء والصغار، وحصل لهم الضرر الشامل، بسبب ذلك.

ومنها أنه أرسل فك الرخام الذي بقاعة ناظر الخاص يوسف، التي تسـمى نصف الدنيا، ووضع ذلك الرخام في قاعة البيسرية التي في القلعة.

ومنها أنه قطع معتاد الناس في الديوان المقرر من قديم الزمان، وجدد أخـذ الحمايات من المقطعين من قبل أن يزيد النيل وتزرع الأراضي.

ثم تزايد حرصه على جمع الدنيا[ص/٤٩] حتى صار يحاسـب السـواقين، الذين في سواقي القلعة والخولة الذين في سواقي الميدان في الجلة وروث الأبقار، وما يتحصل كل يوم مما يبيعونه وقرر عليهم مبلغا يؤدونه للذخيرة الشريفة.

وكانت أرباب الوظائف من المباشرين والعمال منه في غايـة الضيـق، لا يغفل عنهم من المصادرات يوما واحدا، وكان من حين توفـي الأمـير خـاير بـك الخازندار يباشر ضبط الخزانة بنفسه، ما يدخل إليها، وما يخرج منها، وما يعرضون عليه من الأمور في ذلك جميعه، من الوصولات، وما يصرف من الخزائن في كـل يوم.

وكانت هذه الأموال العظيمة التي تدخل له يصرفها في عمائر ليس بها نفـع للمسلمين، ويزخرف الحيطان والسقوف بالذهب، وهذا عين الإسـراف لبيـت مـال المسلمين.

وكان يهرب من المحاكمات، كما يهرب الصغير من الكتب، وما كانت له محاكمة تخرج على وجه مرض، بل على أمور مستقبحة، وكان يتغافل عن أمر القتلى، ويدفعهم إلى الشرع، ويضيع حقوق الناس عليها.

وكان يكسل عن علامة المراسيم، فلا يعلم على المراسيم إلا قليلا، فتتعطل أشغال الناس بسبب ذلك، حتى كانت تشترى العلامة العتيقة بأشرفي حتى تلصق على المرسوم، لأجل قضاء الحوائج، ولو شرحنا مساوئه كلها، لطال الشرح[١٣٢].انتهي.

سلطنة الأشرف طومان باي

تلك حال مصر في زمن " قنسو الغوري" ثم أفضى عرشها إلى الأشرف طومان بايسنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) وكانت سيادة المماليك منتشرة يومئذ على مصر ، وسوريا إلى حدود العراق.

وكانت الخلافة العباسية، قد أفضت إلى المتوكل على الله بن محمد بن المستمسك بالله يعقوب[١٣٣] [ص/٥٠] وكانت مناصب الدولة الكبرى التي تقدم ذكرها يشغلها الأمراء الآتية أسماؤهم:

الأتابكي سودون العجمي[١٣٤]: أمير السلاح. الأمير أركماس بن طراباي: أمير المجلس. المقر الناصر بن محمد: أمير ياخور[١٣٥]. الأمير سودون الدوادار: رأس النوبة.الأمير انسباي بن مصطفي: حاجب الحجاب. فضلا عن بضعة عشر أميرا من القواد، وناهيك بالأمراء النواب في البلاد الشامية والحلبية وهم عديدون.

وقد تقدم أن جند مصر معظمه من المماليك المبتاعين بالمال، فهم إنما يعملون طمعا بالكسب الشخصي، وليس لأحد منهم عائلة أو أسرة، يغار على وطنه من أجلها إلا نادرا[١٣٦].

فلما قتل الغوري في معركة " مرج دابق" التف أكبر رجاله حول السلطان سليم، وصاروا من أتباعه، وأخذوا يتقربون إليه بذكر مساوئ مولاهم وأمرائه ويظهرون له معائبهم ووقائحهم، ولم يذكروا شيئا من إحسان الغوري إليهم. وبعضهم خانه في حياته، فإن نائب قلعة حلب[١٣٧] سلم القلعة للعثمانيين من غير حرب.

أما سائر الجند والأمراء فهربوا إلى مصر، وحال وصولهم طلبوا تعيين " طومان باي" سلطانا محل عمه " الغوري"، فامتنع لأنه كان لا يعجبه تصرفهم في

للرعايا على نحو ما تقدم عن أعمال الغوري، ولم يكن " طومان باي" ممن يرضـــي بذلك ،فألحوا عليه أن يقبل ذلك المنصب، فاصطحبهم إلى الشيخ أبي السعود، وهـــو من أهل الكرامة ليكون ذلك في [ص/٥١] شهد منه وعلى يده ، فأحضر لهم مصحفا، وحلف الأمراء الذين حضروا بصحبة طومان باي، بأنهم إذا سلطنوه، لا يخونونـــه، ولا يغدرون به، ولا يخامرون عليه، وأنهم يرضون بقوله وفعله، فحلف الجميع علـى ذلك ثم أن الشيخ حلفهم أن لا يعودوا إلى ما كانوا عليه من ظلـــم الرعايـا، وأن لا يشوشوا على أحد بغير طريق شرعي، ولا يجددوا مظلمة، وأن يبطلـوا جميـع مـا أحدثه الغوري من المظالم، ويبطلوا ما كانت على الدكاكين من المشاهدة والمجامعـة، وأن يجروا الأمور كما كانت في أيـــام الأشـــرف قايدبـــاي، فحلفـوا لـــه وانفــض المجلس[١٣٨].

فتولى " طومان باي" سلطنة مصر رغم إرادته وهو يرى ما كانت عليه من الفساد والخلل، وما استولى على الرعايا من اليأس على أثر مظالم عمه الغوري التي ذكرناها، وكان من بين ما احتج عليهم به، أن بيت المال ليس فيه درهم ولا دينـــار، قال : " فإذا تسلطنت من أين أنفق على الجند" وهو يخاف أن لا يطيعه الأمراء فـــي محاربة العثمانيين، لكنهم ما زالوا عليه حتى بايعوه كما تقدم، ودفعـــوا لـــه بخلعــة السلطنة، وهي يومئذ الجبة السوداء والعمامة السوداء والسيف البهاوي[١٣٩]. ثم قدموا له فرس النوبة بغير كنبوش[١٤٠] ولا سرج ذهب، ولا وجدوا آلة في الزُردخانات[١٤١] لاقيمة [١٤٢] ولا طيرا، ولا الغواشي الذهب، ولكنهم أتموا الاحتفال بالبيعة تلك كـــانت حال المصريين لما جاءهم السلطان سليم لفتح بلادهم.

ولكن " طومان باي" كان حازما عاقلا، فلما حكم عليه أن يكون سلطانا لـــم ير بدا من الثبات والصبر وأخذ في رد المظالم [ص/٥٢] وإصلاح الأحوال، ولكـــن بعد فوات الفرصة، على أنه أخذ في إعداد حملة أخرى لمحاربة العثمانيين.

فتح العثمانيين مصر سنة ٩٢٢هـ (١٥١٧م)

المعركة الفاصلة بين الجيشين

كان العثمانيون في سوريا قد توقفوا للاستراحة، فظن " طومـــان بـــاي" أن الرمال المتراكمة بين سوريا ومصر، تحول بين العثمانيين وما يريدون، إلا أن الأمـو

لم يكن كما ظن، لأنه لم يكد يتم إعداداته حتى أتاه كتاب السلطان سليم إلى القاهرة، وهذا نصه:

" من السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان إلخ. إلى طومان باي الشركسي: " الحمد لله ، أما بعد .. فقد تمت إرادتنا الشاهانية، وباد إسماعيل شاه الخارجي، أما قنسو الكافر، الذي حملته القحة على مناوأة الحجاج، فقد نال جزاءه منا، ولم يبق لدينا إلا أن نتخلص منك فإنك جار عدو والله سبحانه وتعالى يساعدنا على معاقبتك، فإذا أردت اكتساب رحمتنا الشاهانية اخطب لنا، واضرب النقود باسمنا، وتعال إلى أعتابنا واقسم على طاعتنا والإخلاص لنا وإلا..."

فلما قرأ طومان باي الكتاب، وما في ذيله من التهديد المستتر، استشاط غيظا، وأصر على المقاومة، وكان عالما بعجزه، لكنه فضل الموت في ساحة الحرب على التسليم ، فزاد في حصون دمياط وغيرها من الحدود السورية، وجمع ما أمكنه جمعه من الرجال، وسار لملاقاة العثمانيين حتى أتي الصالحية فعسكر هناك.

أما السلطان سليم، فسار إلى مرج دابق وافتتح غزة والعريش والقطيعة(١٤٣)، ثم علم [ص/٥٣] مقر الجيوش المصرية في الصالحية، وما هم فيه من العزم على المدافعة بشدة بأس، فعرج بجيشه تاركا الصالحية عن يمينه، وسار حتى أتي الخانكاه على بضع ساعات من القاهرة.

فلما بلغ " طومان باي" تقدم العثمانيين إلى هذا القدر، عاد بجيشه لمهاجمتهم من الوراء، فالتقى الجيشان في سهل قرب " بركة الحج" (١٤٤) يوم الجمعة في ٢٩ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ (١٤٥)، واقتتلا طويلا، والمصريون يحاربون ببسالة شديدة، لكنهم لم يكونوا يعرفون البارود ولا المدافع كما قدمنا، ولا يعرفون استخدامها، فكانت الغلبة للعثمانيين، ففر المصريون إلى القاهرة، وعسكر العثمانيون في الروضة، فجمع إليه " طومان باي" عددا كبيرا من العربان، بعد أن أرضاهم بالمال، وهجم على معسكر السلطان هجمة اليأس فلم ينل منهم وطرا، فعاد إلى القاهرة على نية مواجهة الحصار، فزاد في حصونها واستحكامها، وحصن القلعة تحصينا عظيما، وأقام في كل شارع وفي كل بيت طابية للدفاع، وحمل السلاح كل من يستطيع حمله للدفاع عن الوطن ولكن رغم هذه الإعدادات، وما أظهره " طومان" من البسالة والإقدام، وما

سعى فيه أمراؤه، لم تنج القاهرة من أيدي العثمانيين، فإنهم دخلوها عنوة وأمعنوا فيها قتلا ونهبا وحرقا.

لا غرو إذا غلبت المماليك على أمرهم بعد ما علمت من اضطراب أحوالهم وتغير قلوبهم، وخلو خزائنهم من المال، فالعسكر كيف يحارب بلا مال؟ فقد كانوا في الحرب يأتون إلى القلعة للاستيلاء على جامكيتهم فيجيبهم ولاة الأمر " ليس في هذا اليوم جامكية[١٤٦] لأن البلاد خراب والعرب مشتتة في الطرقات"[١٤٧].وكان لهم ستة أشهر لم يقبضوا [ص/٥٤] رواتبهم من اللحم ونحوه ، ومن أسباب الكسرة ، إن جند المغاربة الذين كانوا في مصر ، توقفوا عن المحاربة، وقالوا نحن لا نحارب المسلمين، لا نحارب إلا الإفرنج.

ومع ذلك فإن " طومان باي" لم يأل جهدا في ترغيب الجند في الاتحاد والدفاع عن الوطن وشدد عزيمتهم وسبك مناصل، وعمل بندق الرصاص، وأكثر من الرماة.

ولكن الرعب كان سائدا على أهل القاهرة، وعلى الجند وهؤلاء إنما خرجوا للحرب لأن السلطان كان يجاهد بنفسه، حتى في بناء الاستحكامات، وكان يحمل حجارة بيده لبناء خطوط النار أو حفر الخنادق.

على أن جماعة من رجاله، انحازوا سرا إلى العثمانيين وأهمهم خاير بك صاحب حلب الذي تقدم أنه قامر على الغوري فكان عونا للعثمانيين، ودسيسة لهم عند المصريين[١٤٨]، وزد على ذلك أن المماليك كانوا في عصر الانحلال، والعثمانيون في أوائل دولتهم، وقد جاءوا بالمدافع والبارود[١٤٩]، " فطومان باي" جاء متأخرا، وقد فسدت الأمور، فلم يستطع إصلاح شئ ، رغم ميله الشديد إلى ذلك، وشدة إخلاصه في الدفاع عن الدولة والوطن وشأنه في ذلك شأن " مروان بن محمد" [١٥٠] آخر خلفاء بني أمية فإنه كان حازما، شجاعا، حسن النية، لكنه جاء متأخرا فلم يمنع سقوط دولة بني أمية ولا منع طومان باي سقوط دولة المماليك.

فلما انهزم المماليك، وقد غلبوا على أمرهم، وتعقبهم العثمانيون إلى القاهرة، أخذوا في نهبها، وقد تعود أهلها ذلك في زمن [ص/٥٥] المماليك، إذا اختلفوا بينهم، فالعثمانيون أخذوا في نهب بيوت الكبراء، ودخلوا الطواحين، وأخذوا ما فيها من البغال والأكاديش، وأخذوا جمال السقايين، وصاروا ينهبون ما يلوح لهم من القماش

إلى الغروب وتوجهوا إلى شون القمح بمصر وبولاق، ونهبوا ما فيها من الغلال وقد قال بعض الشعراء المعاصرين في ذلك:

نبكي على مصر وسكانها قد خربت أركانها العامرة
وأصبحت بالذل مقهورة بعد ما كانت هي القاهرة[١٥١]

وفي سلخ سنة ٩٢٢هـ [١٥٢] ، دخل الخليفة المتوكل القاهرة، ومعه وزراء السلطان سليم والجم الغفير من العساكر العثمانية ودخل معهم الأمراء خاير بك، وقاضي القضاة الشافعية وغيره[١٥٣] ممن كان في أسر السلطان سليم في حين مات السلطان الغوري.

دخل الخليفة المذكور من باب النصر وقدامه المشاعلية تنادي الناس بالأمان والاطمئنان ، والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وأن العساكر العثمانية لا يشوشون على أحد من الرعية، وأنه قد أغلق باب الظلم وفتح باب العدل، وأن كل من عنده مملوك شركسي، ولا يدل، ثم ظهر عنده يشنق، وادعوا للملك المظفر سليم شاه بالنصر، فضج الناس بالدعاء، ولكن لم يلتفت أحد من العثمانية لهذه المناداة، وأخذوا ينهبون بيوت أولاد الناس بحجة أنهم يفتشون عن المماليك الشراكسة، فاستمر النهب في بيوت الأمراء، وأهل البلدة ثلاثة أيام متوالية، لا يتركون جمالا ولا بغالا ولا قماشا.

وفي يوم الجمعة، خطب باسم السلطان سليم على منابر القاهرة، ومصر القديمة [ص/٥٦] ، وهذا نص الخطبة:

" وانصر اللهم السلطان بن السلطان، ملك البرين والبحرين، وكاسر الجيشين وسلطان العراقيين، وخادم الحرمين الشريفين الملك المظفر سليم شاه. اللهم انصره نصرا عزيزا وافتح له فتحا مبينا، يا مالك الدنيا والآخرة، يا رب العالمين"[١٥٤]

وبالغ العثمانيون في مطاردة الشراكسة، حتى كانوا يدورون في الحارات والأزقة والأسواق، وكل من رأوه من أولاد الناس لابسا زنطا أحمر وتخفيفه، وهو لباس المماليك قالوا له أنت شركسي، وقطعوا رأسه، فلبس الناس العمائم ، حتى أولاد الأمراء والسلاطين، وأبطلوا لبس الزنط والتخافيف في مصر، على أن ذلك لم يمنع تعديهم، فكانوا يتهمون الناس أنهم من الشراكسة، ثم يقولون لهم: افتدوا أنفسكم بالمال فيفعلون.

وفي يوم الإثنين ثالث المحرم سنة ٩٢٣هـ [١٥٥] دخل السلطان سليم القاهرة، وبين يديه الخليفة المتوكل، والقضاة، وشق المدينة في موكب حافل، وقدامه الجنائب [١٥٦] المسومة الكثيرة، وحوله العساكر المتزاحمة بين مشاة وفرسان، حتى ضاقت بهم الشوارع، وما زال سائرا في المدينة حتى دخل من باب زويلة، ثم عرج من تحت الربع، وتوجه من هناك إلى بولاق، ونزل في المعسكر الذي نصبه تحت الرصيف، فلما شق المدينة، ارتفعت الأصوات بالدعاء في الناس قاطبة، وقد وصفه أحد المعاصرين الذين شاهدوه[١٥٧] في ذلك اليوم، فقال : إنه دري اللون، حليق الذقن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، وعلى رأسه عمامة صغيرة، وفيه خفة وهرج، كثير[٥٧] التلفت إذا ركب[١٥٨].

أما " طومان باي" ، فإنه ثبت في تلك الحروب، ثبات الأبطال،لكنه اضطر أخيرا للفرار في ٨ محرم[١٥٩]، فذهب إلى الصعيد، واتفق مع بعض قبائل العرب هناك، على الدفاع عن الوطن، ومصادرة ما يحمل إلى العثمانيين من الغلال ونحوها، فالتف حوله جماعة كبيرة حتى خافه السلطان سليم، ثم جرت المخابرة بشأن الصلح والأمان ولم يتم شئ.

وأتي " طومان باي" برجاله إلى الجيزة، فخرج إليهم السلطان سليم، فحدثت معركة كالتي حدثت ببركة الحاج، وكان الفوز أولا " لطومان باي" ورجاله.

ثم تكاثر العثمانيون وأكثروا من رمي الرصاص فانكسرت المماليك وانهزم " طومان باي" فأمعن السلطان سليم فتكا فيمن وقع في أيديه منهم، ذكر " بن إياس" أن العثمانيين، قطعوا رؤوس المماليك الشراكسة وجماعة من العربان الذين كانوا مع " طومان باي" ، فلما تكامل قطع الرؤوس، أحضروا مراكب نصبوا فيها مداري من خشب، وعلقوا فيها تلك الرؤوس وحملتها النواتية على أكتافهم ولاقتهم الطبول والزمور، وزينوا القاهرة لذلك[١٦٠].

وبعث السلطان سليم يتعقب " طومان باي" حتى تمكن منه بالحيلة[١٦١] ، فأتوا به مغلولا إلى ما بين يدي السلطان، فنظر إليه، فإذا هو في حالة الغضب، وقد علا وجهه القنوط لما حل ببلاده من الذل، فتحركت عواطف السلطان سليم، فأمر أن تحل قيوده، وبأن يؤذن له بالحضور في مجتمعات كان يعقدها السلطان سليم للمداولة في أمر البلاد، فكان يسأله مسائل كثيرة، تتعلق بأحوال البلاد الاقتصادية والسياسية

والإدارية [ص/٥٨] ظلوا على ذلك عشرة أيام وفي اليوم العاشر رأي السلطان سليم انه لم يعد في حاجة إلى مشورة " طومان باي" فأمر بشنقه في ١٩ ربيع أول[١٦٢] سنة ٩٢٣ فعلقوه تحت رواق باب زويلة بكلاب من حديد، كان باقيا هناك إلى عهد غير بعيد[١٦٣].

وبقتل " طومان باي" انتهت دولة المماليك الشراكسة، أو البرجية، بعد أن تسلطنوا نحو ١٣٩سنة [١٦٤] وأصبحت مصر أيالة عثمانية، والسلطان سليم أول من خطب له على منابرها من العثمانيين، ولا تزال عثمانية إلى الآن[١٦٥].

ولكن المراد في هذا الكتاب التكلم عن تاريخ سيادتها الفعلية عليها سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) إلى الحملة الفرنساوية سنة ١٢١٢هـ (١٥١٧م) وهي نحو ٢٩٠سنة، كانت الحكومة على ترتيب وضعه السلطان سليم سيأتي ذكره، فأصابها في أثناء ذلك تعديل اقتضته طبيعة ذلك الحكم، بحيث يمكننا أن نقسم تلك المدة إلى أربعة أدوار على هذه الصورة:

عدد السنين	
١٩٢	الدور الأول: من الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) إلى سلطنة أحمد بن محمد ١١١٥هـ (١٧٠٣م) ، وكانت الكفة الراجحة فيه للباشوات الذين كانت ترسلهم الدولة العثمانية من الآستانة لحكومة مصر، ثم للجند وطول هذه المدة ١٩٢سنة.
٦٢	الدور الثاني: من سلطنة أحمد بن محمد إلى سلطنة عبد الحميد الأول سنة ١١٧٧[١٦٦] وكانت الكفة الراجحة فيه للمماليك.
١٠	الدور الثالث: وهو المدة التي استقل بها[١٦٧] على بك الكبير بحكومة مصر،حتى قتل وعادت مصر إلى كنف الدولة سنة ١١٨٧.
٢٦	الدور الرابع: من رجوع مصر إلى حوزة الدولة العثمانية إلى الحملة الفرنساوية سنة ١٢١٣[١٦٨].
٢٩٠	الجملة

[ص/٥٩] لنذكر تاريخ كل دور من هذه الأدوار فلنبدأ بالتاريخ السياسي ونلحقه بفذلكة من تاريخ العلم والأدب، وخلاصة تراجم العلماء في كل دور، وما خلفوه من الآثار الأدبية فنقول:

الدور الأول من تاريخ مصر العثمانية

من سنة ٩٢٣- ١١١٥هـ أو ١٥١٧- ١٧٠٣م

١- سلطنة سليم الأول

من سنة ٩٢٣-٩٢٦هـ أو ١٥١٧-١٥٢٠م

أقام السلطان سليم بمصر بضعة أشهر، وهو ينظم أحوالها لكن همه كان منصرفا إلى حمل ما فيها من التحف إلى الآستانة.

ذكروا انه أمر بفك الرخام الذي كان في القلعة والعواميد السماقية التي كانت في الديوان الكبير، لأنه أراد أن ينشئ مدرسة في الآستانة، مثل مدرسة الغوري[١٦٩].

قال ابن إياس " وصار يحيى بن فكار يركب ويأخذ معه جماعة من المرخمين فيهجمون على قاعات الناس، ويأخذون ما فيها من الرخام السماقي والزرزوري الملون، فأخربوا عدة قاعات من أوقاف المسلمين، وبيوت الأمراء، حتى القاعات التي فيها بولاق، وقاعات الشهابي أحمد ناظر الجيش بن ناظر الخاص التي على بركة الرطلي وغير ذلك من قاعات المباشرين والتجار، وأبناء الناس والمدارس التي فيها الكتب النفيسة فنقلوها عندهم، ووضعوا أيديهم عليها". غير ما نهبوه من الأمراء وتحفهم، وبالجملة فقد خرج السلطان سليم من مصر في شعبان من تلك السنة، ومعه أحمال من التحف والهدايا. وقد نال أمرا لم يجسر عليه أحد قبله من السلاطين الأتراك ولا غيرهم، نعنى نيل الخلافة الدينية، فضلا عن السلطة السياسية.

[٦٠] الخلافة والسلطة في الإسلام [١٧٠]

لما كانت الخلافة أهم ما اكتسبه العثمانيون في مصر، رأينا أن نأتي على تاريخ هذا المنصب في التمدن الإسلامي، ونسبته إلى السلطة، يتبين للقارئ أن السلطان سليما أقدم على أمر لم يقدم [١٧١] عليه سواه من السلاطين فنقول:

لابد للناظر في أحكام التاريخ على العموم، وتاريخ الإسلام على الخصوص من أن يرى السلطة المطلقة (١٧٢) لا تتأيد بمثل الدين، فإن الصبغة الدينية تحميها من طمع الطامعين بأن تجعل لملوكها مزية على سائر الناس.

وإذا أريد فصل الدين عن السياسة(١٧٣) فلابد من تقييد الحكومة بالشورى، وهي أفضل الحكومات وأطولها عمرا، وإلا فإنها تنحل سريعا، ويكفي لانحلالها أن يتولى شئونها ملك قليل التدبير ناقص الاختيار، فيغتصب ملكه بعض وزرائه أو قواده.

وإذا تدبرت تاريخ الدول الإسلامية، رأيت للسلطة الدينية تأثيرا كبيرا في طول بقائها واتساعها نطاقها- اعتبر ذلك في الدول التي نشأت في أثناء التمدن الإسلامي من الفرس، والترك ، والكرد، والشركس، كالبويهيين والسلاجقة والأيوبيين، وغيرهم من الدول الفخمة، فإن بين ملوكها جماعة من دهاة الرجال وقهارمة(١٧٤) السياسة، ولم تطل أعمارها رغم استقوائها بالخلافة العباسية.

وانظر إلى الدول العربية التي جمعت بين الخلافة والسلطة كالعباسيين والفاطميين والأمويين في الأندلس مع ما [ص/٦١] طرأ عليها من أسباب السقوط، فقد صبرت وطال جهادها.

وإذا نظرت إلى الدول الأعجمية رأيت أطولها عمرا وأوسعها ملكا الدولة التي جمعت بين السلطتين، وهي الدولة العثمانية، وبنو أمية في الشام، لو لم يتخذوا لقب الخلافة ويقبضوا على أزمة الرئاسة الدينية ما استطاعوا إلى الحكم سبيلا، فإنهم إنما حكموا الناس وأيدوا سلطتهم بما في الخلافة من الصبغة الدينية، ووفقوا إلى أعوان علموا أن العامة لا تحكم بمثل الدين فجعلوا همهم تعظيم الخلافة حتى جعلوها فوق النبوة، وسموا الخليفة خليفة الله، وقالوا: " خليفة الرجل في أهله أفضل من رسوله في حاجته" . والعلماء ينكرون ذلك ، ولا يصدقونه، وأما العامة فكانوا يساقون به إلى الطاعة بالإرهاب رغم ما كان يعتور صحة خلافة بني أمية من شكوك.

فلما أفضت الخلافة إلى بني العباس، وهم من عائلة النبي، ومن أولى الناس بخلافته. كان المسلمون أطوع لهم مما لبني أمية، واعتقدوا أن خلافتهم تبقى أبد الدهر حتى يأتي السيد المسيح، وغرس في أذهان الناس بتوالي الأجيال أن الخليفة العباسي إذا قتل اختل نظام العالم واحتجبت الشمس وامتنع القطر(١٧٥) وجف النبات.(١٧٦)

وكان الخلفاء لا يأنفون من ذلك التفخيم مع تعقله وانتشار العلم في عصره، فقد ذكروا أنه كان يحتمل أن يمدح بما يمدح به الأنبياء، ولا ينكر ذلك ولا يرده حتى قال فيه بعض الشعراء: " فكأنه بعد الرسول رسول" ، فكيف يكون حال الخلفاء في عصر الانحطاط، إذ يقوم الوهم مقام الحقيقة، ويكثر المتزلفون والمتملقون، ويكتفي أولو الأمر بالكلام دون [ص/٦٢] الأعمال وتمسك أهلها بالعرض، وتركوا الجوهر فلا غرو إذا سموا الخليفة في أيام المتوكل: ظل الله الممدود بينه وبين خلقه(١٧٧) أو قالوا قول ابن هانئ للمعز الفاطمي:

ما شئت ولا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار(١٧٨)

فلهذا السبب كان الأمراء الذين يستقلون عن الدولة العباسية بالإدارة والسياسة لضعف الخليفة عن حربهم، لا يستطيعون الاستقلال عنه بالدين، إذ لا يستغنون عن بيعته لتثبيت سلطانهم، فإذا أراد أحدهم الاستقلال بولاية أو فتح بلد أو إنشاء إمارة لنفسه، بعث إلى الخليفة في بغداد يبايعه، ويطلب منه أن يعطيه تقليدا أو عهدا بولاية ذلك البلد، أو أن يلقبه ويخلع عليه، وإذا أبي الخليفة أن يجيبه غضب، وعد ذلك تحقيرا له، وقد يجرد عليه الجند ليكرهه على تثبيته.

فالإمارات أو الممالك التي استقلت عن الدولة العباسية في فارس وخراسان وتركستان، وما بين النهرين والشام ومصر وبلاد المغرب وغيرها قبل قيام الدولة الفاطمية كانوا أصحابها يخطبون لخليفة بغداد ويبعثون إليه بمال معين في العام مع أنهم في أمن من سطوته، وإنما يريدون أن يرضى العامة عن سلطانهم.

وكذلك كان شأن الأجناد الأتراك وأمرائهم [ص/٦٣] فقد كانوا مع استبدادهم بخلفاء بغداد قتلا وخلعا لا يجسرون على استبقاء منصب الخلافة خاليا يوما واحدا لاعتقادهم أنه بدون الخليفة لا تصطلح العامة، حتى الملوك أو السلاطين الذين تسلطنوا على بغداد وقبضوا على كل شئ فيها. وأصبح الخليفة آلة في أيديهم مثل آل بويه(١٧٩)، وآل سلجوق فقد كانوا يحاربون الخليفة ويجردون عليه الجيوش، حتى إذا ظفروا به، وغلبوه، بايعوه، أكرموه ورفعوا مقامه وتبركوا به.

فعضد الدولة البويهي(١٨٠) ملك بغداد واستبد بها وهو شيعي على غير مذهب الخليفة، وكان يغالي في التشييع ويعتقد أن العباسيين غصبوا الخلافة من مستحقيها، فلم يكن ثمة باعث دين يدعوه إلى طاعة خليفة بغداد، ومع ذلك فإنه بايعه،

وعظم شأنه، وأعاد من أمر الخلافة ما قد نُسي، وأمر بعمارة دار الخلافة، والإكثار من الآلات، وعمارة ما يتعلق بالخليفة وبطانته، وأكرمه غاية الإكرام.

وكان الخلفاء من الجهة الأخرى يعرفون حاجة الأمراء المسلمين إلى رضاهم، فإذا ساءهم أحد منهم، هددوه بالخروج من بغداد، فيضطر إلى استرضائهم، لأن خروجهم يغضب العامة، ويجرئهم على خلع الطاعة، لتقديسهم شخص الخليفة وتنزيهه عن الخطأ.

ولذلك فلم يكن من سبيل إلى نزع سلطته أو الاعتراض عليها إلا من وجه ديني، فكان الذين يقومون على الخلفاء، يجعلون سلاحهم الدين، فيلبسون الصوف ، ويدعون إلى المعروف أو يعلقون في أعناقهم المصاحف أو نحو ذلك مما يحرك عواطف العامة [ص/٦٤] وإذا أراد أحد الخلفاء أن يصلح ما بينه وبين العامة أصلحه بالتقوى، فلما ضمن " الفضل بن سهل" الخلافة للمأمون أوصاه بإظهار الورع والدين ليستميل القواد.

ولما رأي " أبو مسلم الخرساني" أهل اليمن في مكة قال: " أي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان ، غزير الدمعة" يريد تحريك عواطفهم الدينية بالوعظ والبكاء، فلم يكن للممالك الإسلامية بدّ من خليفة تبايعه ليثبت ملكها.

وقد يستاء بعض الأمراء المستقلين من خليفة بغداد فيكظم ولا يخلع بيعته، إلا إذا رأي خليفة آخر يبايعه، فلما قامت الدولة الفاطمية بالمغرب ومصر ، خلعت كثير من البلاد بيعة خليفة بغداد، وبايعت للفاطميين في القاهرة، ولما تغلب صلاح الدين الأيوبي على مصر ، وذهبت الدولة الفاطمية منها، فأول شئ فعله أنه خطب بجامع القاهرة للخليفة العباسي في بغداد، وطلب المنشور منه والخلع عليه. وكانت الخلافة العباسية بغاية الانحطاط والضعف وهو في غنى عن بيعتها، ولكنه علم أنه إذا لم يبايع الخليفة فلا يرضى الناس.

وكذلك فعل السلاطين المماليك، الذين ملكوا مصر بعد الدولة الأيوبية، فإنهم بايعوا للعباسيين، وكانت الخلع تأتيهم من بغداد إلى القاهرة بتثبيت سلطتهم، فلما سطا التتر على بغداد وفتحوها سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وقتلوا الخليفة العباسي المستعصم بالله. توقف شأن الخلافة. فاضطربت أحوال مصر ، وبذل سلاطينها جهدهم في إيجاد خليفة يبايعونه ولو أعوز خليفة ولم يجدوه [ص/٦٥] ربما اختلقوا واحدا ليحكموا

العامة به، على أنهم ما زالوا يبحثون عن بقية الخلفاء العباسيين الذين كانوا في بغداد حتى ظفروا بالهاربين منهم فاستقدموهم إلى القاهرة، واحتفلوا بهم احتفالا عظيما، وفرضوا لهم الرواتب كما تقدم، وبالغوا في احترامهم وإكرامهم مع علمهم أن أولئك الخلفاء لا يغنون عنهم شيئا.

ولكنهم خافوا اختلال دولتهم بدونهم، وظل ملوك الهند وغيرهم من ملوك الإسلام بالأطراف البعيدة، يبايعون للخليفة العباسي في القاهرة، ويطلبون التقليد[١٨١] منه أو المنشور لإثبات سلطتهم على يد السلاطين المماليك، فما الذي بعث لأولئك الملوك على طلب التقليد ، من خليفة طريد شريد لا ينفع ولا يشفع لولا ما يتوقعونه من أثر ذلك في أذهان العامة.

ولا ننكر أن بعضهم كان يطلب بيعة الخليفة تدينا ولكن الأكثرين كانوا يطلبونها لاستصلاح العامة بها.

الخلافة في غير قريش

مما يستحق النظر والاعتبار فيما نحن فيه ، أن ملوك المسلمين غير العرب على اختلاف مواطنهم وأجناسهم ولغاتهم ودولهم من الفرس، والأتراك ، والأكراد ، والبربر، والشركس وغيرهم، مع ما بلغوا إليه من سعة الملك وعز السلطان ومع حاجاتهم إلى السيادة الدينية لتستقيم دولتهم، وتجتمع الرعية على طاعتهم، ولم يخطر لأحد منهم أن يطلب الخلافة لنفسه، قبل انتقال الإسلام إلى طوره الثاني بعد تضعضعه [١٨٢] بفتوح المغول. ولا ادعاها أحد من العرب غير قريش، وأول سلطان غير [ص/٦٦] عربي بويع بالخلافة، السلطان سليم الذي نحن في صدده ولا تزال الخلافة في دولته إلى الآن[١٨٣]

على أن الذين قويت شوكتهم في عهد ذلك التمدن من الأمراء المسلمين أو القواد غير العرب، كانوا إذا طمعوا بالسيادة الدينية أو الخلافة، انتحلوا لأنفسهم نسبا في قريش [١٨٤] كما فعل " أبو مسلم الخرساني" لما رأي من نفسه القوة على إنشاء الدولة وربما طمع بالخلافة، وانتحل لنفسه نسبا في بني العباس فقال: إنه ابن سليط ابن عبد الله بن عباس.

وأما الملوك أو السلاطين الأعاجم، فلما ضخمت دولهم في أواخر العصر العباسي، ورأوا انحطاط الخلافة وتقهقرها تمنوا الاستغناء عنها، ولكنهم لم يروا سبيلا

إلى ذلك، إلا أن يستبدلوها بخلافة أخرى، على أن بعضهم طمع بالنفوذ الديني عن طريق الانتساب إلى الخليفة بالمصاهرة.

وأول من فعل ذلك ، عضد الدولة " بن بويه" المتوفى سنة ٣٧٢هـ (٩٨٣م) فإنه حمل الطائع بالله [١٨٥] الخليفة العباسي في أيامه أن يتزوج بابنته،وغرضه من ذلك أن تلد له ابنه ولدا ذكرا فيجعله ولي عهده، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب ولم يوفق إلى مراده.

ولما أفضت السلطة إلى السلاجقة، تقدموا في هذا الطريق خطوة أخرى، فعمدوا إلى التقرب بالمصاهرة أيضا، ولكن على أن يتزوج السلطان " طغرلبك السلجوقي" [١٨٦] ابنة الخليفة، وهو يومئذ القائم بأمر الله [١٨٧] فخطبها إليه، ووسط قاضي الري في ذلك ، فانزعج الخليفة لهذا الطلب [ص/٦٧] أيما انزعاج، إذا لم يسبق أن يتزوج بنات الخلفاء إلا أكفاؤهم بالنسب، وكانت يد السلطان قوية والخليفة لا شئ في يده، فأخذ الخليفة في استعطافه ليعفيه من الإجابة على طلبه، فأبي السلطان إلا أن يجاب.

وحدثت أمور يطول شرحها خيف منها على الدولة فاضطر الخليفة إلى القبول، فعقد له عليها سنة ٤٥٤هـ (١٠٦٢م) وهذا ما لم يجر مثله قبله، لأن آل بويه لم يطمعوا بذلك ولا تجاسروا على طلبه مع مخالفتهم للخليفة في المذهب، إذ يكفي الخليفة تنازلا أن يتزوج بنات الملوك، لا أن يزوجهم بناته، ولم ينل هذا الشرف أحد قبل طغرلبك، ومع ذلك فإنه لما دخل إلى عروسه في السنة التالية، قبّل الأرض بين يديها وهي جالسة على سرير ملبس بالذهب، فلم تكشف الخمار عن وجهها ولا قامت له وظل أياما يحضر على هذا الصورة وينصرف، على أنه لم يوفق لإتمام ما أراده لأنه توفي في تلك السنة[١٨٨].

أما المبايعة بالخلافة لغير العرب فلم تنلها دولة إسلامية قبل العثمانيين، وذلك أن الخليفة العباسي كان عند الفتح العثماني لمصر، الإمام محمد المتوكل على الله الثالث، وقد تقدم ذكره مرارا، وهو الخليفة الثامن عشر من الدولة العباسية بمصر، فلما تم فتح مصر للسلطان سليم، علم أن الأمر لا يستتب له، إلا إذا أضاف السلطة الدينية إلى السلطة الزمنية، فاغتنم فوزه، وطلب إلى المتوكل على الله، أن يبايعه فبايعه بالخلافة الإسلامية وسلمه الآثار النبوية، وهي : العلم والسيف والبردة،

وسلم إليه أيضا مفاتيح الحرمين، فصار خليفة وسلطانا، وتوارث ذلك السلاطين بعده، ولا يزالون على ذلك إلى الآن(١٨٩).

[ص/٦٨] أما الخليفة العباسي، فإنه نقل إلى الآستانة وخصص له راتب لنفقاته، وقبل وفاة السلطان سليم عاد المتوكل إلى مصر وعاش فيها مفردا إلى أن توفاه الله سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) وهو آخر الخلفاء العباسيين وقد دامت دولتهم الدينية، نيفا وثمانية قرون.

نظام الحكومة المصرية
في الدولة العثمانية

قد رأيت من إجراءات العثمانيين بمصر عند الفتح أنهم لم ينظروا إليها نظرهم إلى بلد سيقيمون فيه وإنما أرادوا إخضاعه وإذلاله واستغلاله(١٩٠) فلما رجع السلطان سليم إلى عاصمته القسطنطينية، فكر في أمر مصر فارتأي أن يضع لها نظاما يأمن معه تمردها عليه، لبعدها عن مركز الخلافة، وصعوبة المواصلات في بذلك العصر.

وكان قد ولي عليها واليا برتبة باشا يرجع إليه الحل والعقد وأول من نال هذا المنصب أمر أهله من كبار رجال قنسو الغوري اسمه خاير بك " أو "خيربك" قد تقدم ذكره وحارب معه في حلب ثم خانه وسلَّم البلد إلى العثمانيين، فلما فتح الله على هؤلاء مصر ولاه السلطان سليم ولايتها، وسماه باشا(١٩١)

على أنه تذكر أن هذا الرجل خان سلطانه من قبل فخاف أن يفعل ذلك معه، إذا بعد عنه، ويستقل بمصر فأعمل فكرته فيما يكفيه مئونة هذا الخطر، فاهتدى إلى طريقة تضمن له ذلك وهي أن يجعل في مصر ثلاث إدارات أو قوات، كل منها تراقب أعمال الآخرين فلا [ص/٦٩] يخشى اتحادها وتمردها.

فالقوة الأولى: " الباشا" وأهم واجباته إبلاغ الأوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب، ومراقبة تنفيذها.

والقوة الثانية: " الوجاقات" فإنه أقام في القاهرة ، وفي المراكز الرئيسية في القطر ستة آلاف فارس، وستة آلاف ماش بالبنادق، جعلها ستة وجاقات (فرق) تحت

قيادة وأوامر خير الدين أحد قواد العثمانيين العظماء وأمره أن يقيم في القلعة ولا يخرج منها لأي سبب كان.

وواجبات هذه الوجاقات حفظ النظام في القطر المصري والدفاع عنه، وجباية الخراج وقد رتبها على الوجه التالي:

١- وجاق المتفرقة[١٩٢]: وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني.

٢- وجاق الجاويشية[١٩٣]: وهو مؤلف في الأصل من صف ضابطان[١٩٤] جيش السلطان سليم، فعهد إليهم جباية الخراج.

٣- وجاق الهجانة[١٩٥].

٤- وجاق التفقجية[١٩٦]، وهم ناقلو البنادق.

٥- وجاق الانكشارية، وقد تقدم تاريخهم ووصفهم.

٦- وجاق العزب[١٩٧].

وكان كل من هذه الوجاقات مؤلفا من أفراد يقال لهم وجاقلية وأحدهم وجاقلي، على وجاق ضابط يلقب بالأغا يصحبه الكخيا والباش اختيار، والدفتردار، والخزنة دار، والروزنامجي، ومن اجتماع هؤلاء الضباط في سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضى أمرا إلا بمصادقتهم.

أما هم فلهم أن يوقفوه عن الإجراء أو يستأنفوا إلى ديوان[٧٠] الآستانة عند الاقتضاء، ولهم أيضا أن يطلبوا عزله حالما يشتبهون بمقاصده.

أما القوة الثالثة: فهي الأمراء المماليك، وهم بقايا الدولتين السالفتين، والفائدة منهم حفظ الموازنة بين الباشا والوجاقات لأنهم في الأصل أعداء لكلا الفريقين، ومن غرضهم الانتصار للفريق الأضعف ليمنعوا القوى من الاستبداد.

وقد كان القطر المصري منقسما إلى ١٢سنجقية[١٩٨] (مديرية) يحكم كل منها حاكم يقال له: سنجق أو بك يعينه الديوان وهو مجلس شورى الباشا من أمراء المماليك.

فلا غرو أن تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها مع تعدد الأمرين، ما يقود إلى القلاقل والمتاعب، أما الدولة العثمانية فقد جبت راحة من هذا التعب لأنها كانت على ثقة من استبقاء الديار المصرية في حوزتها.

ولم تطل حياة السلطان" سليم " بعد فتح مصر، فتوفي سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)، وخلفه ابنه السلطان " سليمان القانوني" الشهير.

٢- سلطنة " سليمان القانوني"

من سنة ٩٢٦- ٩٧٢هـ[١٩٩] أو من ١٥٢٠-١٥٦٦م

لهذا السلطان شأن خاص دون سائر سلاطين آل عثمان، لأن المملكة العثمانية بلغت في أيامه أرقى ما وصلت إليه من النفوذ السياسي وسعة الفتح.

فقد فتح " بلغراد" [٢٠٠] و" رودس" [٢٠١]، وحاصر " فيينا" [٢٠٢] حتى كاد يفتحها، وكانت له علاقات عظيمة مع ملك " فرنسا".

وفي أيامه دخل العثمانيون" تبريز" غير مرة [٢٠٣] وقد طالت [ص/٧١] سلطة هذا السلطان أكثر من سائر السلاطين العثمانيين وبلغت الدولة العثمانية في أيامه، أوج مجدها[٢٠٤].

وقد عرف " بالقانوني" لأنه سن قانونا لا يزال أساسا للقوانين العثمانية إلى الآن[٢٠٥]، واهتم على الخصوص بشئون مصر، وكان أبوه قبيل وفاته قد رسم الخطة التي يجب أن تسير عليها مصر في حكومتها وإدارتها، ولكنه توفي قبل أن يبرزها إلى حيز الفعل، فلما توفي السلطان، جعل اهتمامه إتمام مشروع أبيه[٢٠٦].

نظام الحكومة المصرية أيضا

وكان من رأي السلطان " سليم" أن ينشئ ديوانا تحت رئاسة الباشا، حفظا للموازنة، أما السلطان " سليمان" فأتم الموازنة بإنشاء ديوانين، عرفا " بالديوان الكبير" والديوان الصغير" أو" الديوان" فقط[٢٠٧]، وأناط رئاستهما بالباشا وعليه أن يجلس عند انعقاد الجلسة وراء ستار المنبر[٢٠٨] وعلى الكخيا، والدفتردار استئذانه قبل المفاوضة. ومتى أقر الديوان على أمر، أبلغاه ذلك القرار وليس له إلا المصادقة والأمر والتنفيذ، وجعل إقامة هذا الباشا في القلعة تحت ملاحظة الأغا الذي هو قومندانها، ويجدد تعيين الباشا كل سنة.

أما واجبات الديوان الكبير فهي المفاوضة والإقرار على ما يتعلق بالأشغال العمومية التي لا تتعلق إدارتها بالباب العالي نفسه.

أما أعضاء هذا الديوان[٢٠٩]، فهم أغوات الوجاقات الستة ودفترداريوهـا، وروزنامجيوها، ونواب من جميع فرق الجيوش، وأمير الحج، وقاضي القضاة وأعيان المشايخ، والأشراف، والمفتون الأربعة والأئمة الأربعة والعلماء.

أما المخاطبات التي ترد إلى هذا الديوان فتُعنون باسم " الديوان الكبير" لكنها [ص/٧٢] ، تسلم إلى الباشا، وله وحده الحق أن يأمر بعقد جلساته، ولم تكن كثيرة.

أما جلسات الديوان الأصغر، فكانت تنعقد يوميا في قصره[٢١٠] وأعضاء هذا الديوان، هم كخيا الباشا، ودفترداره[٢١١] وروزنامجيه[٢١٢] ونائب من كل الوجاقات والأغا وكبار ضباط وجاق المتفرقة.

ومن واجبات هذا الديوان، النظر في الحوادث اليومية ومن اختصاصاته البحث في الإدارات الثانوية.

وأنشأ السلطان " سليمان " فضلا عن الستة الوجاقات التي أنشأها أبوه، وجاقا سابعا دعاه وجاق الشراكسة وهم بقية جند المماليك، ومن هذه الوجاقات السبعة تتألف حكومة مصر[٢١٣] وحاميتها.

أما نفقاتها، فمن مخصصات يتولى ضبطها وتفريقها " أفندي" من كل وجاق، وجعل لكل وجاق مجلسا مؤلفا من ضباط ذلك الوجاق، وبعض صف ضابطانه لمحاسبة الأفندي، والنظر في الدعاوي بخصوصية، وعرض الترقيات للباشا للمصادقة عليها ومقامهم في القاهرة، ولكل منهم لباس خاص برتبته وعليه علاماته، ومجموع عدد رجال الوجاقات معا عشرون ألفا[٢١٤] وقد يزيد أو ينقص حسب الاقتضاء، وكان لوجاق الانكشارية امتيازات على سائر الوجاقات، وقائده (الأغا) مفضل على سائر القواد وله نفوذ عليهم.

وجعل السلطان " سليمان " للبكوات المماليك الذين أقامهم السلطان" سليم" امتيازات خصوصية[٢١٥]، وحقا بالارتقاء إلى رتبة الباشوية وأضاف إليهم ١٢بيكا[٢١٦] آخرين لمهمات فوق العادة، وهاك أسماء الموظفين الذين ينتخبون من البكوات وهم: الكخيا [ص/٧٣] أو نائب الباشا والقبابطين[٢١٧] الثلاثة، وهم قومندانات[٢١٨] ثغور السويس ودمياط، والإسكندرية، ويسمى واحدهم قبطان بك، وبدفتردار[٢١٩]، وأمير الحج، وأمير الخزانة، وحكمداريو أو مديريو المديريات الخمس، الآتي ذكرها: جرجا، والبحيرة ، والمنوفية، والغربية، والشرقية، ولم يكن

لغير الكخيا والدفتردار، وأمير الحج، الحق في دخول الديوان، فالدفتردار كان عليه ضبط الحسابات، وحفظ الدفاتر والسجلات، ولا ينفذ إلا ببيع عقار إلا بعد توقيعه عليه إشارة إلى تسجيله في دفاتره، وأمير الحج يحمل الهدايا والصدقات التي كان يرسلها السلطان سنويا إلى مكة أو المدينة، وعليه حماية قافلة الحج ذهابا وإيابا.

وأما أمير الخزانة، فيحمل القسم المختص بالقسطنطينية من حاصلات مصر برا وعليه حمايته، وينتخب من البكوات أيضا " شيخ البلد" [٢٢٠] وسنعود إليه ويكون له شأن عظيم.

وكانت مديريات القليوبية، والمنصورة والجيزة، والفيوم في عهدة كُشاف[٢٢١] لا فرق بينهم وبين البكوات في النفوذ، ولا يعمل بإقرار أحدهم إلا بعد مصادقة الشوربجية وغيرهم من الوجاقيين الذين يتألف منهم ديوان خاص في كل مديرية، ثم أن تعيين كخيا الباشا وقباطين السويس ودمياط والإسكندرية متعلق رأسا بجلالة السلطان، فيرسلونهم من الآستانة ويستدعونهم إليها في آخر كل سنة.

أما البكوات الآخرون، فيعينهم الديوان، ويوليهم الباشا، وتثبتهم الباب العالي، ومراكزهم ثابتة إلى أن واجباتهم تتغير، إلا الدفتردار، وقد ينتخب البكوات من وجاق المتفرقة ومتى انتخبوا لا يعودون تابعين لذلك الوجاق.

وكان من هم الباب العالي الانتباه إلى [ص/٧٤] السويس ودمياط والإسكندرية على الخصوص، لأنها الأبواب التي يدخل منها إلى مصر، فكان يرسل حاميتها رأسا من الآستانة تحت قيادة القبابطين، ويجددها كل سنة، وهؤلاء القبابطين لم يكونوا يحسبون من جند مصر إلا باعتبار إقامتهم فيها وبما ينالونه من الإمدادات المالية لنفقاتهم.

أما ما خلا ذلك، فكانوا يحسبون أجانب في اعتبار الباشا وديوان مصر، ولم يكونوا تحت أوامر حكومة البلاد في شئ، فأوامرهم كانت ترد إليهم من ديوان الآستانة رأسا.

حاصلات البلاد[٢٢٢]

هذا من قبيل الإدراة، أما من قبيل حاصلات البلاد، فإن السلطان" سليمان" إنه المالك الحر لأرض مصر، فكانت له ملكا، وكان يفرقها إقطاعات على مزارعين

كان يدعوهم الملتزمين، على أنه لم يكن أن يمنع إقطاعها أو يقفه، فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الإقطاعات والملك الحقيقي والفلاحون الذين كانوا يحرثون الأرض كانوا يتمتعون بنصيبهم منها ويورثونها لأعقابهم، ولكنهم مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها، وعليهم خراج لا مناص من دفعه للملتزمين متى توفي فلاح بلا وريث، تعطى أرضه للملتزم، وهو يعهد بحراثتها إلى من يشاء، وإذا مات الملتزم بلا وريث تعود الأرض إلى السلطان، وكان على كل من الملتزمين والفلاحين خراج يدفعونه إما نقدا أو عينا، فإذا تأخر الملزم، تؤخذ الأرض منه. ونظرا لاتساع أرض مصر**[ص/٧٥]** لم يكن[٢٢٣] حصر أملاك كل من الملتزمين، فلم يكن ممكنا تعيين مقدار خراجها، فأرسل السلطان " سليمان" مساحين مسحوا الأرضين المصريين، فقسموا المديريات إلى أقسام دعوها بالقراريط ومسحوا كلا منها على حده، وحددوه[٢٢٤].

ولاة مصر في زمن السلطان " سليمان"

قلنا إن السلطان " سليم" ولي حكومة مصر " خيربك" الذي خان[٢٢٥] " الغوري" و" طومان باي" في تسليم حلب، فتوفي " خيربك" سنة ٩٢٨هـ ، ودفن في جامعه[٢٢٦] المعروف باسمه في شارع " درب الوزير " وبعد وفاته، لهجت الألسنة بذمه لعظم استبداده.

وولي السلطان " سليمان" مكانه مصطفى باشا[٢٢٧] وبعد تسعة أشهر و٢٥يوما أبدل " بأحمد باشا"[٢٢٨] ، وكان عدوا للصدر الأعظم" إبراهيم باشا" فدس الصدر سنة ٩٣٠هـ إلى أمراء المماليك في القاهرة أن يقتلوه، فعلم بالدسيسة، فقبض على الكتب الواردة بذلك قبل أن تصل إلى أصحابها، ثم استدعاهم وأعلنهم أنها أوامر جلالة السلطان بقتلهم، ولم يطلعهم عليها، فأبوا الإذعان، إلا أن إباءهم لم يمنع قتلهم.

ولما تأكد " أحمد باشا" أنه صار في مأمن من المقاومين، صرح باستقلاله ، وأمر أن يخطب له، وأن تضرب النقود باسمه، وهو أول من طمع بالاستقلال[٢٢٩] من ولاة مصر في عهد الدولة العثمانية، ولكنه بالغ بالعسف، فاختلس ممتلكات البعض وحبس البعض، فثارت الأفكار عليه حتى أصبحت حياته في خطر.

وبينما هو ذات [ص/٧٦] يوم في الحمام، فاجأه أميران من أمرائه كان قد أمر بسجنهما وهما، " جهم الحمزاوي"[٢٣٠] و " محمد بك" فكسرا باب السجن وخرجا رافعين العلم الشاهاني، يستنصران الناس حتى أتيا الحمام، فعلم الباشا بذلك ففر من السطح والتجأ إلى أحد مشائخ عربان الشرقية واسمه " ابن بقر"، فتعقبه أعداؤه حتى أدركوه وقطعوا رأسه على باب زويلة ثم نقل إلى الآستانة سنة ٩٣١هـ (١٥٢٤م).

فأرسل السلطان عوضا عنه " قاسم باشا" [٢٣١]، وفي نيته تقصير مدة هؤلاء الولاة لئلا يثور في خواطرهم حب الاستقلال، فبعد تسعة أشهر و ١٤ يوما استبدله بإبراهيم باشا[٢٣٢] وكان نشيطا، محبا للإصلاح والنظام إلا أن قصر مدته[٢٣٣] لم تمكنه من إتمام ما كان شارعا فيه، فعزل وأقيم بدلا منه " سليمان باشا" سنة ٩٣٣[٢٣٤]، وكان السلطان راضيا عن سميه هذا، فأبقاه في الولاية تسع سنوات و ١١ شهرا. وفي سنة ٩٤١هـ (١٥٣٥م) استقدمه إلى الآستانة، ليسلمه قيادة حملة أعدها لمحاربة الفرس والهند[٢٣٥]، وقد أقام في أثناء حكمه بنايات كثيرة من جملتها جامع سارية[٢٣٦] في القلعة، وناب عنه في غيابه " خسرو باشا" نحو سنة وعشرة أشهر فعاد " سليمان باشا" إلى مصر، وبقي عليها بعد ذلك نحو سنة وخمسة أشهر[٢٣٧].

وفي سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) عهدت باشوية مصر إلى " دواود باشا" فبقي عليها ١١ سنة و ٨ أشهر، وكان رجلا مستقيما، وكريم الخلق، محبا للعلماء، آخذا بناصرهم كلفا بالمطالعة وعلى نوع خاص مطالعة الكتب العربية، فجمع منها عددا وافرا، واستنسخ [ص/٧٧] كل ما ظفر به من الكتب غير المطبوعة، فجمع مكتبة جميلة جدا[٢٣٨].

وكان الأهلون في مدة حكمه في بحبوحة السعادة والأمن وتوفي في القاهرة سنة ٩٥٦هـ[٢٣٩]، فتولى مكانه" على باشا" وهذا رمَّم وبنى عدة بنايات عمومية في " القاهرة " وفي " فوه" و" رشيد" واقتدى به غيره من بكوات " مصر"، فجعلوا يشيدون الجوامع، منها الجامع الذي ابتناه " عيسى بك" في " ديروط" وكان على باشا محبوبا، مكرما عند المصريين بمنزلة الأب، لكنه على ذلك لم يحكم إلا أربع سنوات وستة أشهر[٢٤٠]

ففي سنة ٩٦١هـ (١٥٥٣م) تولى باشوية " مصر " محمد باشا"[٢٤١]، وكان الناس يبغضونه، فلم يحكم إلا ثلاث سنوات، ولما زاد التشكي منه، عزل واستقدم إلى الآستانة للمحاكمة فحكم عله بالقتل سنة ٩٦٣هـ(١٥٥٦م).

وبعد " محمد باشا" تولى " اسكندر باشا" فحكم ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ونصف[٢٤٢].

وفي سنة ٩٦٨هـ، تولى " على باشا" الخادم[٢٤٣]، وبعد ١٧ شهرا خلفه "مصطفى باشا" (الثاني) في سنة ٩٦٩هـ[٢٤٤].

ثم في سنة ٩٧٦هـ (١٥٦٤م) تولى " على باشا" الصوفي[٢٤٥] سنتين وثلاثة أشهر، وكان "على الصوفي" قبلا حاكما في " بغداد" مشهورا فيها باعوجاج الأحكام والخيانة.

فلما تولى " مصر" ، كثرت فيها السرقات والتعديات، حتى غصت القاهرة باللصوص، واخترقت طائفة منهم المدينة حتى الجامع الأبيض، فاضطرت الحكومة أن تقيم سورا من قنطرة الحاجب إلى هذا الجامع منعا لمثل ذلك.

وفي شوال سنة ٩٧٣هـ (١٥٦٦م) أبدل " على باشا الصوفي" "بمحمود باشا" [٢٤٦] وهو آخر من تولى مصر في أيام السلطان "سليمان" فجاء[٢٤٧] الآستانة بموكب عظيم، فأهدى إليه في أثناء مروره من الإسكندرية إلى القاهرة ، هدايا عظيمة، فلما [ص/٧٨] وصل القاهرة، لاقاه الأمير " محمد بن عمر" متولى الصعيد على قارب فيه جميع أنواع الهدايا وخمسون ألف دينار، فأخذ الباشا الهدايا منة بخنقه حال خروجه من مجلسه، وأمر أيضا بخنق القاضي " يوسف العبادي" ، لأنه لم يأت لملاقاته، ولم يهده شيئا، واستمر على هذه المظالم حتى قتل معظم أعيان القاهرة، فكان لا يمر إلا ومعه السوباصي " رئيس الجلادين" فإذا مر بأحد، وأراد قتله، أشار بيده إلى السوباصي[٢٤٨]، فيعمد حالا إلى ذلك التعس ويقتله بأسرع من لمح البصر.

وفي ٣ رجب سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٧م) توفي الأمير" إبراهيم" الدفتردار، وكان أميرا للحج، فاستولى " محمود باشا" على ما ترك من المال، والمماليك، والجواري وجملة ذلك مائة ألف دينار ضمها إلى المال الذي يرسل إلى الآستانة سنويا، ويعين منها هدايا ثمينة للسلطان ووزرائه، استجلابا لخواطرهم، لكنه لم ينتفع من ذلك قبل أن قتل[٢٤٩] في يوم الأربعاء غاية جمادي الأولى[٢٥٠] سنة ٩٧٥هـ

(١٥٦٧م) وهو مار في موكبه الاعتيادي بين البساتين، ولم تقف الحكومة على القاتل، فاتهمت اثنين من الفلاحين وقتلتهما ظلما لأنهما وجدا بقرب مكان القتل.

وكان السلطان " سليمان" قد توفي قبل ذلك (٩٧٤) ١٥٦٦م وسنه ٧٤سنة، ومدة حكمه٤٨ سنة فتولى بعده ابنه "سليم شاه" (الثاني). وهذه صورة نقوده مؤرخة ٩٢٦هـ[٢٥١]

[ص/٧٩] ٣- سلطنة " سليم بن سليمان"
في سنة ٩٧٤-٩٨٢هـ أو في ١٥٦٦-١٥٧٤م

هو " سليم الثاني" ولد سنة ٩٣٠(١٥٢٤م) فلما تولى الملك كان في السابعة والأربعين من عمره[٢٥٢] وكانت أمه روسية (صقلبية)[٢٥٣] ولم يكن أهلا للاحتفاظ بما خلفه أبوه من الفتوح ولا القيام بما أسسه من المشاريع، ولكن وزيره " محمد باشا صُقللي"[٢٥٤] كان حكيما، محنكا في السياسة والحرب، فمنع الدولة من الفشل- ذلك شأن الدولة الاستبدادية- إنما تقوم بشخص ملكها وتكون كما تكون[٢٥٥]، فإذا كان حازما، عاقلا سعدت وأفلحت، فإذا خلفه ملك ضعيف، ضعفت وتقهقرت.

وفي أيامه، عقد الصلح بين " الدولة العلية" والنمسا" ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨م، ومن شروطه حفظ النمسا أملاكها في المجر، وأن تدفع جزية سنوية، وتعترف بتبعية " الفلاخ" و" البغدان"[٢٥٦] و" ترانسلفانية" للدولة العثمانية.

وفي أيامه أيضا فتحت" قبرس" ، وكانت تابعة " للبندقية" ففتحها "بيالي باشا" سنة ١٥٧١م وجرت في أيامه واقعة ليبانت[٢٥٧] البحرية، غُلب فيها العثمانيون، وكانت خسائرهم فاحشة.

أما من جهة مصر، فإن السلطان " سليما" المذكور حالما بلغه موت" محمود باشا" أمر بنقل " سنان باشا" من باشوية حلب إلى باشوية مصر[٢٥٨]، وبعد وصوله إليها بتسعة أشهر، أمره بالزحف على اليمن فبرح مصر في ٤ شوال سنة ٩٧٦هـ (١٥٦٩م) ومعه " حمزة بك" و " ماماي بك" وغيرهما من أمراء مصر، واستخلف على مصر " اسكندر باشا الشركسي"[٢٥٩] ومكث " سنان باشا" في تلك الحملة سنتين و٤ أشهر، فتح اليمن وعاد ظافرا إلى مصر، فرأي الأحوال هادئة ، والنظام مستتبا بدراية " اسكندر باشا" المذكور[ص/٨٠] لأنه كان حكيما، محبا للرعية، فرفع

الضرائب عن الفقراء والعاجزين، والقسم الأعظم من طلبة العلم، وكان شديد التعلق بالعلم وبذويه.[٢٦٠]

فلما عاد " سنان باشا" إلى مصر (أول صفر سنة ٩٧٩هـ) ١٥٧١م عادت أحكامها إلى يده، فاهتم بتأييد النظام، حفظ رونق البلاد، فأعاد حفر ترعة الإسكندرية، ورمم وبني فيها جامعا وشارعا وعدة حمامات، وبنى في " بولاق" " بمصر " شارعا ووكالات، وجامعا لا يزال معروفا باسمه، ومازال على مصر إلى ذي الحجة سنة ٩٨٠هـ [٢٦١]، فخلفه " حسين باشا" وكان على جانب من اللطف والدعة وحب العلم الأدب، ولا يعاب إلا لكثرة حلمه[٢٦٢] الأمر الذي أدى إلى تكاثر اللصوص في ولايته، ولم يحكم إلا سنة وتسعة أشهر، وفي أيامه توفي السلطان " سليم الثاني" في ٢٨ شعبان سنة ٩٨٢هـ (١٥٧٤م) بعد أن حكم ثماني سنين وخمسة أشهر و١٩يوما.

وهذه صورة نقوده ضربت في حلب سنة ٩٧٤هـ[٢٦٣].

٤- سلطنة " مراد بن سليم"

من سنة ٩٨٢- ١٠٠٣هـ أو من ١٥٧٤-١٥٩٤م[٢٦٤]

هو " مراد الثالث" ولد سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٦م) فلما تولى الملك لم يكن سنه يتجاوز الحادية والثلاثين من عمره[٢٦٥]، وكان عاقلا ورعا، وكانت الخمر قد شاع شربها في المملكة العثمانية، وأفرط الجنود فيها، وخصوصا الانكشارية، فأمر بإبطال شربها، فثاروا وأجبروه أن يبيح لهم الشرب بما لا يسكرهم، وكان لهذا السلطان خمسة إخوة، فلما تولى الملك، أمر بقتلهم ليأمن منازعتهم إياه على الملك.

قتل الإخوة في الدولة العثمانية

وقتل الإخوة لهذا الغرض كان متبعا في الدولة العثمانية إلى ذلك الحين، وأول من فعل ذلك منهم رابع سلاطينهم " بايازيد بن السلطان مراد"، (تولى الملك سنة ١٣١٩م)[٢٦٦] وكان بكر إخوته وله أخ أصغر منه معروف بالشجاعة، والنجدة وعلو الهمة، فخاف منه على سلطته، فأجمع الأمراء على قتله، خوف الفتنة، وانقسام المملكة، ويقال إنهم فعلوا ذلك بفتوى شرعية أفتى بها علماء ذلك العهد بناء على الآية " والفتنة أشد من القتل"[٢٦٧] وأصبح قتل الإخوة قاعدة يرجع إليها العثمانيون عند

الحاجة، فكان السلطان حالما تفضي إليه السلطنة بعد موت أبيه، يعمد إلى قتل إخوته ولو كان بعضهم رضيعا كما فعل السلطان " محمد الفاتح" وكان له أخ رضيع اسمه " أحمد " فلما مات أبوهما وأفضت السلطنة إلى " محمد فأول شئ باشره، نقل جثة أبيه لتدفن في بورصة، ثم أمر بقتل أخيه.

[ص/٨٢] ولما صارت السلطنة إلى السلطان" سليم الفاتح" عين ابنه" سليمان"حاكما على القسطنطينية، وحمل بجيوشه إلى آسيا لمحاربة إخوته، حتى يتفرغ لأعماله بعد قتلهم، ولا يبقي من ينازعه. وكان من جملة أعماله في هذا السبيل، أنه عثرعلى خمسة من أولاد إخوته في بورصة، فأمر بقتلهم ثم طارد أخاه" كركود[٢٦٨]" حتى قتله كما تقدم، وكذلك فعل السلطان " مراد " بقتل خمسة أخوة حالما تولى الملك كما رأيت.

وأفظع من ذلك كله ما فعله السلطان " محمد الثالث" الآتي ذكره، فقد آلت السلطة إليه سنة ١٥٩٥م وله تسعة عشر أخا غير الأخوات، فأمر بخنقهم ودفنوهم من تجاه جامع أيا صوفيا في الآستانة.

وكأن هذه المبالغة في الفتك أفضت إلى رد الفعل بإبطال هذه العادة الوحشية، فلما انتقلت السلطنة بعد " محمد " المذكور إلى ابنه " أحمد الأول" سنة ١٦٠٣، ولم يكن سنه يتّجاوز الرابعة عشر، ولكنه كان عاقلا، وله أخ صغير اسمه " مصطفى" فلم يقتله، بل اكتفى بالحجر عليه أثناء سلطنته، فأصبح السلاطين بعده يعولون بالاحتفاظ بسلامة سلطتهم على الحجر بدلا من القتل، والفضل في ذلك يرجع إلى السلطان" أحمد" المذكور.

وله بدعة أخرى أدخلها في توارث الملك، لم تكن من قبل، وذلك أوصى بالملك بعده لأخيه " مصطفي" المشار إليه بدلا من أن يوصى به لأحد أولاده، كما كان أسلافه يفعلون، فبعد أن كان الملك ينتقل إلى الأبناء بالتسلسل في الأعقاب، صار ينتقل **[ص/٨٣]** إلى الإخوة أيضا، الأرشد فالأرشد، إلا ما قد يعترض ذلك من نفوذ الانكشارية، أو دسائس الوزراء، أو غير ذلك ، فالعرش العثماني مازال ميراثه محصورا في الأبناء من السلطان عثمان الأول إلى أحمد الأول، ثم صار ينتقل إلى الإخوة أيضا ولا يزال، فلنرجع إلى ترجمة السلطان" مراد".

وفي أيام السلطان " مراد" دخلت بولونيا[٢٦٩] في حماية الدولة العثمانية، وجرت حرب مع دولة الفرس، ودخل العثمانيون" تبريز"، وهي المرة الرابعة لدخولهم فيها.

وفي أيامه، توفي الصدر الأعظم " محمد باشا صُقللي" وكان قد حافظ على سيادة الدولة، وتمكن بسياسته من إبرام الصلح مع دول أوربا، وإنشاء عمارة بحرية بعد واقعة ليبانت، فكوفئ على خدماته بالقتل، بسبب دسائس حاشية السلطان فكان[٢٧٠] موته ضربة على الدولة، وتكاثر تبديل الصدور بعده.

أحوال مصر في أيامه

أما مصر، فولى عليها بدلا من " حسين باشا" مسيح باشا" وكان خزاندارا عند السلطان " سليم الثاني"، فحكم في مصر خمس سنوات وخمسة أشهر ونصف[٢٧١]. ووجه اهتمامه خصوصا إلى إبطال السرقات والتعديات، فكان يقبض على اللصوص ويقتلهم بدون شفقة حتى بلغ عدد من قتل من اللصوص عشرة آلاف[٢٧٢]، فارتاحت البلاد من شرورهم، ثم عكف على إصلاح شئون الرعية، وكان نزيها لا يقبل الرشوة ولا الهدية.

ومن آثاره مسجد عظيم في ضواحي القرافة لا يزال يعرف باسمه، وقد بناه على اسم الشيخ " نور الدين القرافي"[٢٧٣] وجعله له ولنسله ملكا حرا، وخصص [ص/٨٤] دخلا معينا للنفقة عليه، وأمر " مسيح باشا" أن تستهل الأوامر والكتابات الرسمية والأحكام بهذه العبارة " الحمد لله ، والصلاة والسلام على نبينا وآله وصحبه، إن المؤمنين إخوة ، احفظوا السلام بين إخوتكم واتقوا الله".

وفي سنة ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) وفي مصر " حسن باشا" الخادم خزندار السلطان" مراد الثالث" فلم يكن همه إلا جمع الأموال بأية وسيلة كانت، وإعادة ما كان حظره سابقه من الرشوة والهدايا، فبقي على ولاية مصر سنتين وعشرة أشهر[٢٧٤]، ولما عزل عنها سار من القاهرة خفية، وطلع من باب المقابر، لئلا ينتقم منه أهلها.

وفي سنة ٩٩١هـ (١٥٨٣م) ، خلفه " إبراهيم باشا" فأخذ يستطلع ويتحرى ما أتاه سابقه من الاختلاس، فجعل في جامع السلطان " فرج بن برقوق" موظفا خصوصيا لاستماع تشكيات المتظلمين على الوالي السابق من ١٠ رجب من تلك

السنة إلى غاية رمضان[٢٧٥]. فاطلع على مظالم لا تحصى، من جملتها ١٠٠٤أردب قمح من الشئون العمومية، باعها " حسن باشا" واستولى على قمتها، فرفع إبراهيم باشا تقريرا مدققا بشأن ذلك إلى السلطان، فأمر بقتله شنقا[٢٧٦].

ثم طاف " إبراهيم باشا" بنفسه يتفقد أحوال المديريات ويتحقق حالتها وزار أيضا آبار " أمرود" في الصحراء[٢٧٧].

وتولى مكانه " سنان باشا الثاني" وكان دفتردارا، وبعد ستة أشهر وعشرين يوما[٢٧٨]، برح مصر هاربا، وسبب ذلك أنه ساء التصرف، فاشتكاه الناس إلى الأستانة، فجاء " أويس باشا" إلى مصر ليتحرى[ص/٨٥] تلك التشكيات،فحالما علم " سنان" بمجيئه فر هاربا.

فتولى " أويس " حكومة مصر سنة ٩٩٤هـ [٢٧٩] ، وكان صارما في الأحكام، وكان في أول أمره قاضيا، ثم صار دفتردارا في الروملي، ثم نقل إلى باشوية مصر،وبقي عليها خمس سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام، وأراد أن يدرب الجنود ، فعصوه، وهجموا عليه في الديوان في ٢٨شوال سنة ٩٩٧هـ (١٥٨٨م) ونهبوا بيته، وفي جملة ما نهبوا منه ساعة كبيرة، تعرف منها الأيام، ثم ذبحوا الأمير " عثمان" قائد وجاق الجاوشية، وأخربوا بيت قاضي العسكر، وقتلوا قاضيين من قضاة مصر، ثم عمدوا إلى الحوانيت،فنهبوها، كل بذلك والأمراء لا يستطيعون منعهم، والاضطراب يزداد، والثائرون يتمردون، وقد حاول الدفتردار إيقافهم عند حدهم، فذهب سعيه باطلا.

ثم ظن " أويس باشا " أنه إذا جاءهم بالحسنى ربما يلينون، فبعث إلى القضاة أن لا يخالفوا لهم أمرا، فم يزدهم ذلك إلا عنادا وفجورا حتى قبضوا على أولاد الباشا رهن[٢٨٠] لما يريدون، فاضطر الباشا إلى الإذعان لما أرادوه وأعطاهم ما طلبوه[٢٨١] واستقال[٢٨٢] من تلك الولاية بعد أن مل من خيبة مساعيه الحميدة فيها.

فتولى مكانه" حافظ أحمد باشا" سنة ٩٩٩هـ (١٥٩١م) وكان حاكما في قبرص، وعلى جانب من عظيم من حب العلم وطالبيه حاذقا، مدربا في أمور الأحكام، وكان رفيقا بالأهلين، ففرق الحسنات على الحجاج الفقراء، وبنى في بولاق وكالتين وعدة قيصرات وعدة بيوت، وخصص ربع دخلها لعمل الخير، وبقي حاكما أربع سنوات [٢٨٣] [ص/٨٦] وفي سنة ١٠٠٣(١٥٩٥م) توفي السلطان "مراد"[٢٨٤]

٥- سلطنة " محمد بن مراد"

من سنة ١٠٠٣- ١٠١٢ أو من ١٥٩٤-١٦٠٢م [٢٨٥]

ولد هذا السلطان سنة ٩٧٤هـ (١٥٦٧م) فتولى الملك وهو في الرابعة والأربعين[٢٨٦] من عمره، وكان له ١٩أخا أمر بخنقهم كما تقدم ، ومما يذكر له أن السلاطين تقدموه[٢٨٧] (مراد وسليم الثاني) كانوا قد تقاعدوا عن قيادة الجند في ساحة الوغي، فرأى ذلك قد أضر بسطوة الدولة، فعاد هو إلى تولى تلك القيادة بنفسه، وكان لذلك تأثير كبير في سياسة الجنود وثباتهم، ففتح قلعة " أورلو" الحصينة، وكان السلطان " سليمان" قد عجز عن فتحها[٢٨٨].

أعماله في مصر

[ص/٨٧] أما مصر ، فولي عليها " قورط باشا" [٢٨٩] ، فلم يبق فيها إلا سنة وثمانية أيام، وكان الناس يحبونه للطفه ودعته وتنشيطه لطالبي الأدب، ومساعدته للفقراء ولكل من يلتجئ إليه.

وفي شوال سنة ١٠٠٤هـ[٢٩٠] خلفه السيد " محمد باشا" وبقي على الحكومة سنتين، اتبع في أثنائهما خطة أسلافه في تنشيط العلم والأدب، فأعاد بناء الجامع الأزهر، وجعل فيه وظائف يومية من العدس المطبوخ، تُفرق في الطلبة الفقراء، ورمم المشهد الحسيني، ومع كل ما كان يتوخاه في السعي في حفظ النظام مع الأهلين، لم يمكنه من إنقاذهم من ثورة عسكرية، أنتشبت في غرة رجب سنة ١٠٠٦هـ[٢٩١] في سائر أنحاء القطر المصري[٢٩٢].

ثم اجتمع العصاة في القاهرة، وكان السيد " محمد باشا" إذ ذاك في منزله في برية الجيزة، فعاد إلى القاهرة تحف به السناجق وزمرة من الخفراء، فلم يبال العصاة بذلك ، بل أطلقوا عليه النار، ولم يتخلص من أيديهم إلا بعد[٢٩٣] شق الأنفس فسار إلى أحد منازله ، فتبعوه وحاصروه هناك ليلا ونهارا، وألحوا عليه أن يسلمهم بعضا من ضباطه، وفي جملته " دالي محمد"[٢٩٤] أحد كبار الأمراء، والأمير الجلاد " السوباصي"[٢٩٥] والأمير " خضر" كاشف المنصورة، فطلب إليهم أن يمهلوه ثلاثة أيام.

فلما جاء رسوله، قالوا له " سيحكم الله بيننا وبين مولاك" وتفرقوا في المدينة، فظفروا بقاضي العسكر " عبد الرؤوف" فأجبروه على القيام بمطالبهم، اما الباشا فاغتنم اشتغالهم بذلك الشأن، وفر إلى منزله ودخل القلعة وأقفل أبوبها وراءه، والتجأ إلى" حسين باشا السكراني" قائد عموم الجيش و" بيري بك" أمير الحج ، فحاولا تسكين الثورة، فذهب سعيهما عبثا [ص/٨٨]، ثم علما أن العصاة قتلوا " محمد بك" و" الدالي محمد" وعلقوا رأسيهما على باب زويلة، ونهبوا بيتيهما، وأثخنوا في الناس قتلا ونهبا(٢٩٦).

وفي ١٧ ذي الحجة سنة ١٠٠٦هـ (٢٩٧)، أبدل السيد " محمد باشا" " بخصر باشا"(٢٩٨) فحكم ثلاث سنوات و١٢ يوما، وقد أغضب الأهلين منذ وصوله القاهرة، لأنه أمر بقطع الأعطيات والجرايات التي كانت توزع على العلماء والفقراء من الحنطة، ولم يقتصر على الإيقاع بهؤلاء الضعفاء، بل تجاوزهم إلى الضابطة فأحرمهم زادهم، فتجمهروا في ٢٠ رمضان سنة ١٠٠٩هـ (٢٩٩) ، وساروا إلى قاضي العسكر، ثم اتحدوا والقاضي في مقدمتهم، وتوجهوا إلى الديوان يريدون الانتقام، فقتلوا " كخيا باشا" وأمراء آخرين، فخاف الباشا فسلم لهم بما كانوا يطلبونه، وأعاد الأعطيات كما شاءوا وخمدت [ص/٨٩] الثورة وعادت الحياة إلى مجاريها(٣٠٠)، إلا أن الباشا لم يلبث هنيهة حتى جاءه الأمر بالإقالة(٣٠١)، فاستقال، وولي مكانه الوزير " على باشا السلحدار" وكان محبا للحرب ولذلك كان يكرم الجند على الخصوص، ولكنه كان سفاكا للدماء، فتظلم الناس من قسوته، ولم يكن يخرج في موكبه إلى المدينة أو ضواحيها إلا ويميت على الأقل عشرة أشخاص تحت حوافر جواده، فكان الناس يرتعدون خوفا من ذكر اسمه، ورافق ذلك جوع عظيم فكثرت الوفيات وعم الخراب، فازداد الرعب حتى أمر الباشا أن تدفن الموتي سرا.

أما هو، فترك القاهرة فرارا من تلك الغائلة(٣٠٢) واستخلف عليها" بيري بك"(٣٠٣) وبعد يسير، توفي هذا فانتخب السناجق الأمير " عثمان بك" (٣٠٤) ليقوم مقامه، وبقي هذا حتى عين الباب العالي من يخلف " على باشا" وكان ذلك التغيير بسبب وفاة السلطان" محمد الثالث" في ١٦رجب سنة ١٠١٢هـ(٣٠٥).

[٩٠] ٦- سلطنة " أحمد بن محمد"

من سنة ١٠١٢-١٠٢٦هـ أو من ١٦٠٣-١٦١٧م

ولد هذا السلطان في سنة ٩٩٨هـ (١٥٩٠م) فتولى الملك وهو في الرابعة عشرة من عمره عندما نفي ، وقد خالف من تقدمه من السلاطين بقتل إخوتهم[٣٠٦] كما تقدم.

وولي على مصر " إبراهيم باشا" فحكم فيها مدة قصيرة[٣٠٧]، انتهت بخطب جسيم، وذلك أنه منذ وصوله إليها، عزم على إبطال طلبات الجند، ولما أراد إنقاذ ما نواه، زادت الجنود تمردا.

وفي ربيع آخر سنة ١٠١٣هـ[٣٠٨] علموا أن الباشا خرج من القاهرة في زمرة من رجاله، وركب النيل إلى بولاق قاصدا شبرا قرب جسر أبي المنجا، فاجتمعوا في ضواحي القرافة، وتعاقدوا بالأيمان المغلظة على قتله.

وفي الصباح التالي[٣٠٩]، جاءوا وعسكروا في بولاق ينتظرون عوده، ثم قاموا من هناك يريدون مهاجمته في قلعة الدولاب، وكانوا قد علموا بالتجائه إليها، فلما علم هو ومن معه من السناجق بقدوم تلك العصابة تشاوروا فيما بينهم، فنصح له السناجق أن يسافر بحرا قبل أن يصل إليه ضيم فلم يصغ لهم وتشدد بمن معه من الجاويشية والمتفرقة.

ثم جاءت الجنود الثائرة وأحاطوا بالقلعة وبعثوا من بينهم ١٥رجلا ليأتوا برأس الباشا، فدخل هؤلاء القلعة والسيوف مشرعة في أيديهم حتى جاءوا مجلسه، فانتهرهم قائلا : " ماذا تريدون؟ ألم تستولوا عل مرتباتكم والأنعام الذي يعطي اعتياديا عند تولية الحكام عليكم؟ فماذا تطلبون؟ " فأجابوه: " لا نطلب شيئا إلا رأسك" قالوا هذا وصفعه أحدهم على وجهه وأدركه الباقون [ص/٩١] بالطعن مرارا ، ثم عمد أحدهم إلى رأسه، فقطعه[٣١٠]، فانتهرهم " محمد بن خسرو[٣١١]" ووبخهم على ما جاؤا به من القحة فلم يجيبوه إلا بما أجابوا ذاك، وأخذوا رأسي الاثنين، وعادوا بهما إلى رفاقهم حول القلعة، ثم حملوهما، وداروا بهما شوارع المدينة إلى أن علقوها على باب زويلة (معرض الرؤوس!) وكان قد تعود مثل هذا [٣١٢] الأكاليل[٣١٣].

وفي ذلك اليوم ، أقاموا عليهم " عثمان بك" فلم يقبل ، فولوا قاضي العسكر"مصطفى أفندي"[٣١٤] فلما علم ديوان الآستانة بقتل " إبراهيم باشا" أرسل

عوضا عنه الوزير " محمد باشا الكورجي" الملقب " بالخادم"[٣١٥] وحال وصوله القلعة، وردت الأوامر الصارمة من الباب العالي إلى جميع السناجق أن يستطلعوا أصل الثورة وأسبابها ، ويقبضوا على زعمائها، فاجتمع السناجق والقسم الأعظم من الجيش في قراميدان[٣١٦].

وكان الباشا في القلعة، فبعث يستقدم السناجق إليه، [ص/٩٢] ليبلغهم هذه الأوامر، ووعدوا السناجق إنهم إذا سلموا القاتلين نجوا ونالوا العفو العام، فقبلوا وسلموا القاتلين إلى الباشا، فأمر بقطع أعناقهم [٣١٧] بين يديه، وأطلق السناجق، فخاف الثائرون، وضعف عزمهم، ولا سيما لما رأوا من " محمد باشا" التيقظ لحفظ النظام ومعاقبة المعتدين، وقد قتل منهم نحوا من مائتي رجل في مدة حكمه القصيرة التي لم تتجاوز سبعة أشهر وتسعة أيام[٣١٨].

فتولى بعده الوزير " حسن باشا" وهو أقل صرامة من سلفه، فكان يعامل الجند بالحسنى، وكان ابنه فيهم برتبة بكلربكي[٣١٩]، وكانت الأحوال هادئة جدا في أثناء حكمه[٣٢٠].

ثم تولى بعده الوزير " محمد باشا"[٣٢١] في ٧ صفر سنة ١٠١٦هـ[٣٢٢] وبقي على حكومة مصر أربع سنوات وأربعة أشهر و١٢ يوما، وكان حكيما حازما، أخذ منذ وصوله القاهرة في المحافظة على السلام، فنجي الأهلين مما كان يكدر راحتهم، فاكتسب ثقتهم ومحبتهم، إلا أنه لم ينج من الحساد وذوي الأغراض.

وفي أواخر شوال من السنة التالية، ثارت عليه الجيوش، واجتمعوا في برج " السيد أحمد البدوي" تحالفوا أن لا يوافقوه على إلغاء الضرائب غير العادلة التي كانت مضروبة على القطر إلى ذلك العهد، ثم اختاروا من بينهم رئيسا ولوه عليهم سلطانا، وتقاسموا مصر إلى أقسام، تولى كل واحد منهم إثارة الشغب والنهب في قسم منها، فانتشرت تعدياتهم في جميع الدلتا، فلما علم " محمد باشا" بذلك [ص/٩٣] جمع السناجق" الجاوشية المتفرقة[٣٢٣] " وسار بهم تحت قيادته لردع العصاة في ٩ذي الحجة سنة ١٠١٧هـ[٣٢٤]، وأخذ معه ستة مدافع، وانضم إليه كثير من مشائخ العرب، وفي الليلة التالية، عسكر الجميع في بركة الحج.

وفي الصباح، هاجموا العصاة في الخانقاه، فضيقوا عليهم بالنيران، فاضطر أولئك إلى التسليم،فأخذ الباشا عهودا أولها أن يسلموا إليه سلطانهم وكبار رؤسائهم،

ووعدهم بالتأمين على حياتهم، فقبلوا وسلموا الرؤساء وعددهم نحو ٧٧، فأمر بقتلهم حالا، ثم جرد الباقين من سلاحهم، فتفرقوا، فتعقبهم رجال الباشا، وقتلوا من ظفروا به منهم[٣٢٥].

فلما رأي قاضي العسكر " محمد أفندي" الملقب" ببختي زاده" ما كان يحصل من أمثال هذه المذابح يوميا، نصح للباشا أن ينفي كل من يقبض عليه منهم إلى اليمن، ففعل، وكانت النتيجة حسنة، وبطلت التعديات.

ولما ارتاح " محمد باشا" من تلك الثورات، أخذ في إصلاح الإدارة المالية، فتفحص بنفسه النفقات التي كان تدفع من الخزينة، واقتصد منها كل ما لم يكن ضروريا ، ثم نظر إلى الضرائب، فأبطل طريقة المماليك الشراكسة فيها ، واتبع القوانين التي صدرت سنة ٩٣٢هـ (١٥٢٦م) في زمن السلطان " سليمان القانوني"، ثم نظم المكوس وعدلها ، ولم يكن يكلف نفسا إلا وسعها، فإذا رأي أرضا لا تقوى على القيام بما فرض عليها من المكوس، تنازل لها عنه وساعدها في إحياء مواتها[٣٢٦].

ولما برح مصر[٣٢٧] [ص/٩٤] نال من المكافآت والإنعامات ما لم ينله أحد من أسلافه في مصر.

وتولى بعده " محمد باشا" الملقب " بالصوفي " وكان يحب العلماء ورجال الفضيلة، وكان ورعا، حليما، عفيفا، لم يقبل رشوة، ولم يأت ظلما، إلا أنه كان ملوما لزيادة ضعفه بما يتعلق بمحبوبه يوسف الذي كثيرا ما تعدى حده[٣٢٨].

وفي سنة ١٠٢٢هـ (١٦١٣م) أرسل الصدر الأعظم عشرة آلاف جندي إلى اليمن، لإخماد ما كان ثائرا من الشعب هناك، وأرسلت الفرقة المذكورة عن طريق مصر ومعها أمر سام إلى الباشا بدفع النقود اللازمة لها، وتشييع الحملة إلى اليمن[٣٢٩]

فلما وصلت الجيوش إلى مصر، وعلموا بما ورد من الأوامر بشأنهم، ادعوا أنهم جاءوا ليقيموا في مصر ، ولم يذعنوا لأوامر الباشا بالسفر، فاتخذوا لهم منازل في مخازن باب النصر، وطردوا بعض أصحابها منها، فاجتهد الباشا أن يحملهم على التسليم بالأوامر الواردة إليه بشأنهم، فذهب سعيه باطلا، وأقاموا المتاريس في أبواب الحارة، وأقفلوا باب النصر، ونصبوا المدافع في برجيه، فاضطر الباشا إلى

محاصرتهم بكل ما لديه من الوجاقات والمدافع، فتمكن الأمير " عـــابدين بـــك" مـــن الدخول إلى حصنهم من باب في المدرسة المدعوة بالجنبلاطيـــة، فخـــاف العصـــاة وسلموا، ففرق فيهم الباشا ثمانين كيسا وسافروا.

وبعد يسير أقيل " محمد باشا" [٣٣٠] الصوفي فاعتزل في قبة العدليـــة، ولـــم يبرحها إلا بعد أن علم بوصول خلفه" أحمـــد باشـــا" دفـــتردار مصـــر ســـابقا إلـــى الإسكندرية، ثم جاء القاهرة ودخلها بموكب حافل [ص/٩٥] وبينما هو بموكبـــه فـــي المدينة، رماه بعض الناس بحجر من سطح بعض البيوت،فكسر الهلال الذي كان فوق عمامته، ولم يؤذه، فأمسك الفاعل، فاعترف بذنبه، فقتل في ذلك المكان.[٣٣١]

وفي محرم سنة ١٠٢٥[٣٣٢]، ورد إلى الباشا المذكور أمر من الآســـتانة أن يرسل ألفا من جنود مصر لتنضم إلى الجيش العثماني الذاهـــب لمحاربـــة الفـــرس، فأرسلهم تحت قيادة " صالح بك" أمير الحج، فســـاروا علـــى أتـــم نظـــام ، ومـــروا بالمديريات، ولم يشعر الأهالي بمرورهم لما كان لهذا الباشا من النفوذ، وما أقامه فـــي مصر من النظام مع إعطائه الجيوش حقهم من المرتبات، ولم يكن يتيسر قبـــل ذلـــك مرور مائة رجل بمقاطعة واحدة ما لم ينهبوها، فالتقت هذه الفرقة بالجيش العثمـــاني في الخانقاه، وانضمت إليه، ولما ودع الباشا عساكره، فرق فيـــهم المـــال، فأصـــاب الواحد ٢٠ دينارا على الأقل[٣٣٣].

[ص/٩٦] وكانت مدة حكم " أحمد باشا" سنتين وعشرة أشهر واثني عشـــر يوما[٣٣٤]، ولم يقتل في أثنائها أكثر من عشرة أشخاص ارتكبوا أمورا، استوجبوا مـــن أجلها القتل ولم يكن يحكم على أحد إلا بعد البحث الدقيق واستماع تقارير الدعوي من الطرفين.

٧-سلطنة [٣٣٥]" مصطفى بن محمد"

من سنة ١٠٢٦-١٠٣٢ هـ أو من ١٦١٧- ١٦٢٣م

تولى هذا السلطان كرسي السلطنة وهو فـــي الخامســـة والعشـــرين مـــن عمره[٣٣٦]، قضى معظمها في دار الحريم،ولم يمارس شيئا مـــن أمـــور المملكـــة، فاستضعفه رجال الدولة، فتآمروا على خلعه، فخلعوه[٣٣٧]، وولوا مكانـــه " عثمـــان الثاني بن السلطان أحمد".ثم تغير الانكشارية على السلطان، فخلعوا " عثمـــان"[٣٣٨]

وأعادوا " مصطفى" وكان بذلك أول عهدهم في التولية والعزل، ثم صار ذلك عادة جروا عليها مع سائر السلاطين، إذ صار الأمر لهم في التولية والعزل.

أما مصر في أثناء ذلك ، فاستبدل واليها " أحمد باشا " بمصطفى لفكلي"[٣٣٩]، ولم يبق على مصر بعد خلع السلطان الذي ولاه إلا بضعة أشهر، لأنه سهل النفوذ لذويه في الأحكام. فنشأت ثورة عسكرية في ٧شوال سنة ١٠٢٧هـ[٣٤٠]، فقتل الثائرون عددا كبيرا من الأمراء الأغوات وغيرهم من الكبراء، واضطر الباقون إلى الفرار، ولم يسكن الاضطراب إلا بعزل " مصطفى باشا" بأمر السلطان " عثمان"[٣٤١].

فتولى مكانه الوزير " جعفر باشا" وهذا لم تطل حكومته أكثر من خمسة أشهر ونصف، وكان محبا للعلم والعلماء، يجمع إليه رجال الأدب، ويكرم مثواهم، ولم يهتم كل تلك [ص/٩٧] المدة إلا بما فيه منفعة البلاد وراحة العباد.

وظهر في أيامه وباء انتشر في مصر ، وفتك بأهلها فتكا، ذريعا من غاية ربيع الأول سنة ١٢٠٨(١٦١٩م) إلى غاية جمادي الثانية من السنة المذكورة، وقد لوحظ أن معظم الذين ماتوا بهذا الوباء شبان بين الخامسة عشرة والعشرين من أعمارهم، وبلغ عدد من توفي بسببه ٣٦٥,٠٠٠ نفس.

وتولى بعد " جعفر باشا" " مصطفى باشا"[٣٤٢]، فقبض على " مصطفى بك" الملقب " بالبكلجي" زعيم الثورة التي نشأت في أيام " مصطفى باشا لفكلي"[٣٤٣] ، وحكم عليه بالإعدام، فسر الثاني بذلك لأن " مصطفى" المذكور كان أصل متاعبهم، على أن سرورهم لم يلبث أن ظهر حتى أبدل بالكدر[٣٤٤]، لأن " مصطفى باشا" حاكمهم الجديد، اضطهد تجارهم وضيق عليهم مسالك رزقهم، فرفعوا تظلماتهم إلى السلطان، فنظر في دعواهم، وأنصفهم، فعزل ذلك الباشا[٣٤٥]، وولى " حسين باشا"، فبادر هذا إلى إبطال جميع الضرائب غير العادلة التي كان قد ضربها[٣٤٦] سلفه.

وفي أيامه ارتفع النيل ارتفاعا فوق العادة فطاف على الأرض، وأغرقها حتى يئس الناس من البقاء لنهاية ذلك الطوفان، وأصابهم ضيق شديد أعقبه طاعون فتاك.

ثم عزل " حسين باشا" [٣٤٧] واستقدم إلى الآستانة، وقبل وصوله إليه خلع السلطان " عثمان الثاني" وأعيد " مصطفى الأول " سنة ١٠٣١(١٦٢٢م) الذي كان قبله.

أما الباشا المعزول، فوصل إلى الآستانة في أسعد الأوقات له، لأن إعراض السلطان السابق عنه، كان داعيا لرغبة السلطان الجديد في تقريبه منه، فاتفقت الأحزاب هناك على توليته الصدارة العظمى[٣٤٨].

وكان " عثمان الثاني" قبل وفاته، قد بعث إلى مصر " محمد باشا" بدلا من "حسين باشا" [ص/٩٨] ، لكنه لم يصل مصر إلا بعد أن أنبئ[٣٤٩] أهلها بما كان يأتيه في الروملي يوم كان واليا عليها، فنفروا منه وخافوا من تصرفه. ولحسن حظهم لم يبق بينهم إلا شهرين ونصف شهر.

فلما تولى " حسين باشا" الصدارة، عزله بأمر السلطان " مصطفى الأول"، وولى " إبراهيم باشا" [٣٥٠] وبقي هذا على مصر سنة، وقد تمكن بحسن سياسته وتدبيره من اكتساب رضى الأهلين وثقتهم إلا أنه حصل في أيامه ضيق عيش، وغلت أسعار المأكولات جدا.

ولما عزل " إبراهيم باشا" ، سار إلى الإسكندرية بحرا خلافا للعادة الجارية في من سبقوه على حكومة مصر، فإنهم كانوا إذا عزلوا من مناصبهم، سافروا برا.

وتولى مكانه " مصطفى باشا" واستلم زمام الأحكام من ٢٢رمضان سنة ١٠٣٢هـ [٣٥١] فأتاه كتبة الديوان يشتكون تصرف سلفه، وقالوا إنه مدين للخزينة بمبلغ وافر، فأرسل في إثره بعض الجاوشية، فالتقوا به، فهددهم بالقتل إذا لم يعودوا عنه فخافوا وعادوا إلى القاهرة، فأرسل الأمير " صالح بك" فأدركه وقد نزل البحر في الإسكندرية، فأوعز إليه أن يقف، فأجاب إنه متوجه إلى الآستانة، فإذا كان عليه شئ يدفعه هناك إلى السلطان نفسه، قال ذلك ونشر الشراع، فمخرت السفينة به فأطلقوا عليه من طابية منارة الإسكندرية بعض الطلقات المدفعية فلم يبال بها[٣٥٢]

[٩٩] ٨- سلطنة " مراد بن أحمد"

من سنة ١٠٣٢-١٠٤٩هـ أو من ١٦٣٣[٣٥٣]-١٦٤٠م

ولد السلطان سنة ١٠١٨هـ (١٦١٢م)، فتولى الملك وعمره دون الحادية عشرة سنة[٣٥٤] ولاه الانكشارية ليكون طوع إرادتهم، فاستأثروا بالدولة وعاثوا فيها فسادا، فانتهز الشاه " عباس" ملك الفرس اختلال أحوالهم لتوسيع أملاكه، فتمكن من فتح بغداد، وازدادت الأحوال اضطرابا، وثار الانكشارية حتى قتلوا الصدر الأعظم " حافظ باشا".

مضت عشر سنوات والدولة في تقهقر وضعف، حتى شب السلطان وقبض على مهام الحكومة، فحمل على بلاد فارس بنفسه على جيشه، استرجع بغداد[٣٥٥] وفتح أريوان[٣٥٦]، وبلغه أن أخويه " بايزيد " و" سليمان" يدسان عليه، فأمر بقتلهما، ثم استرد الفرس أريوان[٣٥٧].

أما مصر ، فبعد تولية " مصطفى باشا" بثلاثة أشهر أي من ١٥ ذي الحجة، ورد إلى القاهرة، أمر بعزله، وتولية " على باشا" مكانه، فاجتمعت الأجناد وساروا إلى القائمقام " عيسى بك" يطلبون الإعطاءات التي تفرق عند تولية كل وال جديد، فانتهرهم " عيسى بك" قائلا : " في كل ثلاثة أشهر تجددون هذا الطلبات؟" فأجابوه: وما المانع؟ ، ألم يغير مولانا السلطان كل ثلاثة أشهر واليا علينا؟ ألا يضر ذلك بمصلحة البلاد؟، وإذا أراد أن يولى كل يوم واليا، فنحن أيضا كل يوم نطلب الإعطاءات التي لنا" فحاول القائمقام إقناعهم، فلم ينجح ولم يزدهم ذلك إلا عنادا وتهديدا، وصرخوا جميعهم بصوت واحد: " نحن لا نرضى حاكما غير " مصطفى باشا" ، ويرجع هذا إلى حيث أتي" ثم قرأوا [ص/١٠٠] الفاتحة، وأقسموا أن يحافظوا على ما قالوه، وأن لا يحنث أحد منهم بذلك، وبناء عليه أعيد " مصطفى باشا" إلى منصبه.

فلما رأي الحزب العسكري معه، كتب إلى السلطان يطلب تثبيته، وأرفق الكتاب برسائل عديدة من علماء القاهرة ومشائخها وقضاتها، وجميعهم يطلبون تثبيته. ثم بلغهم وصول " على باشا" إلى الإسكندرية فبعثوا إليه وفدا يبلغونه أن الجند والأهلين متفقين على رفضه، فجمع الوفد إليه ودفع إليهم كتبا كلها مدح وإطناب

للأمراء والجيوش، فعاد الوفد وقرأ تلك الكتب على الجند، فلم يكن جوابهم إلا إعادة الوفد ليعيدوا مطالبهم الأولى.

فلما رأى إصرارهم، استشاط غضبا، وأمر بالقبض على ذلك الوفد، وقُيدوا إلى قلعة الإسكندرية مغلولين، وزجوا في سجنها، فتآمروا مع جند الإسكندرية وكانوا من حزبهم، فحلوا وثاقهم وهجموا جميعا على " على باشا" وقوضوا خيمته وأجبروه على الخروج من الإسكندرية حالا، فأنزلوه في قارب مخصوص، وأخرجوه من الميناء، وكانت الريح ضده، فأعادته ثانية، فأطلق عليه الأمير " مصطفى" من قلعة المنارة عدة طلقات ثقبت سفينه ثقوبا لم تغرقها، لكنها أخرجتها من الميناء ولقب الأمير " مصطفى" من ذلك الحين " بالطبجي"[٣٥٨]

وفي يوم ٢٠ ربيع آخر سنة ١٠٢٣هـ[٣٥٩]، جاء القاهرة كتاب يحمله الحمام الزاجل - وهو بريد تلك الأيام- فحواه قرب وصول مندوب عثماني ومعه الأوامر السلطانية.

وبعد أيام وصل ذلك المندوب ودخل القاهرة وجمع السناجق والأمراء وكبار الموظفين في الديوان، وألبس " مصطفى [١٠١] باشا" الخلعة المرسلة إليه من السلطان، ثم تلا عليهم الفرمان بتثبيته على مصر.

وفي السنة التالية، زاد النيل زيادة فوق العادة، فبلغ ٢٤ ذراعا، فخاف الناس أن لا ينحسر الماء عن أراضيهم في زمن يمكنهم فيه زراعتها، ولكنه أخذ في الهبوط بسرعة، فانكشفت الأرض وزاد خصبها.

الوباء وبيرام باشا

ولم تكد مصر تنجو من الجوع حتى داهمها ما هو أصعب مراسا منه، يعني الوباء، فإنه ظهر بها بأوائل ربيع أول سنة ١٠٣٥هـ[٣٦٠] وأخذ ينتشر في جميع أنحائها بسرعة.

وفي شعبان من تلك السنة، أخذ بالتناقص ولم ينقص إلا في أوائل رمضان قال بعضهم: إن الذين ماتوا بسبب هذا الوباء ٣٠٠,٠٠٠ نفس، فتذرع الباشا بهذه الضربات لاختلاس أموال الناس، فجعل نفسه وريثا لكل من مات بالوباء من الأغنياء فاستولى على تركاتهم، فتظلم الورثاء إلى الباب العالي، فاغتنم هذه الفرصة وعزله،

وولى " بيرام باشا" [٣٦١]، فجاء مصر وحاكم " مصطفى باشا" وحكم عليه بدفع الأموال التي اختلسها، فباع كل ماله من المتاع والمتقتنيات، ودفع ما عليه.

ولما عاد إلى الآستانة (١٠٣٧هـ) (١٦٢٧م) حكم عليه بالإعدام، ولا يخفى أن محاولة الجيوش والأمراء عزل وتولية الباشوات، بمجرد إرادتهم، مخالف للنظام ومغاير لما وضعه السلطان " سليم الفاتح" لكل فئة من فئات مصر الحاكمة من الحدود. فكانت موافقة الباب العالي خرقا للحدود السابقة وعليه فقد حصل بعض التعديل في القواعد الأساسية التي سنها السلطان" سليم" منذ قرون.

وكان [١٠٢] " بيرام باشا" محبا للعلم والعلماء، لكنه كان أكثر حبا لجمع المال، وإقامة المشاريع المفيدة، وتنشيط التجارة على أنواعها، وأكثر من الضرائب حتى على الصابون، وكان حازما، لم يترك للجند فرصة للتمرد، فهدأت مصر في أيامه.

" محمد باشا" و " موسى باشا"

ثم استُدعي " بيرام" إلى الآستانة، وعُيِّن وزيرا في ديوانها، وهذه هي المرة الثالثة لتعيينه في ذلك المنصب[٣٦٢] ، فتولى بعده الوزير" محمد باشا"، فساس الأمور بحكمة ودراية. وكان محبا للعزلة، فلم يخرج بموكبه في أثناء حكمه التي هي نحو السنتين[٣٦٣] إلا ست مرات.

واتصل به ما أصاب اليمن من الشغب الناتج عن سوء السياسة مع القبائل البدوية، فعرض على السلطان إخضاعها، وتعهد بإرسال فرقة من رجاله بقيادة " قنسو بك" أمير الحج لهذه الغاية، فأجابه السلطان إلى ما طلب، وولي " قنسو بك " على اليمن مع رتبة باشا وجعله بكلربكي (أمير الأمراء) على الجيش، فأنشأ "قنسو" جيشا من ثلاثين ألف مقاتل، وقبض مبلغا كبيرا ليدفع منه نفقات الحملة، وبعد أن قبضه، توقف عن السفر وترك جيشه بمصر يسلبون وينهبون ويقتلون الأهلين ويتعرضون للمسافرين.

ولحسن الحظ، كان بين تلك الجيوش ألف رجل من الروملي[٣٦٤] جاءوا للاشتراك في تلك الحملة تحت قيادة الأمير " جعفر أغا" فأخمدوا تلك الثورة وألزموا "قنسوبك" أن يسير بهم إلى اليمن في محرم سنة ١٠٣٩هـ [٣٦٥] فسار وحارب وفاز.

وبعد سبعة أشهر من سفر تلك الحملة (في ١٩شعبان)[٣٦٦]، طاف على مكة سيل من الماء ، أغرق القسم الأعظم من أراضيها حتى الكعبة، فهدم السلطان[٣٦٧] معظم بنائها، [ص/١٠٣] ولم يبق من جدرانها إلا الأيمن.[٣٦٨]

فاتصل ذلك بوالي مصر، فأوصله للسلطان" مراد الرابع" ، فأنفذ السلطان إلى " محمد باشا" يعهد إليه ترميمها ففعل، فبلغت جميع النفقات نحو ستة ألف غرش (الغرش يومئذ يساوي أربعة فرنكات تقريبا).

وفي سنة ١٠٤٠هـ (١٦٣٠م) كان ارتفاع النيل قليلا، فجاء شهر توت ولم يبلغ ١٦ذراعا، ومع ذلك ، فتح الخليج ، وسيقت المياه قليلة إلى الأرضين ، ولكن البلاد أمنت من الجوع بتدبير " محمد باشا".

وفي هذه السنة، استدعى " محمد باشا" إلى الآستانة، وقلده السلطان منصب الوزارة [٣٦٩] مكافأة لحسن سياسته ودرايته وتولى مكانه في مصر " موسى باشا" [٣٧٠] وكان للأهلين في بادئ الرأي ثقة به، وكانوا يحبونه ويجلون قدره، فخرجوا لملاقاته في شبرا، لكنه لم يكد يمكن قدمه، حتى استسلم لهواه، فأخذ في الاختلاس والاستبداد بأنفس العباد، فأمر بقتل أكبر رجال مصر بغير وجه حق، وجعل يراقب سير أغنيائها، ويترصد خطواتهم، لعله يجد سبيلا للاستيلاء على ثرواتهم.

وفي شعبان من تلك السنة[٣٧١]، بعث السلطان يطلب إليه أن يعد حملة من جنده لمحاربة الفرس فجمعها تحت قيادة " قيطاس بك" وضرب على البلاد ضرائب فاحشة باسم إعانة حربية.

ولما وصلت تلك المبالغ إليه، زعم أن مصر لا يمكنها تجريد مثل هذه الحملة لأن ماليتها لا تسمح لها بدفع النفقات اللازمة، فنصح له "قيطاس" أن يتبع الاستقامة، وهي أفضل له، فذهبت أقواله عبثا، ثم أوجس " موسى باشا" خيفة من قيطاس بك" لأنه اطلع على فظائعه، فاستدعاه إلى [ص/١٠٤] القلعة في عيد الأضحى في ٩ذي الحجة [٣٧٢]، وأمر أربعين من رجاله أن يقتلوه، ففعلوا.

فلما رأي الأميران " كنعان بك" و" على بك" ذلك، دفع الخوف في قلبيهما، وأسرعا إلى الجيوش، فأعلماهم بما كان من أمر " قيطاس بك" مع " موسى باشا" ،فاجتمعت العساكر حالا في الرميلة.

وأما السناجق والأمراء والقضاة وكبار الموظفين ، فاجتمعوا في جامع السلطان" حسن" ، وتفاوضوا في الأمر، فأقروا على عزل " موسى باشا" وتولية من يقوم مقامه مؤقتا ريثما يأتي أمر الباب العالي بشأنه، فخلعوه وأقاموا " حسن بك " مكانه، فكتب " موسى باشا" إلى السلطان يعلمه بخبر تلك الثورة، وكان رؤساؤها قد رفعوا إلى ديوان الآستانة كتابين، الواحد بالتركية، وقع عليه السناجق والأغوات وكبار ضباط العسكرية والآخر بالعربية من القضاة والمشائخ يطلبون بصوت واحد خلع موسى باشا، فأجابهم السلطان إلى طلبهم[٣٧٣] ،فولي عليهم خليل باشا.

خليل باشا

وفي ربيع أو سنة ١٠٤١هـ[٣٧٤]، وصل " خليل باشا" إلى مصر، استلم أزمتها، وبلغه أن جماعة من اللصوص ثاروا تحت رئاسة أحد الشرفاء المدعو " نامي" [٣٧٥]، ونهبوا مكة، فجمع جند القاهرة وأرسلهم بقيادة الأمير " قاسم بك" لإخماد تلك الثورة فساروا وحاربوا اللصوص وقتلوا زعماءهم.

وفي صفر سنة ١٠٤٢هـ [٣٧٦]، عاد " قاسم بك" بجيشه إلى القاهرة ظافرا، وأقبلت غلة مصر تلك السنة، وزاد خصبها وتضاعف ريعها، ونزلت أسعار الحنطة من ثمانية غروش للأردب إلى غرشين.

[ص/١٠٥] وفي سنة ١٠٤٢هـ (١٦٣٣م) استقال " خليل باشا" من ولاية مصر[٣٧٧]، فخرج منها، والناس يثنون عليه ثناء جميلا، لأنه كان عادلا ، حليما، فلم يكن يصدر[٣٧٨] أحكامه إلا بعد التروي بما يقول الخصمان.

ومما يحكى عنه إنه جئ إليه يوما بثلاثة لصوص، قبض عليهم متلبسين بالجناية، فأمر أن يحاكموا، فقال أحد رجال الديوان: " إن هذه الحادثة لا تحتاج إلى محاكمة لثبوت الجناية، فيجب إصدار الحكم بالإعدام"، فلم يكن جواب الباشا إلا الأمر بهدم بيت ذلك الناصح، فاستغرب الرجل ذلك، وسأل عن السبب الموجب له، فأجابه الباشا قائلا: كيف يحق لك الاعتراض عليّ إذا أمرت بهدم بيتك المبني من حطام الدنيا، ولا يحق لذلك الباني العظيم معارضتنا إذا هدمنا بنايته بغير وجه شرعي" ثم أبطل الهدم وأطلق اللصوص، قال " ابن أبي السرور" راوي هذه الحكاية، إن اللصوص قلوا بعد تلك الحادثة احتراما للباشا.

وبعد استقالة " خليل باشا" من مصر عُين على الروملـي، وتولـى مصـر الوزير " أحمد باشا" الملقب " بالكورجي" [٣٧٩] وكان قبلا أمير ياخور.

وفي صفر سنة ١٠٤٣هـ[٣٨٠]، وردت له الأوامر الشاهانية، أن يبعث ألفين من عساكر مصر إلى سوريا، مددا للحملة العثمانية على دروز لبنان[٣٨١] مع خمسة آلاف قنطار[٣٨٢] من البقسماط وأربعة آلاف قنطار من البارود، ثم جـاءت أوامـر أخرى بطلب ألفي رجل آخرين وثلاثة آلاف قنطار من البارود لمحاربـة الفـرس، فرأي " أحمد باشا" أن مصر لا تقوم بهذه الطلبات، فاعتذر إلي السلطان فبعث إليـه ١٢ألف قنطار[ص/١٠٦] من النحاس ليسكبها نقودا على أن يبعث عوضا عنها إلـى الآستانة ثلاثمائة ألف زر محبوب.

أصل النقود في المصرية

للنقود في مصر تاريخ لا بأس من ذكره، كانت المعاملة بمصر عند الفتـح الإسلامي بالدرهم[٣٨٣]، وهو وزن درهم من الفضة والدينار[٣٨٤]، وهو مثقـال مـن الذهب، وكان الدينار يبدل بعشرة دراهم.

تكاثرت الفضة فصار الدينار يساوي ١٢ درهما في أيام بنـي أميـة و١٥ درهما من أوائل بني العباس، ثم زادت قيمته إلى ٢٠درهما أو ٢٥ أو ٣٠ بـاختلاف الأحوال.

فلما كانت الحروب الصليبية، واختلط الإفرنج بالمسـلمين، دخـل البـلاد الإسلامية كثير من النقود الإفرنجية، وحدثت نقود جديدة كالبندقي[٣٨٥] والمجـر[٣٨٦] والبنتو[٣٨٧] وزر محبوب[٣٨٨] (وهو الدينار) والجنيه العثماني والإفرنجي والمصري وغيرها، وكلها من الذهب.

أما النقود الفضية، فأبدلت دراهمها بالأنصـاف[٣٨٩] وهـي البـارات[٣٩٠]، وكانت المبيعات الصغرى تقدر بإنصاف والكبرى بالبندقي أو الزر محبوب أو غيرها من النقود الذهبية، وسنعود إلى وصف نقود مصر في آخر العصر العثماني.

" فأحمد باشا" أخذ في سكب النحاس، وأعد لذلك عمال ومعامل، ثم رأي بعد حين أن جميع هذه الإجراءات ذاهبة عبثا لأن الفعلة ملّوا العمل، ومات أكثرهم مـن الحر والجهد، فجمع إليه ذوي شوراه من الأمراء، والقضاة، واستشارهم وكـان مـن

رأيه أن يدفع مطاليب السلطان من ماله الخاص، ثم يجعل النحاس سبائك صغيرة تباع في بلاد السودان بين تكرور وبلاد الزنج، فارتأي القضاة رأيا آخر، وهو أن يجبر الأهالي على استلام هذا النحاس ودفع المبالغ المطلوبة، وأن يفرق النحاس عليهم بمقادير متناسبة [ص/١٠٧] لما يدفعونه فوافق الجميع على ذلك وأخذوا في تنفيذه في ١٦ ذى الحجة سنة ١٠٤٣[٣٩١] ، وتمموه في آخر شعبان من السنة التالية.

فكان ذلك ثقلا كبيرا على كاهل المصريين إذ لم ينج من هذه الضريبة غني ولا فقير[٣٩٢]، فقلّت النقود، وغلت الحبوب وسائر المأكولات غلاء فاحشا، وزاد في الطنبور نغمة أن النيل في السنة التالية لم يكن وفاؤه حسنا، لكن الناس استنبتوا الأرض غلة متوسطة.

مظالم وتعديات

وبعد يسير دُعي أحمد باشا إلى الآستانة فسار ولم يدفع الأموال التي جمعت لخزينته، فرفع المصريون شكواهم بشأن ذلك ، فلما وصل الآستانة،حكم عليه بالإعدام، وتولى مكانه الوزير " حسين باشا"[٣٩٣] فجاء مصر في عصابة من الدروز التقطهم من كل ناد، وكانوا من قاطعي السبل، فساموا المصريين أنواع العذاب نهبا وقتلا، فاضطربت الأحوال ، وأقفلت الحوانيت ووقفت حركة الأعمال، وهذا أصل استهجان المصريين لكلمة درزي على ما يظن.

وأبطل " حسين باشا" حقوق الوراثة، فإن مات أحد الناس، استولى هو على تركته، وأحرم منها ورثته الأيتام والأرامل أو الثكالى، وإذا أراد أحد الانتقام من عدو، يكفيه أن يشي به إلى " حسين باشا" بأنه غنى أو ابن غني، فيزجه الباشا في السجن ولا يخرج منه إلا بالبذل الكثير، ولم يكن يمر يوم إلا وطوف فيه " حسين باشا" المدينة في موكبه، ولا تغيب الشمس قبل أن يقتل رجلا أو رجلين أو أكثر.

وقد حسب عدد الذين ذهبوا فريسة عتو[ص/١٠٨] هذا الغاشم في مدة حكمه وهي سنة و ١١ شهرا،فبلغوا نحوا من ألف ومائتي نفس غير الذين كان يقتلهم بيده، وكان له هيبة في قلوب رجاله، فأراد يوما أن لا يشركوه بالقتل والنهب، فحظر عليهم ذلك، فلم يعودوا يجسرون على المخالفة ولم يسمع بشئ من تعدياتهم من ذلك الحين.

ثم أقيل وخلفه الوزير " محمد باشا بن أحمد باشا" وابن ابنة السلطان " سليم الثاني"[٣٩٤]

وفي شوال من سنة ١٠٤٧هـ [٣٩٥]، وردت إليه الأوامر أن يرسل ألفا وخمسمائة مقاتل، نجدة للحملة العثمانية إلى بغداد[٣٩٦]، فأرسل تلك الفرقة بقيادة أمير الحج " قنسو بك"[٣٩٧] في محرم سنة ١٠٤٨هـ[٣٩٨]، فسارت ولم ترجع إلى مصر إلا بعد الاستيلاء على تلك المدينة في صفر سنة ١٠٤٩هـ [٣٩٩].

واتبع الباشا خطوات سلفه بالاختلاس والنهب، فجمع ثروة عظيمة من تركات الأمراء والعلماء، فقام عليه الورثة، وبعد الجهد، تمكنوا من تحصيل نصف الأموال، وازداد ظلما وعتوا حتى منع الصدقات التي كانت تدفع للأرامل والأيتام، وأخذها لنفسه،فكثرت التظلمات وتعددت العائلات المعسرة.

وفي الخميس ١٦ شوال سنة ١٠٤٩[٤٠٠]توفي السلطان مراد، وهذه نقوده مضروبة بالقاهرة سنة ١٠٣٢هـ[٤٠١].

[١٠٩] ٩- سلطنة إبراهيم بن أحمد

من سنة ١٠٤٩-١٠٥٨هـ أو ١٦٤٠-١٦٤٨م

ولد السلطان " إبراهيم سنة ١٠٢٤(١٦١٥م) ، فلما تولى الملك كان في الخامسة والعشرين من عمره.

وفي أيامه، فتحت جزيرة كريد[٤٠٢]، وصارت تابعة للمملكة العثمانية، وفيها أيضا زاد تمرد الانكشارية فمل من تمردهم، وعزم على الفتك بهم في ليلة زفاف إحدى بناته على ابن الصدرالأعظم، فاطلعوا على الدسيسة، وأجبروا المفتى أن يفتى بخلعه، فخلعوه[٤٠٣] وولوا ابنه" محمد الرابع " وعمره سبع سنوات، فلم يرض جند السباه[٤٠٤] بذلك، فأرادوا إرجاع " إبراهيم فخاف رؤساء العصابة الفشل، فقتلوا " إبراهيم "[٤٠٥] كما قتلوا " عثمان الثاني"[٤٠٦] قبله.

وكان المصريون لما علموا بانتقال السلطنة إلى "إبراهيم" المذكور، ظنوا ذلك التغيير يغير حالهم، وينجيهم مما هم فيه، وأول ما أجراه السلطان المذكور أنه استبدل " محمد باشا" وأحرمه من العطية التي تعطى لحاكم مصر عند استقالته، ولكنه أمر بعد ذلك بإبقائه، فعاد إلى أعماله، وازداد ظلما وصلفا، ففتك بالناس فتكا ذريعا.

ثم استبدل " محمد باشا " بمصطفى باشا"[٤٠٧] الملقب "بالبستانجي" وكان أبيّ النفس على نوع ما ، إلا أن كاتبه " أحمد أفندي " كان عابسا غشوما، وكانت أزمة الأمور في يده، فاستبد بها، فكره المصريون الحياة من أجله.

واتفق في أيامه تقصر النيل، فازدادت الأثقال بغلاء الحبوب، ولم يكن الباشا يتعرض للأحكام مطلقا، فكثرت السرقات حتى لم ينج حي من أحياء القاهرة من النهب، واضطر الناس إلى مهاجرة بيوتهم.

[ص/١١٠] وكان رئيس الضابطة إذا جئ إليه ببعض اللصوص، لا تغيب عليهم الشمس في السجن، ومثل ذلك كان يفعل الكشاف (حكام الأقاليم) ، فتواترت التشكيات إلى الباشا، فاضطر إلى عزل رئيس الضابطة وتولية " كنعان بك" مكانه، فاهتم هذا بالقبض على اللصوص، فسجن عددا كبيرا منهم.

وفي شوال سنة ١٠٥١[٤٠٨] ثارت الجهادية وتمرد الجاويشيون على رئيسهم الأمير" على" ، لأنه لا يفرق الأعطيات إلا على كتبته، فلم ير الباشا بدا من عزله وتولية " عابدين بك" في مكانه.

فلما رأي الجيش ما كان من فوز الفئة الثائرة ثاروا جميعا، وادعوا أن مخازن الحبوب فارغة، وطلبوا معاشاتهم المتأخرة منذ سنة، فعين " محمد أفندي" قاضي العسكر لتحري دعواهم، فتفقد مخازن الحبوب، فوجدها حقيقة فارغة، وعلم أن ما كان فيها باعه وأخفى ثمنه، فاضطر الباشا مراعاة لطلب الجمهور، أن يتخلى عن كاتبه مع شدة حبه له، فاستنجد الجاويشية، فأنجدوه وأعادوه إلى منصبه، فازداد تمردا، وبالغ في الانتقام، ثم استقال " مصطفى باشا" وتولى الوزير " مقصود باشا" [٤٠٩] وكان واليا على ديار بكر[٤١٠] قديما.

فلما استلم مقاليد الأحكام بمصر، بحث عن تصرفات سلفه ، فاطلع على أعماله، فقبض على كاتبه والكخيا، وجلدهما، وأجبرهما على إرجاع مائتي كيس من النقود إلى الخزينة.

أما " مصطفى باشا" فأرسل إلى الآستانة، وهناك أخذ منه مائتا كيس سلمت للخزينة الشاهانية وأصبح من صحبة الوزراء السبعة العظام.

الوباء

وفي أيام " مقصود باشا" قاست مصر أمر العذاب من وباء [ص/١١١] وفد عليها وكان أصعب مراسا من الوباء الذي وفد في أيام على باشا وجعفر باشا لأنــه كان عاما لم ينج من إصابته الشيوخ ولا الشبان، وقد أصاب من الشيوخ واحدا فــي الثمانية.

ظهر هذا الوباء أولا في بولاق أوائل شعبان سـنة ١٠٥٢هـ[٤١١] وبعـد شهرين ظهر في القاهرة، وما زال على معظمه من أول ذي القعدة من تلك السنة إلى غاية صفر سنة ١٠٥٣[٤١٢]، ثم أخذ في التناقص شيئا فشيئا ولم ينقض حتى الشــهر الثاني، ولم يكن يسمع إلا بالوفيات المتتابعة في كل سـاعة، وكـانت الجثـث تنقـل بالعشرات دفعة واحدة، فيمر في الشارع الواحد أحيانا ثلاثون أو أربعون جنازة.

وقد روي" ابن أبي السرور" وهو من المعاصرين أن جملة من صلى عليهم من المتوفين في الجوامع الخمسة الرئيسية في القـاهرة فـي أثنـاء ثلاثـة أشـهر ٢٩٦٠[٤١٣]، وصاروا في آخر الأمر يدفنون موتاهم بلا صلاة، وعدد هؤلاء لا يقـل عن عدد الذين صلى عليهم.

أما خارج القاهرة، فلم يكن الوباء أقل فتكا، ويقال إن ٣٣٠ قرية أصبحـت خرابا لإصابة سكانها جميعا بذلك الداء.

" مقصود باشا"

فلما رأي " مقصود باشا" ما ألم بمصر من الدمار، سـعى فـي إصـلاح الأحوال جهده، فاستعمل الرفق وألغى الضرائب التي وضعها أسـلافه بغـير حـق وجعل الوراثة إلى الأقربين الشرعيين، مع دفع شئ من التركات إلـى الحكومـة، وتحري التعديات تحريا شديدا وشددا في القبض على اللصوص، فقبض على كثيرين منهم، فقتل بعضا، وسجن بعضا، وقاضي آخرين حسـب ذنوبـهم مـع الغرامـة، فاستكنت [٤١٤] الناس،وطابت [ص/١١٢] قلوبهم.

وبينما كان هذا الباشا ساعيا في ما تقدم ، ظهرت في الإسكندرية فـي ٢٠ ذى القعدة من تلك السنة [٤١٥] ثورة كدرت الحالة، وذلك أن نحوا من سـتمائة مـن المسيحيين كانوا تحت طائلة القصاص مغلولين في سجون الإسكندرية.

ففي اليوم المذكور فتحوا السجون، والمسلمون في الجوامع يصلون، وطفقوا ينهبون الحوانيت والمخازن والبيوت، ولم يبقوا ولم يذروا، ولما ملأوا جعبة مطامعهم، نزلوا إلى مركب كان بانتظارهم في البحر، فأقلعوا يطلبون الفرار[٤١٦].

ولم يكن ذلك كل ما هدد " مقصود باشا" وحال دون مشاريعه، بل هناك ما هو أدهى وأمرّ– وذلك أن جماعة السناجق تآمروا على عزله في الجمعة ١٢رمضان سنة ١٠٤٥[٤١٧] باجتماع عقدوه في بيت الأمير " رضوان بك الملقب " بأبي الشوارب".

وسبب ذلك أن " مقصود باشا" كان قد طلب إليهم حينا بإيفاء رواتب الجيش عن شهر رمضان أن يدفعوا الثلث الأول من المال الذي يطلب من الخزينة من الإقطاعات العسكرية التي في أيديهم، فرفضوا بالإجماع وطلبوا عزل بعض الموظفين الذين يعدونهم من أنصار الباشا. فسلم الباشا لهم بما أرادوا، فلم يقتنعوا بذلك ، فكتبوا إلى الآستانة يشكون من سوء تصرفه، ووافقهم كثيرون من الأعيان، فكتب إليه الباب العالي رأسا ما مفاده: " أن الحضرة السلطانية لم تعلم أسباب الثورة الجهادية التي انتشبت في " مصر " وتعجب كيف أن الباشا لم يبلغ الباب العالي خبرها".

فأجاب الباشا أنه لم يحصل لديه ما يدعى ثورة ، وإنما هناك بعض الاختلافات التي يرجوا إصلاحها بالتي هي أحسن، ولذلك لم [ص/١١٣] يكن ثمة حاجة إلى إطلاعها.

فطلب إليه الباب العالي أن يتحرى ، ويعاقب المعتدين، ويصرف الأمر بما يتراءى له.

ومع ذلك اضطر إلى الإذعان، ولكنه أراد الفتك بالأمير " علي بك" والأمير"ماماي بك" والدفتردار" شعبان بك" لعلمه أنهم زعماء تلك الثورة ، فأعد لهم كمينا ليقتلوهم في الديوان، وعين لذلك الإثنين في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٠٥٤هـ[٤١٨]، لكن الدفتردار نزل إلى الديوان وحده في ذلك اليوم، فشاور الباشا عقله بين أن يفتك به وحده أو يخفي ما في ضميره ريثما يفتك بالثلاثة معا، فأقر أخيرا على إرجاء العمل إلى يوم آخر.

أيوب باشا وغيره

وفي اليوم التالي جاء الفرمان بعزله، وتولية الدفتردار " شعبان بك" قائمقاما يتعاطى الأحكام وقتيا، فشق ذلك على الباشا، لكنه أذعن وسلم مقاليد الأحكام " لشعبان بك " ، فكتب السناجق إلى الباب العالي يطلعونه على حقيقة ما حصل في أيام الباشا السابق، ويطلبون إليه الإسراع في إرسال من يخلفه، فأنفذ إليهم " أيوب باشا"(٤١٩) وكان قبلا من رجال القصر الشاهاني" المابين" (٤٢٠).

فلما عهدت إليه هذه الولاية تردد في قبولها لما رأي من الأخطار المحدقة بها ، لكنه لم ير بدا من قبولها. وكان رجلا حازما مستقيما، استعان برجاله على إدارة الأعمال. لم تمض سنتان على حكمه حتى استتب النظام، وسادت الراحة، ثم استقال من ذلك المنصب بعد أن صار وزيرا، وعكف على العبادة واعتزل السياسة، وزهد زهد الدراويش، فتنازل عن أملاكه في الآستانة[ص/١١٤] للدائرة الخاصة الهمايونية وانفرد في أحد المعابد(٤٢١) في الروملي، تولى مكانه الوزير " محمد باشا حيدر"(٤٢٢) سنتين ونصف، ولم يحسن الإدارة فارتبكت الأحوال.

وفي ١٠رجب سنة ١٠٥٧هـ(٤٢٣) ثارت فرقة من الانكشارية في مصر القديمة، فهددهم والي الشرطة فازدادوا تمردا، فساروا إلى الباشا، وطلبوا قتل ذلك الوالي (المحافظ) ولم يكن ذنبه إلا أنه قام بما عليه، فوافقهم الباشا على ما أرادوا.

أما الوالي فكان من وجاق الجاويشية، فلما علم هؤلاء بعزم الباشا، قاموا يشكون من سوء تصرفه بصوت واحد، فخاف أن تبلغ التشكيات مسامع الباب العالي، فتعود العاقبة وبالا عليه، فاجتمع" بقنسو بك" واستشاره بما يفعل، وكان هذا لا يشير إلا بما يعود عليه بالمنفعة الشخصية، فأشار على الباشا أن يرفع إلى الآستانة تقريرا سريا يشرح فيه ما حصل من القلاقل، وينسبها جميعها إلى الأميرين " رضوان بك " و" على بك" (٤٢٤) وينسب إليهما أيضا اختلاس الخزينة المصرية، وأنهما سلباه منصب أمير الحج وحكومة " جرجا" – كل ذلك لكي يرجع " قنسو بك" ، و"ماماي بك" إلى منصبيهما(٤٢٥)

رضوان بك وعلى بك

فباشر الباشا كتابة ذلك التقرير، وطلب إلى بعض الأعيان أن يوقعوا عليه،فبلغ ذلك مسامع " رضوان بك" ، فأسرع إلى كتابة تقرير مناقض لتقرير الباشا،

وبعث به إلى الآستانة، فوصل قبل تقرير الباشا، وفيه ما فيه من التشكيات ضد "قنسو بك" [ص/١١٥] و" ماماي بك"، فورد الجواب من الآستانة مفوضا إلى " رضوان بك" و" على بك" أمر النظر في تلك القضية.

وفي ٢١ جمادي الأولى سنة ١٠٥٧هـ[٤٢٦]، ورد الفرمان بذلك إلى الباشا، وفي ٢٧منه[٤٢٧]، استدعاهما الباشا إلى القلعة، فاستدعيا " قنسو بك" و" ماماي بك" وأمرا بقتلهما، وقتل أمراء آخرين كانوا على دعوتهما. ولم تكن تتخلص مصر من دسائس هؤلاء حتى ظهرت دسائس مصطفي كخيا الملقب بالششنير لأنه لم يسم سنجقا عوضا من قنسو بك.

وفي ٨ رمضان من تلك السنة[٤٢٨]، وردت الأوامر إلى" على بك" أن يترك القاهرة ويتوجه حالا إلى حكومته في جرجا، وبعد ثلاثة أيام استدعى الباشا "رضوان بك" إلى وليمة في القلعة، فخاف من دسيسته، فأبي الحضور، فغضب عليه الباشا وخلعه عن إمارة الحج، فخرج " رضوان بك" من القاهرة في ٢٠٠من رجاله، وفيهم عدة من الأمراء والكشاف، واتحد مع " على بك" فبعث الباشا على أثرهما ألفين من جنوده، ونحو خمسمائة من الانكشارية، فاجتمع الجند في " الرميلة" وأقروا على إغفال أوامر الباشا، ثم وردت الأوامر من الآستانة بتثبيت " رضوان بك" و" على بك " في منصبيهما، فاضطر الباشا إلى استقدام الأميرين، فقدما إلى القاهرة في ١٩رمضان[٤٢٩] بما لهما من الرواتب والحقوق، فسعى إلى مصالحتهما[٤٣٠] مع "مصطفى كخيا".

وفي ٦ ذي الحجة من تلك السنة[٤٣١]، شاع في القاهرة أن الوزير "مصطفى باشا" سمى على "مصر" عوضا عن " محمد باشا حيدر" ، وفي ٢٦ منه[٤٣٢] وردت [ص/١١٦] الأوامر قاضية بإعادة " محمد باشا" إلى منصبه[٤٣٣]. وفي تلك السنة توفي السلطان إبراهيم. وهذه صورة نقوده مضروبة في القاهرة [٤٣٤]

١٠- سلطنة محمد بن إبراهيم

من سنة ١٠٥٨-١٠٩٩، ومن ١٦٤٨-١٦٨٧م

تولى هذا السلطان العرش العثماني وهو طفل، فوقعت الفوضى في المملكة العثمانية، وأصبحت الجنود لا ترحم كبيرا ولا صغيرا، وصارت الحالة إلى أتعس

مما كانت عليه قبل "مراد الرابع" حتى تزعزعت أركـان الدولـة وطمعـت الـدول الأوروبية فيها، وتكاثرت الثورات الداخلية تارة من الإنكشارية، وآونة مـن السـباه، وأخرى من الولاة أو الأهالي، ولكن الله قيض له وزيرا عاقلا حكيما هو " محمد باشا كوبريلي" فتولى الصدارة سنة ١٠٦٧ [٤٣٥]، ففتك بالانكشارية وأذلهم وأخضعهم، ولهذا الرجل أياد بيضاء على الدولة، فإنه حفظها من الانحلال في تلك الأزمـة، وانتـهت سلطنة هذا السلطان بالخلع.

أما في " مصر" لما تولى السلطان محمد المذكور، عـزل " محمـد باشـا" واليها، وولي الوزير أحمد " باشا" فاستلم زمام الأحكـام مـدة سـنتين [٤٣٦] كلـهما اضطراب وقلاقل، وأول تلك القلاقل كانت سنة ١٠٦٠(١٦٥٠م) بسبب تقصير النيل، فإنه [ص/١١٧] لم يرتفع تلك السنة أكثر من ١٦ذراعا، فلم يرتو من أرض الصعيـد إلا الثلث، أما الوجه البحري فلم يرتو منه شئ تقريبا، فغلت الأسـعار حتـى خيـف المجاعة.

أما الباشا فلم يكن يهمه غير تكثير الضرائب مع أنه لم يكن يرسل منها إلـى الأستانة إلا الثلثين، وكان لسوء نيته يرسل تلك المبالغ في عهده" رضوان بك" ليحمل الباب العالي على الشك بأمانته فيتغير خاطر السلطان عليه، وكان إتمامـا لمكيدتـه يكتب إلى الباب العالي على التتابع يشكو من تصرف " رضوان بك" ويطلب خلعه من إمارة الحج، وتقليدها لعلي بك، وكان هذا على ما علمت من الصداقة مع " رضـوان بك " لكنه لم يكن يعلم بدسائس الباشا.

أما الباشا فكان في نيته أن يوقع الضغائن بيـن الأمـيرين، فيحـل عـري اتحادهما، لكنه لم يتم مقصده حتى أتي الأمر العالي بعزله يوم السبت ٦صفـر سـنة ١٠٦١هـ [٤٣٧] و" رضوان بك" لم يرجع إلى القاهرة بعد، ولم تكن نتيجة مسـاعي " أحمد باشا" إلا زيادة تألف قلبي ذينك الأميرين. وكان من كرم أخلاقهما أن كلا منـهما كان يتنازل للآخر عن إمارة الحج. فأعجبت هذه الأريحية المصريين، فأحبوهمـا وبالغوا في احترامهما حتى أقاموا لهما دعاء عموميا في " الرميلة" ، والباشـا إذ ذاك محبوس في القلعة ولم يفرج عنه حتى دفع للخزينة مبالغ وافرة.

فتولى مكانه الوزير " عبد الرحمن باشا" ومـازال إلـى أول شـوال سـنة ١٠٦٢هـ [٤٣٨] وقد قاسى ما قاساه سلفه من السجن والإهانة لأنه سار على خطواتـه

فاختار الباب العالي الوزير [١١٨] " محمد باشا" [٤٣٩] ليقوم مقامه في ٥ شوال من تلك السنة[٤٤٠]، ولكنه لم يدخل القاهرة إلا في ٨ محرم سنة ١٠٦٣هـ[٤٤١].

ومازالت الولاة تتوالى على "مصر " [٤٤٢] ولا شئ من أعمالهم وأحوالهم يستحق الذكر، وفي آخر الأمر تحول النفوذ من أيديهم إلى أيدي البكوات المماليك وهم يعدون مصر وطنهم، ويغارون عليها، أما الباشوات إذا أتوا " مصر " لا يكون ديدنهم إلا اكتساب الثروة بأية طريقة كانت لعلم كل منهم أنه لا يلبث أن يأتيه الأمر بالعزل، وقلما عزل أحدهم ولم يكن السجن مأواه.

١١- ١٣ : سلطنة ثلاثة سلاطين " سليمان بن إبراهيم" و" أحمد بن إبراهيم" و"مصطفى بن محمد"

من سنة ١٠٩٩- ١١١٥هـ (ومن ١٦٨٧-١٧٠٣م)

توالى على العرش العثماني في ست عشرة سنة ثلاثة سلاطين، ويدل ذلك طبعا على ارتباك أحوال الدولة ، فلما خلع السلطان " محمد الرابع" أودع السجن حتى مات سنة ١١٠٥هـ [٤٤٣] وبويع السلطان " سليمان الثاني" وبعد ٣سنوات توفي[٤٤٤]، فبويع السلطان " أحمد بن إبراهيم" وتوفي سنة ١١٠٦هـ [٤٤٥]، فبويع السلطان " مصطفى الثاني بن محمد الرابع" وبعد تسع سنوات أقيل سنة ١١١٥(١٧٠٣) وتوفي سنة ١١١٩هـ[٤٤٦].

وتوالى على " مصر " في أثناء هذه المدة نحو عشرين واليا[٤٤٧] أغضيت عن ذكرهم، لعدم أهميتهم، ولأن النفوذ انتقل منهم إلى الأمراء المماليك، وصار هؤلاء أصحاب الحل والعقد، وبهذه السلطة [٤٤٨] ينقضي الدور الأول من سيادة الدولة العثمانية على مصر، ويبدأ الدور الثاني.

[ص/١١٩] العلم والأدب
ومشاهير العلماء والأدباء في مصر
الدور الأول من : العصر العثماني
من ٩٢٣-١١١٥هـ
(١٧٠٣-٥١٧)

يجدر بنا بعد الإتيان على تاريخ مصر السياسي في الدول من سيادة الدولة العثمانية ، أن نأتي بفذلكة عن حالة مصر العلمية والأدبية في ذلك الدور.

يعد هذا الدور في تاريخ آداب اللغة العربية من عصر الانحطاط أو التقهقر، لذهاب دولة العرب، واستبداد سواهم في السيادة(٤٤٩)، وانغماس القوم في الجهل ، ولولا القرآن لذهبت اللغة العربية برمتها.

وكانت الدول الإسلامية غير العربية قبل الدولة العثمانية كالبويهيين، والسلاجقة، والطولونيين، والأتابكة والأيوبيين يجعلون اللغة العربية لغتهم الرسمية للمخاطبات والمكاتبات، فتبقى ببقاء السياسة، أما العثمانيون فأهملوا هذه اللغة (٤٥٠)، وجعلوا اللغة التركية لغتهم الرسمية.

وزد على ذلك ما رافق الفتح العثماني أو حواليه من الأسباب التي بعثت على تقهقر هذا القطر على الخصوص، وذلك أن أهل أوربا اكتشفوا في أثناء ذلك طرقا تجارية بحرية مثل: رأس الرجاء وغيره أغنت التجار عن إرسال تجارتهم مع الشرق الأقصى ذهابا وإيابا عن طريق مصر وانصرفت همم العالم المتمدن في الجهة الأخرى إلى العالم الجديد وغيره بعد اكتشافها، والمصريون يومئذ لا يعلمون شيئا عن تلك الاكتشافات، فكان هذا كله باعثا على إهمال مصر وانحطاطها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، ويتبع ذلك طبعا انحطاطها العلمي والأدبي(٤٥١).

[ص/١٢٠] وناهيك بفساد الأحكام، ومطامع الولاة وتسابقهم في ظلم الرعية، وسلب أموالهم، مما يشغل الإنسان بنفسه عن طلب العلم أو التبحر فيه.

وعليه فكان ينتظر أن تموت اللغة العربية ، ونعني بموتها ضعف شأنها بالآداب والعلوم، وإنما استبقاها الإسلام لاضطرار أصحابه إلى تعلم هذه اللغة واختلاط الامراء المماليك بالوطنيين وتعلم لسانهم.

وقد ساعد على إحياء آداب اللغة في تلك الفترة المظلمة أن بعض ولاة ذلك الدور كان فيهم ميل العلم والعلماء، أشهرهم " اسكندر باشا الشركسي" تولى مصر سنة ٩٧٦هـ- (١٥٦٨م) فقد تقدم أنه كان شديد الميل كثير التعلق بالعلم وذويه، و "حسين باشا " تولاها سنة ٩٨٠هـ-(١٥٧٢م) ، وشيد" محمد باشا" - سنة ١٠٠٤هـ فإنه كان ينشط العلم والأدب. وكذلك " محمد باشا الصوفي" وأهمهم وأقدمهم " داود باشا" -تولى مصر سنة ٩٤٥، (١٥٣٨م)، ومازال عليها أكثر من ١١سنة- وكان محبا للعلماء شديد الرغبة في المطالعة واقتناء الكتب، ينفق في سبيل استنساخها أو ابتياعها الأموال الطائلة، فجمع مكتبة نفيسة. ومنهم " جعفر باشا" ،و" بيرام باشا" وقد ذكرناهم في إماكنهم في هذا الكتاب. (٤٥٢)

فبالنظر إلى ذلك ، ظلت آداب اللغة العربية حية لكنها انحصرت بالأكثر في كتب الفقه، والدين، أو جمع الأدب والشعر حتى أشعارهم أكثرها في مدح النبي وأكثر المؤلفات الفقهية شروح وحواش. وراج من ضروب الفقه على الخصوص الفقه الحنفي، لأنه مذهب الدولة العثمانية، والفقه الشافعي لأنه [ص/١٢١] مذهب المصريين.

وكان الأزهر في تلك المدة مبعث نور العلم، والمدرسة العامة للعلم الإسلامي وأكثر مشاهير العلماء كانوا من طلبته، وكان الطلاب يقصدونه من أقاصي العالم، وله فضل كبير في استيفاء أصول العلوم التي كانت رائجة في ذلك العصر ، وأكثر نوابغ مصر في الدور الذي نحن في صدده من تلاميذه، وسنأتي بشذرات من تراجم مشاهير ذلك الدور، ونرتبهم حسب المواضيع مع مراعاة سني الوفاة- ما بين سنة ٩٢٣و١١١٥ هـ -(١٥١٧-١٧٠٣م) ولذلك كان بعض هؤلاء عاصر السلاطين المماليك، وإنما توفي في عهد الدولة العثمانية.

قبل التقدم إلى الكلام عن هؤلاء نذكر عالما هو إمام العلماء في القرن التاسع للهجرة نعني " جلال الدين السيوطي" ، توفي قبل الفتح العثماني باثنتي عشرة سنة (٩١١هـ) (١٥٠٥م)، وكان عالما كثير التأليف والتعليم، ألف في كل موضوع حتى زادت كتبه على بضع مئات، وتخرج عليه كثيرون ومنهم جماعة سيأتي ذكرهم في جملة نوابغ العصر العباسي(٤٥٣)الذي نحن فيه.

وبما أننا سنقتصر في ما يلي على الذين اشتهروا من المصريين دون سواهم فيشق علينا تحديد المراد بالمصرى في هذا الباب، لأننا نعرف جماعة كبيرة ولدوا خارج مصر ثم جاءوها فتعلموا في أزهرها، وتوطنوها وألفوا الكتب فيها فهؤلاء نعدهم من النابغين في مصر، ونذكر أخبارهم ونشير إلى أهم مؤلفاتهم، وهل طبعت؟ وأين يوجد الخطية منها؟[٤٥٤]

[ص/١٢٢] ١-الشعراء والأدباء

١- " عائشة الباعونية"

عاشت بمصر نحو سنة ٩٢٩هـ (١٥٢٢هـ، لها أشعار في مدح النبي سمتها: " الفتح المبين في مدح الأمين" منها نسخ خطية في مكاتب برلين والمتحف البريطاني[٤٥٥].

٢- " قنسو بن صادق"

من تلامذة " جلال الدين السيوطي" المتقدم ذكره، نبغ في أواسط القرن العاشر، ومن مؤلفاته: " السحر الحلال من إبداع الجلال" في شكل، المقامات منه نسخة خطية في المكتب الهندي بلندن.

وكتاب"مراتع الألباب في مرابع الآداب" شعر. منه نسخة في المتحف البريطاني[٤٥٦].

٣- " زين الدين الحميدي":

كان طبيبا بمصر، توفي سنة ١٠٠٥هـ (١٥٩٦م)، وله ديوان في مدح النبي سماه" الدر المنظم في مدح الحبيب الأعظم" طبع في بولاق سنة ١٢١٣[٤٥٧]. و" تمليح البديع لمديح الشفيع" منه نسخ خطية في مكاتب أوربا. ومنظومة في الجناس، منها نسخة في مكتبة برلين.

٤- عبد الباقي الإسحاقي المنوفي:

توفي سنة ١٠٦٠هـ (١٦٨٦م) في منوف، وله ديوان " سلاف الإنشاء في الشعر والإنشاء" منه نسخة خطية في مكتبة فيينا[٤٥٨].

٥- " يوسف عبد الجواد الشبيني"

عاش نحو ١٠٨٩هـ (١٦٨٦م)، له كتاب : " هز الحقوف " طبع بمصر والإسكندرية مرارا[٤٥٩].

[١٢٣] ٢- المؤرخون ونحوهم

١- " أبو البركات ابن إياس العامري الشركسي".

هو من تلامذة السيوطي، توفي سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) من مؤلفاته

١-كتاب " مرج الزهور في وقائع الدهور" ، وهو تاريخ عام، منه نسخ خطية في فيينا وباريس وغوطا[٤٦٠].

٢-كتاب " بدائع الزهور في وقائع الدهور" وهو خاص بتاريخ مصر إلى سنة ٩٢٨هـ (١٥٢٢م) مرتب على الأيام والسنين نحو كتاب " الجبرت"، وقد شهد فتح العثمانيين مصر بنفسه، ووصفه ، طبع في القاهرة سنة ١٣٠١ (١٨٨٣م) وفي بولاق سنة ١٣١١(١٨٩٣م) .

٣- " مشق الأزهار في عجائب الأقطار"[٤٦١] وهو يتعلق بالنجوم- منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي أكثر مكاتب أوربا.

٤- " نزهة الأمم في العجائب والحكم" ، منه نسخة خطية في مكتبة أيا صوفيا بالآستانة[٤٦٢].

٢-" أبو العباس بن عبد السلام شهاب الدين المنوفي الشافعي" ، توفي سنة ٩٣١(١٥٢٤م) ، تعلم في القاهرة ، وتولى القضاء في بلده " منوف" وله كتاب: " الفيض المديد في أخبار النيل السديد"[٤٦٣]، منه نسخة خطية في مكتبة مرسيليا. وكتاب " البدر الطالع في الضوء اللامع" ، منه نسخة في مكتبة ليدن.

٣- " محمد بن على الداودي" : من تلامذة " السيوطي"، توفي سنة ٩٥٤ (١٥٣٨م) ، له كتاب طبقات المفسرين منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٤- أحمد بن على بن نور الدين المحلى" المعروف" " ابن زنبل الرمّال".

عاش نحو سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) له كتاب في تاريخ أخذ مصر من الشراكسة" أي فتح السلطان " سليم " مصر، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي مكاتب فيينا وباريس وليدن ومنشن[٤٦٤]. وكتاب " تحفة الملوك [ص/١٢٤] والرغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب" هو كتاب جغرافي منه نسخة خطية في مكتبة

اكسفورد، وكتاب " المقالات في حل المشكلات". منه نسخة في المكتبة الخديوية. وكتاب " القانون في الدنيا" بالنجامة.

٥- " بدر الدين المنهاجي" - خطيب مسجد السيدة نفيسة:

توفي[٤٦٥] سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٣م) له كتاب " البدور السافرة في من ولي القاهرة" ، وهي أرجوزة تشتمل على ولاة مصر من الفتح إلى سنة ٩٥٦هـ(١٥٤٩م) منها نسخة خطية في مكتبة فيينا، وكتاب" النجوم الزاهرة" في ولاة القاهرة إلى سنة ٩٦١(١٥٥٣م)، منه نسخة في المكتبة الخديوية وأخرى في مكتبة برلين[٤٦٦].

٦- " عبد الواحد البرجمي" [٤٦٧]:

توفي سنة ١٠١٧(١٦٠٨م)، له كتاب " الرياض الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة "، منه نسخة في مكتبة الجزائر.

٧- " محمد بن عبد المعطي الإسحاقي المنوفي":

كتب نحو سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٢م) له:

١- كتاب " الروض الباسم في أخبار من مضى من العوالم" وهو مختصر تاريخ الإسلام من ظهوره إلى دولة الأمويين، فالعباسيين، فالفاطميين، فالأيوبيين، وتاريخ مصر إلى سنة ١٠٣٢ (١٦٢٢م) منه نسخ خطية في مكاتب باريس والمتحف البريطاني، وأحسبه طبع.

٢- كتاب لطائف أخبار الأول في من تصرف بمصر من الدول"[٤٦٨] طبع بمصر مرارا.

٨- " عبد الكريم أفندي بن سنان" :

توفي سنة ١٠٤٥(١٦٣٥م)، كان قاضيا في حلب وجاء مصر، له كتاب " تراجم كبار العلماء والوزراء"، منه نسخة خطية في مكتبة فيينا.

٩- " سعد الدين الغمري":

كتب سنة ١٠٥٠هـ(١٦٤٠م)، له كتاب " ذخيرات الأعلام بتاريخ أمراء مصر في الإسلام" ، منه نسخة خطية في برلين، وغوطا، وباريس.

[ص/١٢٥] ١٠- شمس الدين بن أبي السرور البكري الصديقي المصري، توفي سنة ١٠٦٠هـ[٤٦٩]، له:

١- كتاب التحفة البهية في تملك آل عثمان الديار المصرية" منه نسخة خطية في فيينا وغيرها.

٢- كتاب " الروضة الزهية في ولاة مصر القاهرة المعزية" من أقدم الزمان إلى سنة ١٠٣٥هـ(١٦٢٥م) منها نسخ خطية في "غوطا" و" إكسفورد".

٣- كتاب " الكواكب السائرة في أخبار مصر والقاهرة" إلى سنة ١٠٥٣هـ (١٦٤٣م) منه نسخ خطية في مكاتب منشن والمتحف البريطاني وباريس.

٤- كتاب " دُرَر المعالي الغالية" [٤٧٠] منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالآستانة[٤٧١].

١١- " إبراهيم بن أبي بكر الصالحي العوفي":

توفي [٤٧٢] سنة ١٠٧١هـ،له كتاب تراجم الصواعق في واقعات السناجق" وهو تراجم سناجق مصر- أي أغواتها وأمرائها. ومنه نسخة خطية في مكاتب منشن وباريس[٤٧٣].

١٢- " عبد القادر الفيومي العوفي الحنفي"[٤٧٤]

ولد في القاهرة ، وتعلم فيها وفي حلب ودمشق والآستانة، ثم تعين قاضيا على القاهرة، ثم عاد إلى الآستانة وغيرها، وتوفي أخيراً في الآستانة سنة ١٠٧١(١٦٦٠م) ، له كتاب " التذكرة " و" بلوغ الأرب" و" السؤول للتشوق بذكر نسب الرسول" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وغيرها، وله كتاب " نفائس اللؤلؤ والمرجان في إعراب محلات من سورة آل عمران".

[ص/١٢٦]- اللغويون

١- " أبو بكر الشنواني":

تعلم في القاهرة ، وتوفي في سنة ١٠١٩هـ (١٦١٠م)، وله كتاب " جلية أهل الكمال بأجوبة أسئلة الجلال" - يعني " جلال الدين السيوطي" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية[٤٧٥].

٢-" شهاب الدين الخفاجي":

توفي سنة ١٠٦٩هـ(١٦٥٩)، ولد في سرياقوس بضواحي القاهرة، وتعلم على عمه " الشنواني"- المتقدم ذكره- ثم جاء القاهرة ورحل إلى الآستانة وسلانيك، وعينه

السلطان "مراد" قاضيا للعسكر في مصر فجاءها، ثم نقل منها إلى " دمشق" وحلب فالآستانة حتى توفي. وقد ترجم نفسه في ذيل كتابه " ريحانة الألباء" - الآتي ذكره.

وأما كتبه فمنها:

١- منظومات كثيرة متفرقة منها جانب في نسخة خطية بالمكتبة الخديوية.

٢-كتاب " هدايا الزوايا في ما الرجال من البقايا"[٤٧٦] وهو تراجم العلماء من معاصريه وأساتذة أبيه في الشام والحجاز ومصر والمغرب وبلاد الروم، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، ومثلها في برلين وغوطا وفيينا وبطرسبورج والآستانة وغيرها.

٣-كتاب" ريحانة الألباء ونزهة الحياة الدنيا" وهو من كتب الأدب جمع فيه أشعارا وأخبارا وانتقادات وملاحظات مفيدة وقد طبع بمصر مرارا.

٤-كتاب " طراز المجالس" في كتب الأدب، طبع بالقاهرة سنة ١٢٨٤(١٨٦٧م).

٥-" شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل" ، طبع بمصر سنة ١٢٨٢(١٨٦٥م).

٦- شرح درة الغواص، منها نسخة في مكتبة أكسفورد.

٧- شرح كتاب الشفاء فيها.

٨- حاشية على البيضاوي فيها أيضا.

[ص/١٢٧] ٤- المحدثون

١- " شمس الدين الدمشقي الفالحي":

توفي في البرقوقية بالقاهرة سنة ٩٤٢هـ (١٥٣٥م) ، له:

١-كتاب " سبل الهدي والإرشاد في سيرة خير العباد" وتعرف " بالسيرة الشامية"، وهي مشهورة، ومنها نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وأحسبه طبع.

٢-كتاب" الآيات العظيمة الباهرة في معراج سيد أهل الدنيا والآخرة" منه نسخة خطية في مكتبة ليدن.

٣-" عقود الجمان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي فيينا وآيا صوفيا.

٤- كتاب " مطلع النور في فضل الطور وقمع المعتدى الكفور" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية[٤٧٧].

٢- " عبد الرءوف المناوي الشافعي":

توفي سنة ١٠٣١هـ (١٦٢١م)، ولد في القاهرة، ونشأ في حجر والده، ودرس العلوم الإسلامية، خصوصا التصوف، والحديث، وأخذ طريقة الخلوتية وطرقا أخرى، وتولى التدريس في المدرسة الصالحية، وكثر حساده ، والطاعنون عليه، واعتل وقاسى آلاما شديدة حتى مات، له مؤلفات كثيرة نذكر الباقي منها:

١- " كنوز الحقيقة في حديث خير الخليقة" مرتب على الأبجدية وفيه نحو ١٠,٠٠٠ حديث، طبع في بولاق سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩م) وفي القاهرة ١٣٠٥(١٨٨٧م) ، وله مختصرات.

٢- " الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور"، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٣- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٤- النزهة الزاهية [ص/١٢٨] في أحكام المحاكم الشرعية، منه نسخة في المكتبة الخديوية.

٥- " تيسير الوقوف على غوامض الحكام والوقوف[٤٧٨]، منه نسخة في المكتبة الخديوية، وله غير ذلك كتب كثيرة[٤٧٩] لا محل لذكرها أكثرها موجودة في المكتبة الخديوية.

٣- " على بن إبراهيم نور الدين الحلبي القاهري" صاحب السيرة الحلبية، ولد في القاهرة وتوفي بالصالحية سنة ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م)، أشهر مؤلفاته:

١- كتاب" إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المشهور بالسيرة الحلبية ، وقد طبع في ثلاثة مجلدات ضخمة.

٢- " النصيحة العلوية في بيان حسن طريقة السادة الأحمدية" (أحمد البدوي)، منه نسخة خطية في مكتبة باريس.

٣- " عقد المرجان في ما يتعلق بالجان" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية[٤٨٠].

٤-" عبد السلام اللقاني" المتوفي سنة ١٠٧٨هـ (١٦٦٨م) تثقف على أبيه وورثة في التدريس بالأزهر، ومن مؤلفاته " كتاب ترويح الفؤاد بمولد خير العباد" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

المحدثون كثيرون في هذا الدور، يضيق المقام عن ذكرهم فنتقدم إلى الفقهاء.

٥- الفقهاء

الفقه الحنفي

١- " زين العابدين بن نجيم المصري" المتوفي سنة ٩٧٠هـ (١٥٦٣م) وله من المؤلفات:

١-كتاب الأشباه والنظائر، وهو موجود في كل المكاتب بأوربا وغيرها، وطبع في الهند سنة ١٢٤١(١٨٢٥م).

٢- الفتاوي الزينية في فقه الحنفية، منه نسخة في المكتبة الخديوية.

٣- الفوائد الزينية في فقه الحنفية، منه نسخة في مكتبة أيا صوفيا.

٤-الخير الباقي في جواز الوضوء في الفساقي، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. وله كتب ورسائل أخرى في المكتبة الخديوية وسائر المكاتب.[٤٨١]

[ص/١٢٩/] ٢- شهاب الدين التمرتاشي الغزي :

درس في غزة ، ثم في القاهرة حتى توفي سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٥م) ، وله:

١-" تنوير الأبصار وجامع البحار" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي أكثر مكاتب أوربا والهند والآستانة. وله شروح عديدة لا محل لذكرها.

٢- " عمدة الحكام" منه نسخة في برلين.

٣- " الوافي في الأصول " منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

٤- " تحفة الأقران" أرجوزة مشروحة، منها نسخة في المكتبة الخديوية.

٥- " عقد الجواهر النيرات في بيان خصائص الكرام العشرة الثقات" منه نسخة في المكتبة الخديوية.

٦- " الفتاوي "، فيه أيضا.[٤٨٢]

٣-" على بن محمد بن على بن غانم المقدسي الخزرجي نور الدين":

ولد في القاهرة سنة ٩٢٠ (١٥١٤م) وتوفي سنة ١٠٠٤هـ (١٥٩٦) ، وتولى التدريس في الأزهر ، وله مؤلفات عديدة بقي منها خمسة أكثرها في الحديث، موجودة في المكتبة الخديوية خطية(٤٨٣).

٤- " أبو الإخلاص المصري الشرنبلالي" :

من أكابر أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٠٦٩، وخلف مؤلفات كثيرة في الفقه الحنفي(٤٨٤)، بقي منها ١٦مؤلفا أكثرها خطي، ومنه أمثلة في المكتبة الخديوية يطول بنا تعدادها ووصفها، فإن ذلك من شأن تاريخ آداب اللغة العربية، وإنما أردنا هنا أن نأتي بأمثلة في حال العلم في العصر العثماني.

٥- " عمر بن عمر الزهري الأزهري":

وهو أيضا من أساتيذ الأزهر، توفي سنة ١٠٧٩هـ (١٦٦٨م)، وله بضع مؤلفات، مها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وكلها في الفقه الحنفي(٤٨٥).

٦- ومثله " إبراهيم بن سليمان الأزهري" (٤٨٦)المتوفي سنة ١١٠٠هـ (١٦٨٨م) وغيره.

[ص/١٣٠] الفقه المالكي

١- " ابن جبريل المنوفي المصري الشاذلي":

توفي سنة ٩٤٩هـ(٤٨٧)، وله كتاب " المناسك" و" تحفة المصلحين " على مذهب الإمام مالك، وكلاهما في المكتبة الخديوية.

٢- " بدر الدين القرافي المصري المالكي":

توفي سنة ١٠٠٩(٤٨٨)، له رسائل في المذهب المالكي تزيد على ست، كلها موجودة في المكتبة الخديوية(٤٨٩).

٣- " أبو النور المالكي":

وهو أيضا من علماء المالكية الذين خلفوا أثارا، توفي سنة (٤٩٠).

٤- " برهان الدين اللقاني المالكي":

من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٠٤١هـ، خلف مؤلفات عديدة بقي منها ستة:

١-جوهرة التوحيد ، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي أهم مكاتب أوربا، لها شروح عديدة بعضها مطبوع في القاهرة.

٢- الفصول في الفقه.

٣- نصيحة الإخوان.

٤- مقدمة في العشق.

٥- شرح الشمايل وكلها نسخ خطية في المكتبة الخديوية[٤٩١].

٥- " نور الدين الأجهوري":

ولد في أجهور شمالي القاهرة سنة ٩٦٧ (١٥٥٩م)، وتوفي سنة ١٠٦٦هـ (١٦٥٦م) ، وكان شيخ المالكية في الأزهر، وخلف عدة مؤلفات بقي منها إلى الآن خمسة عشر، أكثرها موجود في الكتبة الخديوية[٤٩٢].

ومنهم أحمد الفيومي المتوفي سنة ١٠٨٤(١٦٧٣م)، صاحب " حسن السلوك في معرفة آداب الملوك" . و" عبد الباقي الزرقاني" المتوفي سنة ١٠٩٩(١٦٨٨م) صاحب شرح مختصر الخليل. وغيره. و" برهان الدين الشبراخيتي، توفي سنة ١١٠٦هـ (١٦٩٤م) ، صاحب شرح المختصر و" شرح الأربعين " ، وغيرهم.

الفقه الشافعي

١-" زين الدين أبو يحيى زكريا الأنصاريَ":

هو أشهر أئمة الشافعية في ذلك العصر. ولد في سفيكة شرقي القاهرة، وتعلم وتثقف [ص/١٣١] حتى صار أستاذا في القاهرة، ثم صار كبير قضاة الشافعية. وتوفي سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠) وكان ثقة علامة ، خلف مؤلفات يزيد عددها على ٣٥ كتابا أكثرها لا يزال محفوظا خطيا في المكاتب الشهيرة في العالم المتمدن، وجانب كبير منها في المكتبة الخديوية ككتاب " اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم" وكتاب " المعضد لتخلص ما في المرشد في الوقف والابتداء" ، و" فتح الرحمان بكشف ما يلبس القرآن" و"فتح الجليل ببيان خافي أنوار التنزيل للبيضاوي" و" منهاج الطلاب في الفقه" ، وغيرها كثير، وهي فضلا عن وجودها في المكتبة الخديوِية ، توجد أيضا في أهم مكاتب أوربا.

٢- " شهاب الدين الرملي الأنصاري":

المتوفي سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠م) ، وهو من أساتذة الأزهر ، وله الفتاوي المعروفة باسمه، ومنها نسخة في المكتبة الخديوية وله غيرها[٤٩٣].

٣- " شمس الدين الشربيني القاهري[٤٩٤] الخطيب":

المتوفي سنة ٩٧٧هـ ، له شرح " منهاج الطالبين" منه نسخة في مكتبة برلين. "والسراج المنير في الإعانة على معرفة ربنا العليم الخبير"، طبع في القاهرة سنة ١٣١١ و" مناسك الحج " طبعت أيضا، وغيرها[٤٩٥].

٤- " عبد الله بن بهاء الدين الشنشوري":

من علماء الأزهر بالقاهرة، توفي سنة ٩٩٩هـ (١٥٩٠م) له عدة مؤلفات منها: " المختصر في مصطلح أهل الأثر" له شروح. منها نسخ خطية في مكتبة برلين وغوطا وباريس." وقرة العين" و " الفوائد الشنشورية" و " اللؤلؤة السنية" وكلها موجودة في المكتبة الخديوية.

٦-ومنهم " عمر الفارسكوري"[٤٩٦] المتوفي سنة ١٠١٨هـ (١٦٠٩م)، و" على الشبراملسي [١٣٢] المتوفي "[٤٩٧] سنة ١٠٨٧هـ (١٦٧٧م)، و"عبد اللطيف البشبيشي" [٤٩٨] المتوفى سنة ١٠٩٦هـ(١٦٨٥م) ، و" إبراهيم البرماوي" الأستاذ بالأزهر، توفي سنة ١١٠٦(١١٩٤م) وغيرهم، ونجد من مؤلفاتهم أمثلة بالمكتبة الخديوية.

الفقه الحنبلي

وظهر من الفقهاء الحنابلة بمصر في ذلك العصر: " إبراهيم الزيني الحنبلي" المتوفي سنة [٤٩٩]، وله كتاب : " روض المربي" في مناسك الحج- موجود في المكتبة الخديوية، واعتبر ذلك من سائر علوم القرآن.

٦- التصوف

وناهيك بالتصوف، فقد نبغ فيه جماعة كبيرة بمصر، منهم: " على الشوني" المتوفي سنة ٩٤٤هـ(١٥٣٧م) . و" أبو المكارم البكري الصديقي الأشعري" توفي سنة ٩٥٢هـ (١٥٤٥م)، وله بضعة وعشرون مؤلفا في التصوف، بعضها مطبوع والبعض الآخر موجود خطا في المكتبة الخديوية وغيرها.

وأشهر المتصوفة في ذلك العصر:

" أبو المواهب عبد الوهاب الشعراني الأنصاري" ، عاش عيشة الصوفية وتوفي سنة ٩٧٣هـ (١٥٦٥م)، وله مؤلفات تعد بالعشرات منها:

١-" الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة" ، وهي كالموسوعة في القرآن وعلومه، واللغة والنحو ، والمنطق، والتصوف ، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي مكاتب غوطا وبرلين.

٢- " لليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر" ، طبع في القاهرة مرارا.

٣- " فرائد القلائد في علم العقائد" وغيره.

٤-أشهرها كتاب " لوامع الأنوار" المعروف بطبقات الشعراني، طبع مرارا، وغير هذه الكتب كثير لا محل لذكره[٥٠٠].

[ص/١٣٣] ومنهم " كريم الدين الخلوتي" المتوفي سنة ٩٨٦هـ (١٥٧٨م) و" أحمد بن عثمان الشرنوبي " توفي سنة ٩٩٤هـ (١٥٨٦م) وأحمد بن محمد المتبولي المعيد في المدرسة المؤيدية بالقاهرة توفي سنة ١٠٠٣هـ (١٥٩٤م) ، و" محمد الحجازي الجيزي" المتوفي سنة ١٠٠٣ (١٥٩٤م) وقائد بن مبارك الإبياري سنة ١٠١٦(١٦٠٧م) والبرلسي سنة ١٠٩٧ (١٦٨٦م) وغيرهم.

٧- سائر العلوم

فنرى مما تقدم أن أكثر اشتغال أهل ذلك العصر بالعلوم الدينية، من شرح أو تعليق، أو اختصار أو نحوها، على أنه نبغ فيهم غير واحد في العلوم الأخرى:
فمن المنجمين: " بدر الدين سبط المارديني" توفي سنة ٩٢٤ [٥٠١] وكان مؤقتا في الأزهر، وله عدة مؤلفات في التوقيت ، منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية [٥٠٢]
"وعبد القادر المنوفي" المتوفي[٥٠٣] سنة ٩٨٠ (١٥٧٢م) كان مؤقتا في مدرسة الغورية.

و" مصطفي بن شمس الدين الشركسي الدمياطي الخلوتي" المتوفي سنة ١٠٣٨ (١٦٢٨م).

وعبد الله المقدسي الأزهري" سنة ١٠٧٠هـ [٥٠٤] و" رضوان أفندي الفلكي الرزاز" سكن بولاق وتوفي سنة ١١٢٢ (١٧١٠م) وغيرهم.

ومن الأطباء في ذلك العصر:

" مدين بن عبد الرحمن القوسوني" (٥٠٥) توفي سنة ١٠٤٤هـ (١٦٣٤م) له كتاب "قاموس الأطباء" في المفردات، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية.

و"شهاب الدين القليوبي" توفي سنة ١٠٦٩م (١٦٥٩م) له كتاب المصابيح السنية في طب البرية، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. و" تذكرة في الطب" فيها أيضا، وله كتب في مواضيع طبية وغيرها يزيد عددها على بضعة عشر مؤلفا(٥٠٦). أكثرها موجود في المكتبة الخديوية خطا، وبعضها مطبوع، منها كتاب "نوادر القليوبي" طبع مرارا، وكذلك " تحفة الراغب" (٥٠٧) وغيره.

[ص/١٣٤] ومن العلماء الأعلام في كل فن وعلم:

" مرعي بن يوسف بن أبي بكر الكرمي زين الدين المقدسي" المعروف " بالشيخ مرعي" . ولد في طول الكرم قرب نابلس، وتلقى العلم في القدس وفي القاهرة. استقر بالقاهرة أستاذا للفقه على مذهب الحنابلة في جامع " ابن طولون" حتى توفي سنة ١٠٣٣هـ(١٦٢٤م) ، وله مؤلفات عديدة، بقي مها ٢١كتابا بعضها طبع وانتشر، والبعض الآخر لا يزال خطا في المكاتب الشهيرة. فما طبع من كتبه كتاب، " بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات" طبع مرارا في الآستانة وبولاق والقاهرة. وما لم يطبع كتاب " قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن " ، منه نسخ خطية في مكتبة برلين. وكتاب " الكلمات البينات" منه نسخ خطية في بالمكتبة الخديوية، وغيرها كثير لا محل له (٥٠٨).

تلك خلاصة تراجم العلماء والأدباء والشعراء وأمثلة من مؤلفاتهم في الدور الأول في العصر العثماني بمصر على قدر ما يسمح به المقام، فلنعد(٥٠٩) سياق التاريخ السياسي من الدور الثاني، فما بعده.

[ص/١٣٥] الدور الثاني

من سيادة الدولة العثمانية على مصر

من سنة ١١١٥-١١١٧هـ(٥١٠) ومن ١٧٠٣- ١٧٦٣م

انتقال النفوذ إلى المماليك

استغرق هذا الدور ٦٢سنة تولى في أثنائها على العرش العثماني أربعة سلاطين، ويمتاز عن الدور السابق أن النفوذ فيه تحول من الجند والباشا إلى البكوات المماليك، وقبل التقدم إلى ذكر أخبار هذا الدور نمهد الكلام في المماليك وسيادتهم.

قد علمت من النظام الذي وضعه السلطان سليم عند فتح مصر أنه جعل للأمراء الذين بقوا من دولة المماليك عميلا يكون وسيلة للموازنة بين سلطة الباشا وقوة الجند لأن أولئك الأمراء كانوا أعداء لكلا الفريقين ، فجعلهم حكاما على الأقاليم وهي ١٢ إقليما أو سنجقية (مديرية) [٥١١] يتولى كلا منها أمير من المماليك بلقب بك، ولذلك عرف الأمراء المماليك أيضا بالبكوات المصرلية، ومنهم أمير يتولى حكومة القاهرة كانوا يسمونه: " شيخ البلد" ومشيخة البلد منصب ضعيف في حد ذاته، لكن الأحوال جعلته أهم مناصب مصر، وكان الأمراء المماليك كعادتهم في أيام سلطنتهم يتقوون بالاستكثار من المماليك بالشراء، ومنهم تتألف الأحزاب وينسب الحزب إلى صاحبه[٥١٢] أو زعيمه، فيقولون مثلا: المماليك القاسمية نسبة إلى : " قاسم بك" والرضوانية إلى رضوان بك كما سترى.

وكانوا في أول سلطنة العثمانيين قد أدهشهم الفتح وقنعوا بالبقاء في مناصب الحكومة، وكانت الدولة العثمانية شديدة ولها هيبة.

[ص/١٣٦] فلما ذهبت هيبتها بتوالي الزمن - كما تقدم- اشتدت سواعدهم وصاروا يحتقرون ولاتها، ولاسيما بعد أن وقع الخلاف بين الباشوات والجند وتداخلوا ، وجعل النفوذ يتحول إليهم رويدا رويدا على مقتضى الأحوال حتى صار منصب شيخ البلد أهم المناصب وصاحبه أعظم الأمراء، وإليه يرجع الحل والعقد- فلنعد إلى سياق التاريخ.

١- سلطنة أحمد بن محمد

من سنة ١١١٥-١١٤٣ أو من ١٧٠٣-١٧٣٠

تولى السلطان أحمد المذكور وعمره بضع وثلاثون سنة، وكان حكيما، فأنعم على الإنكشارية بالأموال وفوض إليهم قتل المفتي" فيض الله أفندي" [٥١٣] لأنه قاومهم في أعمالهم فلما استقر الأمر وثبت قدمه في الدولة، اقتص من الانكشارية، فقتل منهم جمعا كبيرا وعزل رئيسهم- الأغا- وولى عليهم ابن اخته الداماد " حسن باشا". ولكن الدسائس غلبت على هذا التعيين فعزل وتولى غيره، وتكاثر عزل الصدور، وشغلت الدولة بداخليتها عن خارجيتها، ولم تنتبه لما كان يجريه " بطرس الأكبر" [٥١٤] ملك الروس في بلاده ولا إلى سياسته في خارجها، وهي تقضي بإضعاف جيرانه حتى

يبتلعهم، وكان قد أخذ بإخراج مشروعه إلى حيز العمل، فحارب شارل الثاني(٥١٥) ملك أسوج وغلبه.

وأفضت الوزارة إلى " محمد باشا البلطجي" (٥١٦) فمال إلى إشهار الحرب على الروس وقاد الجيوش بنفسه. وبعد وقائع عديدة حصر العثمانيون إمبراطور الروس وامرأته، ولو طال الحصار لغلبوا على أمرهم وسلموا(٥١٧) ، ولكن " كاترينا"(٥١٨) زوجة الإمبراطور " بطرس" استمالت " البلطجي" المذكور، وأغرته [ص/١٣٧] بالجواهر، فأعطته كل ما كان معها منها، فرفع الحصار واكتفى بمعاهدة لم تغن الدولة فتيلا(٥١٩).

وتوالى الصدور، وهم مختلفون ميلا إلى الحرب أو السلم فكانت حال الدولة تختلف لاختلاف ذلك مما ليس هو محل الكلام عليه.

وفي عهد هذا السلطان، دخلت الطباعة المملكة العثمانية، وتأسست دار الطباعة في الآستانة بفتوى من شيخ الإسلام تقضي أن لا يطبع القرآن بحروف الطباعة، خوفا من وقوع التحريف فيه(٥٢٠)، وتولى على " مصر " سنة ١١١٩ (١٧٠٧م) "حسن باشا" واليا(٥٢١).

قاسم بك وذو الفقار بك
أو المماليك القاسمية والفقارية

أما مصر فصار النفوذ فيها إلى الأمراء المماليك- كما تقدم- وكانوا في أيام هذا السلطان حزبين كبيرين يعرفان بالمماليك " القاسمية" نسبة إلى " قاسم بك" و"الفقارية" إلى "ذي الفقار بك " وكان هذا الحزبان لا ينفكان عن المنافسة، يحاول كل منهما اكتساب النفوذ دون الآخر.

أما أصل هذين الحزبين ففيه أقوال منها: أنهما ينسبان إلى أخوين هما: "قاسم بك " و" ذو الفقار بك" ولدي سودون أحد أمراء المماليك في عهد السلطان" سليم الفاتح" وأن السلطان سليم هو الذي نشطهما ونشط أحزابهما.

وقد ذكر " الجبرتي" لذلك قصة طويلة لا حاجة بنا إلى ذكرها(٥٢٢).

وبعضهم يقول إن هذين الحزبين ينسبان إلى " قاسم عيواظ بك" الدفتردار و" ذي الفقار بك الكبير" سنة ١٠٥٠هـ(٥٢٣) ، وكان " قاسم عيواظ" رئيس الطائفة

القاسمية، وذو الفقار رئيس الفقارية ، وكان لكل من هاتين الطائفتين مناقب خاصة بهاء" الفقارية" : كانت توصف [ص/١٣٨] بالكثرة والسخاء و" القاسمية" : بالثروة والبخل.

وشارة " الفقارية" : علم أبيض مزاريقه رمانة.

والقاسمية : علم أحمر.

وكانت هاتان الفئتان قبل تولى " حسن باشا" المتقدم بذكره في وفاق تام، فلما جاء خشي من اتحادهما فعمد إلى الدسائس، فألقى بينهما الشقاق فحصلت بين الطائفتين وقائع دامت ثمانين يوما[٥٢٤]، فكانوا يخرجون من القاهرة إلى مكان يعرف بقبة العزب يوميا، ويأخذون في الكفاح من شروق الشمس إلى غروبها ثم يعودون إلى القاهرة، فيقضون الليل بسلام في بيوتهم بين نسائهم وأولادهم ثم يعودون في الصباح إلى المحاربة، ومن الغريب أن هذه المحاربات لم تؤثر في الراحة العمومية مطلقا، فظلت الأشغال جارية في مجراها والحوانيت والمخازن تفتح وتقفل كالعادة[٥٢٥]

مشيخة إسماعيل بك[٥٢٦]

وانتهت تلك الوقائع بوفاة " قاسم عيواظ بك" فأسف عليه الناس، وبكوه بكاءهم على حاكم عادل أو أب حنون بار، ولم يبق صديق إلا بكاه، لأنه كان فضلا عن حكمته وعدله ودعته شجاعا باسلا أبي النفس، فأقاموا ابنه " إسماعيل بك " مكانه " شيخ بلد".

وقد تقدم أن مشيخة البلد منصب كان يتولاه أحد البكوات المماليك، كما يتولون إدارة المديريات، ويقابل محافظ القاهرة اليوم.

ولم يكن المنصب نفسه مهما، لكن تراخي الباشوات واستفحال أمر المماليك جعل لهذا المنصب أهمية كبرى حتى أفضى بتوالى الأيام إلى صاحبه، وصار إليه الأمر والنهي- كما سترى.

ولما تولى السلطان" أحمد كان على مشيخة البلد " قاسم عيواظ [ص/١٣٩] بك" - المتقدم ذكره- فلما مات، خلفه ابنه " إسماعيل" وصادق الباشا[٥٢٧] على ذلك

لظنه أن إسماعيل لصغر سنه، يكون آلة في يده يديرها كيف شاء، فازداد كدر " ذي الفقار بك"واشتد حنقه، لأنه كان ينتظر أن يأول ذلك المنصب إليه.

وكان " إسماعيل " عاقلا حكيما كوالده، عارفا وجه الربح والحق ، فسعى في الوفاق مع طائفة الفقارية، فاتحدت الطائفتان على الباشا، وكان إسماعيل من الجهة الأخرى يظهر الطاعة والرضوخ لأحكام الباشا لأنه رئيسه، لكنه لم ينفك ساعيا سرا في خلعه، فكتب عنه إلى الآستانة ففاز بعزله، فجاء غيره ثم أبدل بآخر فآخر" وإسماعيل بك" في منصبه يحبونه إلى ما يشبه العبادة.

ومما يحكي عنه أن أحد تجار القاهرة في أيامه واسمه: " عثمان" باع لأحد القبقجية (لقب الحرس السلطاني) ثلاثمائة قفة بن إلى أجل مسمى، وكتب عليه بذلك صكا، فقبل الاستحقاق جاء الآستانة إعلان بخيانة القبقجي والحكم عليه بالإعدام حالا، فجئ به إلى الباشا، فقتله، ووضع يده على تركته، وفيها البن كما هو، فعلم " عثمان" التاجر بذلك، فعرض لإسماعيل ما كان من أمر البن فأجبر الباشا أن يرجع البن لصاحبه قبل كل شئ، ففعل، فأصبح " عثمان" في حال من الامتنان لا يعرف كيف يبينها، فلاح له أن يهديه علبة مرصعة، وبضعة قناطير من السكر النقي، فرفض " إسماعيل بك" الهدية، وخاطب عثمان التاجر قائلاً: " إذا كان المال الذي حصلت عليه بواسطتى حقا لك، فأكون قد فعلت الواجب على، والله يكافئني، فإذا قبلت هديتك [ص/١٤٠] أظلم نفسي ، أما إذا كان هذا المال ليس لك وإنما حصلت عليه بالخيانة فقبولى هديتك يعد مشاركة لك في الخيانة، لكنني مع ذلك أقبل السكر الذي حملته إلى على أن تقبض ثمنه من وكيلي لأنني سآمره أن يدفعه إليك".

ويحكي عنه أيضا انه كان يأدب في ليالي رمضان مأدبات يجتمع إليها العلماء والفقهاء ومشائخ والقراء القرآن(٥٢٨)، ولم يكن يؤذن لغير هؤلاء في الحضور فيها، فرأي ذات ليلة رجلا بين الحضور عله ملامح الكآبة ، فأوصى بعض الخدم متى انفض الاجتماع، أن يأتوا به إليه، ففعلوا، فلما حضر بين يديه، أعطاه مصحفا، وأمره أن يتلوا عليه سورة، فتوقف الرجل وجلا، ثم ترامى على قدمي البيك متضرعا وقال:" يعش سيدي البك إني رجل نجار لا أعرف القراءة، وإنما أتيت إلى هذه المأدبة متنكرا بثوب الفقهاء لأملأ جوفي من الطعام، فإني في حالة من الفاقة شديدة" فأنصفه.

ولم يكتف بالإغضاء عن ذنبه لكنه جعله في عداد خدمته، وجعل لعائلته راتبا معينا وصار هذا النجار بعد ذلك من أصدق الخدمة وأكثرهم عزة وهمة[٥٢٩].

ومازال " إسماعيل " بك شيخا للبلد ١٦ سنة، تقلب في أثنائها على" مصر" عدة باشوات كانوا اسما بلا مسمى.[٥٣٠]

وكان لحسن سياسته قد أوقف الفقاريين عن كل حركة لتظاهره أنه على وفاق معهم، فلم يترك لهم فرصة يتحدون بها عليه، على أنه ارتكب خطأ واحدا آل إلى قتله. وذلك أن أحد المماليك الفقارية واسمه " ذو الفقار" أيضا كان له عقار يقوم بنفقات عائلته، فاختلسه منه أحد [ص/١٤١] المماليك القاسمية- من مماليك إسماعيل- ، فرفع " ذو الفقار " دعواه إلى شيخ البلد إسماعيل ، فلم يصغ لطلبه فرفع دعواه إلى زعيم الفقارية، ويقال له " شركس بك"، وكان خصما لإسماعيل بك بالفطرة، فسار إلى الباشا وخاطبه بشأن تصرف إسماعيل، وكان في قلب الباشا حزازات من الحسد عليه، فوافقه على الإيقاع به، ثم قال له: " ليس لك وسيلة أفضل من أن تبعث أحد مماليكك وتأمره بقتله وأنا أجعل له جميع ما يتركه من المال والنساء مكافأة لأتعابه".

فوافقه على رأيه، وعين لتلك الفعلة أول يوم يجتمع فيه الديوان، وأمر مملوكه" ذو الفقار" أن يستعد لإجرائها[٥٣١]، فقبل اعتمادا على وعد الباشا، ففي اليوم المعين، جاء " ذو الفقار" إلى الديوان وفيه "إسماعيل بك" فتقدم إليه وقبل يده قائلا:

أرجو أن تأمر بإرجاع عقاري إلي، فأجابه " إسماعيل بك" سننظر في طلبك هذا ، فألح عليه، فانتهره فاستل خنجرا ماضيا بقر به بطنه، فتدفقت أمعاؤه، ومات ساعته في وسط الديوان، فهجم رجال الباشا، وقتلوا كل من كان هناك من رجال إسماعيل[٥٣٢] بك سنة ١١٣٦هـ (١٧٢٣م) فنقلت جثته إلى بيته، ثم دفنت بجانب جثة أبيه بجوار باب اللوق[٥٣٣].

فتولى مشيخة البلد " شركس بك" [٥٣٤] واستولى " ذو الفقار" على جميع ممتلكات " إسماعيل " ونسائه حسب وعد الباشا [ص/١٤٢] فأصبح رجلا عظيما يشار إليه بالبنان، وفي حوزته مئات من المماليك، فخافه " شركس بك" وأخذ يسعى في إذاقته ما أذاقه لإسماعيل بك، فعلم " ذو الفقار" بتلك الدسائس، فجمع إليه رجاله، وفيهم عدة من رجال العثمانيين، وهجم على شركس بك فجرت واقعة لم يستطع

رجال شركس الثبات فيها أكثر من ربع ساعة فقتل معظمهم، وفر الباقون، وزعيمهم معهم يطلبون الصعيد وهو الملجأ الوحيد للبكوات المغضوب عليهم.(٥٣٥)

ذو الفقار بك (٥٣٦)

فتولى ذو الفقار مكانه مع لقب بك، بعد أن أقر الباشا على ذلك، وأصبح ذو الفقار عدوا لأترابه من البكوات،وعلى الخصوص لأبي دفية، وسمى بذلك لأنه كان يتشح برداء كبير يقال له دفية، ثم أنبئ " ذو الفقار بك " أن أبا دفية ساع في إهلاكه ، وحاول بذلك مرارا ولم ينجح.

أما " شركس بك" فجمع دعاته في الصعيد، وسار بهم نحو القاهرة، فأرسل " ذو الفقار بك " " عثمان كاشف" أحد كبار قواده في فرقة من المماليك لمحاربته، فتقهقر " شركس" ورجاله فرارا حتى لحق ببلاد البربر(٥٣٧).

فسكر " ذ الفقار " من خمرة النصر، وأخذ في الانتقام من البكوات الذين في القاهرة، وقتل منهم من يظن فيه الانتماء إلي " شركس " ، وهم كثيرون- فاتحد من بقى حيا مع رئيس الشرطة، والأغا رئيس الإنكشارية، وبعثوا إلى شركس بك بما كان من [ص/١٤٣] فعلة" ذي الفقار" وتعاهدوا جميعا على محاربته، وانضم إليهم " مصطفى القرد" وكا من أعداء ذي الفقار ومعه جماعة من الرجال الأشداء، فقدم " شركس بك" إلى القطر المصري، فعلم " ذو الفقار" بذلك ، فجمع إليه العلماء والمشائخ، وشاورهم في الأمر، فأجمعوا على عدم مناسبة الهجوم في تلك الحال، إلا إذا تأكد الفوز، فلم يصغ لمشورتهم، فأرسل " عثمان بك" أحد قواته لمحاربة " شركس بك" ، فحصل بينهما واقعة، قتل فيها "مصطفى القرد " وغرق " شركس بك" في النيل وهو يحاول الفرار.

فبعث " عثمان بك " برأسيهما إلى ذي الفقار، أما هذا فلم يهنأ بذلك النصر لأنه قتل بعد قتل عدوه " شركس" بيومين(٥٣٨)، بمكيدة أعدها له البكوات في القاهرة وذلك أنهم ألبسوا واحدا منهم دفية، وجاءوا به إلى بين يدي " ذي الفقار" وقالوا له: " هذا أبو دفية قد جعله الله في أيدينا". وكانوا قد جعلوا تحت دفيته عيارين ناريين، فلما وقف بين يديه، أطلقهما دفعة واحدة، فسقط "ذو الفقار" مضرجا بدمائه في وسط

ديوانه سنة ١١٤٢هـ (١٧٢٩م) ، فعلم " عثمان بك " بما أصاب رئيسه، فهرع للأخذ بثأره، فدخل القاهرة، وجعل يفتك بمن يصادفه في طريقه فخافه الجميع.

ثم أن " محمد بك " أحد البكوات الذين كان يترقبهم " عثمان بك" رأي منصب مشيخة البلد خاليا فطمع فيه، فعاهد صديقه" صالح كاشف" على أن يقتلوا من بقي من زملائه البكوات بمكيدة ينصبها لهم، فأدب " محمد بك " مأدبة فاخرة دعاهم إليها [ص/١٤٤] ، فلبوا دعوته، ثم علموا بمكيدته فقاوموه مقاومة شديدة وتمكنوا من قتله، فيأس " صالح كاشف" من مرامه، ففر إلى القسطنطينية بعد أن شاهد رؤوس البكوات ملقاة على الطريق أمام جامع الحسين.

ثم عقب هذه القلاقل ضربة أشد وطأة، نعنى الوباء الذي أصاب مصر في تلك السنة، ويدعى طاعون الكي، فإنه انتشر في البلاد انتشارا سريعا، وفتك في العباد فتكا ذريعا ووافق كل هذه الضربات خلع السلطان أحمد الثالث في جمادي الأولى سنة ١١٤٣هـ [٥٣٩] وهذه صورة نقوده وقد ضربت في القاهرة بتاريخ سنة ١١١٥هـ.

٢- سلطنة محمود بن مصطفي

من سنة ١١٤٣-١١٦٨هـ ومن ١٧٣٠- ١٧٥٤م

هو محمود الأول، ولد سنة ١١٠٨هـ (١٦٩٦م) فكانت سنه لما تولى العرش العثماني ٣٥سنة، وكان النفوذ عند توليه لرئيس الإنكشارية حتى نقم عليه الإنكشارية أنفسهم، فقتلوه وعادت السكينة وأمن الناس.

وفي أيامه ظهر" نادر شاه" [٥٤٠] القائد الفارسي الملقب " بنابليون الشرق" [ص/١٤٥] لكثرة فتوحه وكانت الدولة تحارب الفرس، وكادت تذهب فيها[٥٤١]، فعاض[٥٤٢] "نادر شاه" ووقف في طريقها.

وجرت في أيام هذا السلطان حروب ومعاهدات مع دول أوربا. وقد توفي السلطان المذكور، وأسفه [٥٤٣] العثمانيون لأنه كان عادلا حليما فيه ميل إلى المساواة بين الرعايا.

وفي أيامه اتسع نطاق المملكة العثمانية بآسيا وأوربا وعقد معاهدة في بلغراد مع الروس محت العار السابق[٥٤٤].

ومن آثاره أنه أسس أربع كتبخانات ألحقها بجوامع آيا صوفيا، ومحمد الفاتح، والوالدة وغلطه سراي.

وكان الباشوات الذين تولوا مصر في أيامه أكثر أهلية من سابقيهم، ولكن الأحكام كانت بالحقيقة قائمة بمشائخ البلد، ولهم الحل والعقد لا يستطيع الباشوات معارضتهم في شئ.

مشيخة عثمان بك[٥٤٥]

فبعد قتل ذي الفقار بك تولى مكانه عثمان بك، المتقدم ذكره ، فرقي كثيرين من مماليكه إلى رتبة البكوية ليقوموا مقام الذين هلكوا بالحوادث الأخيرة.

وكان "عثمان بك " حازما، ولكنه كان صارما لا يراعي في تنفيذ العدل جانبا، فعلم أن أحد بكواته سعى في إقليمه ظلما فاستدعاه إليه، فتحقق ارتكابه ، فقطع رأسه.

ويحكى عن " عثمان بك" حوادث كثيرة تشير إلى حزمه واستقامته، وقسطه، لا بأس من ذكر بعضها على سبيل المثال:

يحكى أن حمارا من حماري القاهرة أراد ترميم مذود حماره، وهو يفعل ذلك عثر في أحد جدران البيت على [ص/١٤٦] وعاء مملوء ذهبا ففرح جدا، وأخذ الوعاء وسلمه إلى امرأته، وأوصاها أن تكتم الأمر لئلا ينكشف للحكومة، فتأخذ المال منه لأن لها وحدها الحق بالاستيلاء على مخزونات الأرض، فطلبت المرأة من زوجها أن يبتاع لها حليا وثيابا فاخرة لتتمتع بتلك الهبة. فأبي زوجها إجابة طلبها لئلا يئول ذلك إلى كشف الحقيقة، فاغتاظت، وأسرعت لساعتها ووشت به إلى " عثمان بك" فاستدعى الحمار، وبعد أن سمع حقيقة الحال صرفه قائلا: " احفظ ما وهبك الله، وطلق امرأتك، وعش بسلام".

ولما جاء الوباء إلى مصر[٥٤٦]، كان " عثمان بك" في أول حكمه، فلما رأي الجوع الذي عقب الوباء، فتح مخازنه وخزائنه، وفرق الأقوات والأموال في الناس. ومع ذلك لم يستطع النجاة من مكايد ذوي المطامع، وفي مقدمتهم" إبراهيم وإسماعيل رضوان" الأول كخيا الإنكشارية، والآخر كخيا العزب، وكان كلاهما من المماليك الواحد من طائفة الكزدغلية، والآخر من طائفة الجلفية، وأصل الطائفة الأولى مملوك

يقال له : " الكزدغلي" كان سروجيا، وأصل الطائفة الثانية " أحمد الجلفي" كان في أول أمره شيالا، وأغناه الله بطريقة في غاية الغرابة- لا بأس من ذكرها وهي :

جاء بعض المماليك إلى إحدى معاصر الزيت ليبتاع مؤونة بيته من الزيت مدة السنة، وكان " أحمد الجلفي" في تلك المعصرة، فابتاع المملوك الزيت، واستأجر " أحمدا" فحمله وسار معه حتى بلغ بيته، فأنزل الحمل ووقف ينتظر أجرته، فجاءه المملوك وطلب إليه [ص/١٤٧] أن يساعده في إخفاء مبلغ من النقود في أحد جدران البيت، وألح عليه أن يكتم الأمر سرا، وأعطاه بضعة دراهم مكافأة لذلك فساعده، وأخذ الدراهم وسار في سبيله حامدا شاكرا. وبعد ثلاثين يوما اتفق له المرور بالقرب من ذلك البيت، فشاهد جماهير متجمعة، ثم علم أن المملوك توفي وقد تركته للمبيع، فتقدم أحمد وابتاع البيت الذي فيه المخبأة، وبعد انفضاض الجمع استخرج النقود، وسار بها إلى قريته " جلف" في الصعيد وامتلك ممتلكات كثيرة.

ثم اتسعت ثروته، وما زال حتى أصبح زعيما لعصابة كبيرة نسبت إليه.

وكان " إبراهيم وإسماعيل رضوان" في بادئ الرأي على تباين كلي بالأدبيات والماديات: كان إبراهيم في ضيق من المعاش مع إقدام وبسالة ومطامع كبيرة. وكان "إسماعيل " غنيا بليدا لا يهمه إلا التمتع باللذات والشهوات. فكان إبراهيم في احتياج إلى إسماعيل ولذلك كان يتقرب منه، ثم تزوج " إبراهيم" ابنة " محمد البارودي" أحد التجار الأغنياء، وأخذ معها مالا كثيرا، فتمكن بذلك من التقرب إلى بيت شيخ البلد، وإلقاء المفاسد فيه بواسطة بعض المماليك والأتراك وغيرهم من ذوي الرتب، كان يستعملهم آلة لتنفيذ مآربه.

ثم تأتي له الارتقاء إلى رتبة البكوية مع صديقه" إسماعيل رضوان" فصار اسمه" رضوان بك" ، واتحد الاثنان على السراء والضراء، ووحدا ممتلكاتهما، واجتزءا بالسواء في محصولاتها، [ص/١٤٨] فأوجس " عثمان بك" خيفة من سوعة نمو ثروتهما، وملافاة لما كان يخشى حدوثه من طموح أنظارهما ضم إليه ثلاثة أحزاب: أحدهما حزب " إبراهيم بك القطامش" وفيه ثلاثة بكوات. والثاني حزب " على بك الدمياطي" وفيه بيكان والثالث حزب " على كخيا الطويل" وشاورهم في الأمر-فأقروا على قتل " إبراهيم بك"، وكان إذ ذاك كخيا الإنكشارية، و" رضوان بك" فوافقوه على ما أراد.

وكان وكيله أحمد السكري من مماليك " إبراهيم بك" فلم يمكنه كتمان ذلك عنه، فجاء إليه وأخبره بجميع ما كان من التواطؤ على قتله وقتل رفيقه فسار للحال إلى " رضوان بك" وأخبره وتشاوروا بشأن ذلك ، فقررا نصب أحبولة يقتلان بها " عثمان بك" ، فبعث إليه رجالا يترصدونه في طريقه إلى القلعة فمر ووثبوا عليه، ففر بجواده حتى دخل القلعة، ولم يظفروا به، فلاقاه وكيله وقد أضمر له الشر فسأله عما ألم به، فأخبره بما كان ،فكلمه بلسان الثعلب ناصحا له أن يبرح المدينة حالا، لأن الناس قد قاموا يطلبون قتله، وما زال حتى أقنعه ففر إلى " سوريا" وسار هو معه حتى إذا دنوا من غزة تنحى أحمد عن الطريق،واختبأ في قرية يقال لها : الأشرفية، بحجة استطلاع الأحوال لحماية " عثمان لك" فتربص هناك مدة ثم عاد إلى " القاهرة " يمن معه من المماليك، وسار إلى " إبراهيم بك" وأعلمه بما فعله، فكافأه على تلك الخيانة برتبة البكوية، وهم الأهلون ببيت عثمان فأحرقوه، واقتسموا تركته.

أما هو فوصل " سوريا" وحده، وسار منها إلى الآستانة، فولي [ص/١٤٩] بروصه ولبث فيها حتى توفاه الله[٥٤٧] . وجميع هذه الحوادث توالت على " مصر" في أثناء سنة ١١٥٦هـ (١٧٤٣)[٥٤٨].

إبراهيم كخيا ورضوان بك

فلما خرج" عثمان بك" من " مصر" صفا الجو " لإبراهيم كخيا" و" رضوان بك" . فعملا على إبادة الأحزاب التي تآمرت عليهما فأخذ" رضوان بك" على نفسه قتل"على كخيا الطويل" .

فأمر أحد مماليكه أن يقتله بالرصاص في وليمة حافلة، فلبى المملوك الأمر، لكنه أخطأ الرمي ، وعوضا من أن يصيب " عليا" أصاب مملوكه الذي كان بجانبه، فقبض عليه وقتل للحال.

أما " إبراهيم كخيا" فتكفل لإهلاك من بقى من الأحزاب، وكان على ولاية مصر إذ ذاك " كيور أحمد باشا"[٥٤٩] فطلب إليه إبراهيم أن يوافقه على إبادة البكوات، فوافقه. وربما فعل ذلك، خوفا منه أو لأنه يعود عليه بالنفع الشخصي، واستعانوا بالنقود، فبذلوها فسهلت مشروعهم حتى قتلوا" على بك الدمياطي" بيد وكيله " سليمان" في وسط الديوان. وقد وعدهم هذا بتسليم رؤوس البكوات الآخرين من أحزابه، فأمر

" إبراهيم كخيا" و" رضوان بك" أن تقفل جميع منافذ القلعة على من فيها من البكوات المنوي قتلهم، وجعلا على بابي الإنكشارية والعزب جندا، وحافظ " سليمان" على وعده، فبوشرت المذبحة وأول من قتل فيها " خليل بك" من دعاة " الدمياطي" و" محمد بك" من دعاة " قطامش" وكثيرون غيرهم.

وحاول " على بك" و " عمر بك البلاط" الفرار، فتبعهما الباشا بنفسه. ثم لاقاهما " إبراهيم " و" رضوان" وقتلاهما عند باب القلعة، ولم يدفن من القتلى إلا " محمد بك" و" خليل بك".

ولم يبق من مناظري " إبراهيم كخيا" و" رضوان بك" إلا " إبراهيم [ص/١٥٠] قطامش" و " على كخيا الطويل" ، فالأول مات من الحزن بعد مدة قصيرة، والثاني هاجر من تلقاء نفسه تاركا الدار تنعي من بناها، فصفا الجو لإبراهيم كخيا، فتولى مشيخة البلد وسمى " رضوان بك" أميرا للحج ثم جعلا يتبادلان هذين كل سنة ، وعاد كل منهما إلى ميله الطبيعي: " إبراهيم " إلى مطامعه، و" رضوان" إلى ملاهيه، فأخذ " إبراهيم كخيا" يفسد الأحكام ، ويستخدمها لاسترجاع ما بذله للحصول عليها، فلم يغادر وسيلة إلا استخدمها في سبيل مطامعه من قتل وهتك.

فابتدأ بسليمان قاتل " علي بك الدمياطي" ، فحجر عليه في القلعة، ولم يفرج عنه حتى استرجع منه ما كان أعطاه من النقود. ثم باغت من بقى من الأغنياء في القاهرة، ووضع يده على ممتلكاتهم بعد أن قتل بعضا منهم، وبقي البعض الآخر فاستولى في يوم واحد على أموال ثمانين بيتا من بيوت القاهرة ، ووضع يده على محصولات البلاد والجمارك والقرى والمخازن حتى الحوانيت الصغيرة، فلم يبق ولم يذر.

وكان " كيور أحمد باشا" قد استدعى إلى الآستانة، وولي حكومة قبرص فأقيم مقامه باشا[٥٥٠] آخر سنة ١١٥٦هـ فعامله " إبراهيم كخيا" بالاحتقار، فحقد عليه ، ثم اتفق غياب " إبراهيم" في قافلة الحج إلى مكة، فاغتنم الباشا غيابه. وتواطأ مع " حسين بك الخشاب" على مكيدة يعدانها لإبراهيم. فاتفق على أن يقوم الخشاب بقتل " إبراهيم " ورفيقه " رضوان" [ص/١٥١] وأن يكافئه الباشا على ذلك بمشيخة البلد.

فلما رجع " إبراهيم " سعى " الخشاب" في إنجاز وعده، ففاز بالقبض على الاثنين، فسجنهما في القلعة، فولاه الباشا مشيخة البلد، لكنه لم يهنأ بها لأن دعاة "

إبراهيم كخيا " اتحدوا وهجموا على " حسين بك" والباشا، وأخرجوا المسجونين،ففر الخشاب إلى مصر العليا واختبأ من إبراهيم في بلاد النوبة، أما الباشا، فاستدعى إلى الآستانة وعاقبه السلطان عقابا انتهى بالموت.

نشأة على بك الكبير

وكان في حوزة " إبراهيم كخيا" أكثر من ألفي مملوك، من جملتهم " على" الذي سيلقب بعلى بك الكبير ويكون له شأن عظيم لهذا التاريخ، وسترى في سيرته أنه من أفراد الدهر حزما وبطشا وحكمة. وكان " على" سلحدارا بين مماليك " إبراهيم كخيا" وكان إبراهيم يحبه كثيرا ويجل مواهبه حتى جعله ناقل سيفه. ومما زاده تعلقا به أنه اصطحبه إلى الحرمين في قافلة. وكان قد صار كاشفا فسار قائدا لتلك القافلة، فلاقاهم في الطريق عصابة من اللصوص، فدفعهم " على " بقلب لا يهاب الموت، فلقبوه بالجني. ولما رجع " إبراهيم كخيا " إلى القاهرة عزم على مكافأة " على" برتبة بك"، لكن صغر سنه ودسيسة الخشاب حالا دون ذلك .

ثم عقب بذلك مشاغل أكثر أهمية زاد الأمر تأخيرا [ص/١٥٢] وذلك أنه جاء القاهرة خبر وصول باشا جديد إلى الإسكندرية بدلا من الباشا الذي أخرج منها، وكان من عادة رجال الحكومة في مصر إذا علموا بمجئ باشا جديد أن يبعثوا وفدا يلاقونه في الإسكندرية، وفيهم العيون والجواسيس فيحيطون به يستطلعون مقاصده ونواياه ويطلعون على ما في يده من الأوامر السلطانية، فإذا رأوا تلك الأوامر سليمة ومقاصده حسنة رحبوا به وفتحوا له الطريق حتى يصل بولاق، فيحتفل الأمراء بلقائه، أما إذا تبينوا من أحواله غير ذلك، وبلغوا الأمراء بالقاهرة فيجتمعون ويقرون إعلانه أن يقف حيث هو ويكتبون إلى ديوان الآستانة بعدم موافقة ذلك الباشا الجديد، وأن بقاءه في مصر مخل بالنظام العمومي أو ربما حمل الرعية على الثورة، ثم يطلبون استبداله بآخر أكثر موافقة للبلاد منه.

فلما اتصل بهم خبر قدوم هذا الباشا واسمه " راغب محمد باشا"[٥٥١] سار شيخ البلد بنفسه لاستقباله ومعه البكوات فخلع على كل واحد منهم خلعة كالمعتاد، ثم اجتمعوا جميعا بجلسة رسمية وأقسموا على الطاعة والإخلاص لأمير المؤمنين، وأحب الأمراء " راغب باشا" محبة عظيمة لأنه عرف كيف يعامل شيخ البلد، فأحبته

الرعية ومالوا بكليتهم إليه فقضى بين ظهرانيهم سنتين كلهما سلام وطمأنينة حتى أجمع البكوات على استبقائه بينهم زمنا طويلا [ص/١٥٣] وهم في ذلك ، ورد إلى الباشا خط شريف أن يسعى جهده في قطع دابر البكوات، وفي جملتهم شيخ البلد ومن يلوذ به، فاستنتج الباشا من نص ذلك الخط أن ديوان الآستانة مشتبه بتصرفه في مصر وأنه وشى إلى جلالة السلطان بأن اتفاقه مع بكوات مصر ليس إلا لعزمه على استخدامه في مآربه بالاستقلال بحكومة مصر وإخراجها من طاعة الدولة العلية. فوقع في حيرة وتردد بين أن ينفذ الأوامر الشاهانية مع ما فيها من الخطر، أو أن يعصيها، أو يؤخرها، فيعرض حياته للخطر ويؤيد التشكيات التي تقدمت بحقه.
وبعد أن نظر في المسألة من سائر وجوهها، فضل الفتك بأصدقائه البكوات، فتواطأ مع عصابة من رجاله أنه متى اجتمع البكوات في مجلسه، ليكونوا عل استعداد للهجوم عليهم معا عند أول إشارة.

ففعلوا ما أمرهم به ، لكنهم لم يفوزوا كل الفوز لأن ثلاثة من البكوات تمكنوا من النجاة، وفي مقدمهم شيخ البلد بعد أن جاهدوا الجهاد الحسن وأوسعوا الباشا تعنيفا على فعلته هذه التي لم يكونوا ينتظرونها من بعد ما أظهروه نحوه من اللطف والإخلاص. فبرأ ساحته بإطلاعهم على الفرمان السري الوارد له بهذا الصدد. فكفوا عن الانتقام منه، لكنهم عزلوه. وكتبوا إلى الآستانة يطلبون بدله، وعينوا ثلاثة بكوات في مكان الثلاثة الذين قتلوا بتلك المكيدة.

واغتنم " إبراهيم كخيا" هذه الفرصة لترقية " على " كاشفا[٥٥٢][ص/١٥٤] فرقاه إلى رتبة بك، فشق ذلك على أحد البكوات المدعو" إبراهيم بك شركسي المولد يعرف " بإبراهيم بك الشركسي " وكان من دعاة "إبراهيم كخيا" لكنه تظاهر عند ذلك بعداوته، ونمت بينهما الضغائن ولم تنته إلا بقتل " إبراهيم كخيا" بعد ذلك بخمس سنوات بيد " إبراهيم بك الشركسي" المذكور سنة ١١٦٨هـ (١٧٥٤م)، وفي تلك السنة ، توفي السلطان " محمود بن مصطفي" ، وهذه صورة نقوده مضروبة في القاهرة سنة ١١٤٣هـ .

[ص/١٥٥] سلطنة عثمان بن مصطفي

من سنة ١١٦٨-١١٧١هـ

أو من ١٧٥٤- ١٧٥٧م

هو عثمان الثالث، ولم يحكم إلا ثلاث سنوات لم يحدث في أثنائها(٥٥٣) ما يستحق الذكر في المملكة العثمانية حتى في مصر. فإن " إبراهيم الشركسي" شفي غليله بقتل " إبراهيم كخيا" لكنه لم يرو مطامعه، لأن مشيخة البلد انتقلت إلى" رضوان بك " صديق " إبراهيم كخيا".

ثم ظهر لرضوان منافس آخر من زعماء حزب إبراهيم يقال له " حسين بك" (٥٥٤) أصبح بعد قتل الكخيا أكبر رجال ذلك الحزب، فادعى لنفسه الأولوية بمشيخة البلد، فلم تقبل دعواه، فجمع إليه بعض دعاته المماليك، وصعد إلى قلعة القاهرة واستولى على بطارية من المدافع تشرف على بركة الفيل حيث يقيم" رضوان بك" فأطلق بعض القنابل على المنازل، فخرقت جدرانها، فتداعت أركانها " و"رضوان بك" مشغول بحلاقة لحيته، فلما أحس بالأمر، طلب جواده، ولم يعل ظهره حتى أصيب برصاصة كسرت فخذه، وتمكن من الفرار ومعه بعض المماليك إلى قرية الشيخ " عثمان" وهناك توقف عن المسير لزيادة الألم، ومعه رئيس الضابطة، وكان مجروحا ثم توفي الاثنان ودفنا معا.

فسمى " حسين بك" من ذلك الحين " شيخ البلد" وأخذ يتقرب من أترابه البكوات وهم لا يزيدون منه إلا نفورا. ولم تمض بضعة أشهر من توليته، حتى كمنوا له في مكان مصاطب النشاب في السهل الواقع بين القاهرة وأرض " إبراهيم بك" وكان مشتغلا بعرض جنوده المماليك، فهموا به وذبحوه [ص/ ١٥٦] ثم قطعوه إربا إربا " وصار يعرف من ذلك الحين بحسين بك المقتول"(٥٥٥)، وتولى مكانه " خليل بك" واشتهر بحب القتل. وكان متظاهرا بالعداوة والحسد لعلي بك على الخصوص لاعتقاده أنه أشد أعدائه وطأة وأقواهم عزيمة.

سلطنة مصطفى بن محمد

من سنة ١١٧١- ١١٨٧هـ

أو من ١٧٥٧ - ١٧٧٤م[٥٥٦]

وهو "مصطفى الثالث" تولى الملك وسنه ٣٢سنة [٥٥٧] وكان ميالا إلى الإصلاح ،ووزر له " راغب باشا" [٥٥٨]وهو ذو حزم ونشاط وعمل، فأعانه في ما أراده من الإصلاحات وحفظ السلام طوال حياته. فلما توفي عادت " روسيا " إلى الحرب، وكانت " كاترينة" الثانية [٥٥٩] إمبراطورة الروس، قد تولت العرش الروسي بعد " بطرس"، فعينت صديقها " ستسلاس يونياتسكي" ملكا على " بولونيا" وكان بذلك مخالفا للمعاهدة بين " روسيا" والدولة، وإنما عمدت " كاترينة" إلى خرق هذه المعاهدة عملا بوصية " بطرس الأكبر" وهي تقضي أن يبذل الروس جهدهم في إزالة الحواجز الثلاثة الحائلة بينهم وبين أوربا الغربية، وهي " أسوج "[٥٦٠] و" بولونيا" و" الدولة العثمانية وقد أزيل الحاجز الأول باستيلاء " الروس " على الولايات الأسوجية الفاصلة بينها وبين " ألمانيا" ، وأزيل الثاني تقريبا بتعيين أحد أتباع الإمبراطورية على " بولونيا" ، ولم يبق إلا إزالة الدولة العثمانية من " أوربا".

فنبهت الدولة لهذا الخطر، لكن بعد فوات الفرصة، إذ كان ينبغي لها أن تنجد شارل الثاني عشر[٥٦١] على " الروس" ولكنها عمدت[ص/١٥٧] إلى استدراك ما فات، وفتحت حربا طال أمدها، وتعاظم لهيبها، وبذلت كل من الدولتين جهدها في التغلب، وأرسلت " روسيا" عمارتها إلى البحر الأبيض لمصادرة السفن العثمانية وضرب الثغور العثمانية فاغتنم "على بك الكبير " تلك الفرصة ، واستعان " بالروس على استقلاله بمصر في الدولة العثمانية[٥٦٢] كما سيجئ.

وكان " على بك " كثير الإخلاص " لإبراهيم كخيا" لا ينفك ساعيا في الانتقام له، ولكنه كان يرى السبيل الأقرب والأسهل لبلوغ مرامه، إنما هو القوة، فأخفى ما في ضميره ثماني سنوات، اشتغل في أثنائها بجمع القوة، فابتاع عددا وافرا من المماليك ووطد علائقه مع البكوات الآخرين واكتسب ثقتهم بما كان يظهره من الغيرة عليهم والإخلاص لهم، وما كان يكرمهم به من الهدايا. وما زال يخطو خطوة بعد أخرى حتى أقترب من النقطة المطلوبة، فأوجس " خليل بك " خيفة منه، وجعل يتجسس حركاته بالأرصاد والعيون، ويعد المكائد في شوارع " القاهرة".

ففي ذات يوم هجم عليه " حسين كشكش" [٥٦٣] " بأمر خليل بك" وبعد واقعة هائلة اضطر " على بك " أن يفر إلى الصعيد في طائفة من اصدقائه البكوات، يستعد للانتقام مضاعفا.

فصرح " خليل بك " أن " على بك " وأتباعه البكوات مجردون من رتبهم وحقوقهم، وولي مكانهم بكوات من ذويه، وقتل من ظفر به في القاهرة من أصدقاء " على بك" أو المنتمين إليه، أما " على بك" فالتقى في الصعيد بواحد من مماليك "مصطفى أنور" يدعي " صالح بك" [٥٦٤] كان منفيا هناك وفي قلبه من " خليل بك " حزازات [ص/١٥٨] فاتحد الاثنان ورجالهما وزحفا على " القاهرة " فخرج " خليل بك " و " حسين كشكش" ، فدارت رحى الحرب ، فكان الفوز" لعلي " ورفيقه. فطاردا " خليل بك" ورجاله حتى قطعوا مديرية " القليوبية" وأوصلوهم إلى المسجد الأخضر على ضفاف النيل، واشتد الكفاح هناك، فالتجأ " خليل بك " ورجاله إلى " طنطا" . فبعث " على بك " كاشفه " محمد الملقب " بأبي الذهب" ليهاجمهم، فهاجمهم ، واستلم " طنطا" بعد أن قتل " حسين كشكش" . أما " خليل بك فاختبأ بالمسجد وبقي فيه، وقد غلبه الجوع، ثم قبض عليه، ونفي إلى " الإسكندرية " وخنق هناك، ونقلوا رؤوس القتلى إلى القاهرة، وطافوا بها في أسواقها[٥٦٥].

الدور الثالث
لسيادة الدولة العثمانية على مصر
أو
على بك الكبير
من سنة ١١٧٧-١١٨٧هـ[٥٦٦]
أو من سنة ١٧٦٣-١٧٧٣

فتمكن " على بك" بهذا الانتصار من استلام مشيخة البلد " في القاهرة" سنة ١١٧٧هـ[٥٦٧]، وأول أمر باشره قتل " إبراهيم الشركسي" الذي قتل سيده، فثارت عليه أحزابه يطلبون الانتقام، وهم عديدون، فخاف على بك على حياته ففر إلى " سوريا" والتجأ إلى متسلم (حاكم) بيت المقدس، وكانت بينهما صداقة قديمة إلا أن هذا الملجأ لم يحمه إلا شهرين، لأن أعداءه البكوات لما علموا بمقره[ص/١٥٩]

شكوه للسلطان" مصطفي" وأخبروه بمقره. فأنفذ إلى متسلم القدس فرمانا يأمره بـه أن يرسل " على بك" مخفورا إلى الباب العالي.

فعلم " على بك" بذلك، ففر إلى " عكا"، وهناك اكتسب صداقة الشيخ" ضاهر العمر" [568] أمير تلك المدينة الحصينة فأكرم وفادته وسعى في تبرئته أمـام البـاب العالي، وبمساعدة نصرائه من أصدقاء " إبراهيم كخيا" اكتسب له العفو من الحضـرة السلطانية ، فألغيت الأوامر بالقبض عليه. وأعيد إلى " القاهرة" بمنصبه الأول.

وفي سنة ١١٧٩هـ- (١٧٦٥م) أي بعد ذلك بسنتين، هدد" على بك" بالإقالة من ذلك المنصب، وذلك أن " محمد راغب باشا" الذي كـان علـى مصـر وعـزل منها"على ماهر بك" كان يتذكر كرم أخلاق " على بك" منذ كان كاشفا، فبعد اسـتقالته من مصر، ولي بر الأناطول[569]، وبعد تسع سنوات صار صدرا أعظم، وما انفـك متذكرا صداقة " على بك" لا يفتر عن معاضدته، وتسهيل مطالبه سرا وجهرا.

ففي سنة ١١٧٩هـ [570]، توفي الوزير " محمد راغب باشـا" المذكـور، فأصبح " على بك " في حاجة لمن يعضده، فاغتنم أعداؤه هذه الفرصة، ووشوا به إلى الآستانة، فاضطر أن يفر إلى اليمن، ولم تأت سنة ١١٨٠هـ (١٧٦٦م) حتى عاد إلى القاهرة، واسترجع منصبه بمساعدة أحزابه ومـوت أربعـة مـن دعـاة " إبراهيم الشركسي" . ثم تراءى له أن صديقه " صالح بك" تحدثه نفسه بخرج حرمة الصداقـة، واتباع داعي المطامع الشخصية، فوكل أمر قتله إلى " إبراهيم كاشف" أحد اتباعـه، فقتله طعنا[571]، وسترى أن " إبراهيم " هذا سيرتقى حتى يتولى مشيخة البلد.

[ص/١٦٠] ورأي " على بك" أن قبائل العربان في مصر السفلى قد شـقت عصا الطاعة، فأنفذ إليها أحد مماليكه المدعو" أحمد" في فرقة من الرجال، فحـارب أولئك العربان، وأمعن في قتلهم حتى لقبوه بالجزار، وهو الذي تولى " عكـا" بعدئـذ واشتهر " بأحمد باشا الجزار" أما من بقى من أعداء " على بـك" فخـافوا ولزمـوا السكوت، وتحقق تخلصه من القلاقل والمفاسد والمقاومات، ورأي من باب الاحتيـاط والحرص أ ن يرقى ثمانية عشر مملوكا من أتباعه إلى رتبة البكوية لينصروه وقـت الحاجة وهي أسماؤهم:

١- رضوان ابن أخيه من جورجيا

٢- على الطنطاوي من جورجيا

٣- إسماعيل	من جورجيا
٤- خليل	من جورجيا
٥- عبد الرحمن	من جورجيا
٦- حسن من	من جورجيا
٧- يوسف	من جورجيا
٨- ذو الفقار	من جورجيا
٩- عجيب	من جورجيا
١٠- مصطفى	من جوريجيا
١١- أحمد الجزار	من أماسيا
١٢- سليم أغا	انكشاري
١٣- سليمان كخيا	انكشاري
[ص/ ١٦١] ١٤- لطيف الشركسي	شركسي
١٥- عثمان	شركسي
١٦- إبراهيم	شركسي
١٧- مراد	شركسي

ولهذين الأخيرين شأن في هذين[٥٧٢] التاريخ لأنهما سيتنازعان السلطة بمصر.

١٨- محمد

وكان يعز محمدا أكثر من الجميع وستراه رجلا عقوقا منكرا للجميل[٥٧٣]. ولما تقلد البكوية، لقب بأبي الذهب، فأحب أن يجعل هذا اللقب اسما على مسمى، فتظاهر بالكرم المفرط وبدلا من أن يفرق العطايا بالبارات، فرقها بالأرباع.

أما " على بك " فكان ساهرا مصلحة البلاد سهرا تاما، وكان مخلصا في أعماله، فطهر البلاد من اللصوص، وسعى جهده في إصلاح شئونها، فساد الأمن فيها بعد أن كانت معرضا للقلاقل والمفاسد. ولم تقف مطامع " على بك" عند هذا الحد، فإنه رأي من تحامل الواشين بينه وبين ديوان الآستانة، وإيقاع ذوي الأغراض به وبسلطته، ما حمله على السعي في الاستقلال بمصر ، وتجريدها من رعاية الدولة العثمانية، لكنه كتم مقاصده، وجعل يسعى في تنفيذها تحت طي الخفاء.

مساعيه في سبيل الاستقلال

ولول خطوة خطاها نحو هذه الغاية، أنه انتحل أسبابا بنـى عليـها عـزل مستخدمي الملكية والجهادية ورؤساء الوجاقات، واستبدلهم برجال علـى دعوتـه إلا وجاق الانكشارية فإنه لم يمسه بعد أن [ص/١٦٢] تمكن من استبقائه تحت حمايتـه، وسد جميع السبل التي يمكنه بها التطرق إلى مقاومته . وأخر دفع مرتبات الوجاقـات الأخرى عمدا ، وصار يدفع رواتبهم أقساطا عملة ورق بول كان تخسر المائة منـها تسعين،فكان يربح أرباحا عظيمة باسترجاع الورق بالأثمان البخسة، وصرفـه ثانيـة بثمنه الأصلي، فلما رأت رجال الوجاقات أنهم لا يستولون مـن ماهياتـهم إلا علـى العشر، كرهوا، الاستخدام بالعسكرية، وجعلوا يستقيلون منها شيئا فشـيئا ويتعـاطون أشغالا أخرى أكثر فائدة لهم.

ثم سعى في تقليل العساكر العثمانية واستخدام المماليك مـن دعاتـه حتـى صاروا نحو ستة آلاف، وحظر على سائر البكوات والكشاف الذين يخشـى تغـيرهم عليه أن يقتني أحدهم أكثر من مملوك أو مملوكين. وكان على ولاية مصـر إذ ذاك "محمد باشا"[٥٧٤] فأزعجته إجراءات "على بك" وخشى عاقبتها، فنصح له أن يقف عند حده، فلم يكترث بقوله. فأقر على مقاومته لأن هذه الإجراءات مضادة لمصلحة الباب العالي، ولكنه لم يكن يستطيع المجاهرة بمقاصده هذه. فأخذ يدسها سرا، واتحد مع من بقى من دعاة " إبراهيم الشركسي" وأجمعوا على الانتقام من " على بك" ثـم جعلـوا يسعون فسادا بين أحزابه واستجلبوا بعضا منهم إلى جانبهم بالمواعيد المبنيـة علـى الحسد والطمع. وفي جملة هؤلاء " محمد بك أبو الذهب" الذي طمـره " علـى بـك" بفضله حتى أزوجه ابنته وكان يناديه كما ينادي أولاده. ولم يكونوا يستطيعون تنفيـذ مآربهم جهارا، فأغروا صهره " محمد بك" المذكور بالمال ووعده إنه إذا قتل " علـى بك يتولى المشيخة [ص/١٦٣] مكانه، فقبل.

لكنه علم بعدئذ أنه يقصر عن مناوأة " على بك" واستعظم الجنايـة، فعـدل عنها إلى جناية تقرب منها، وذلك أنه شكى إلى " على بك " معاملة الباشا له، فأسـرع إلى إنقاذه منه، وما انفك عن الباشا حتى أخرجه من مصر، فعاد إلى الآستانة، ولـم يزدد " على بك" إلا ثقة في " محمد بك أبو الذهب" وإخلاصه له، رغم ما كان ينقـل إليه من السعى ضده.

وفي سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) انتشبت الحرب بين روسيا والدولة العلية، فبعثت هذه إلي مصر أن تمدها باثني عشر ألفا، فوصلت الأوامر لعلي بك بذلك ومشروعه لم ينضج بعد فلم يسعه إلا مباشرة ما أمر به لما ابتدأ بجمع الجنود. أما أعداؤه فاغتنموا تلك الفرصة للوشاية، فضموا إليهم الباشا الجديد[٥٧٥] الذي كان قد أرسل إلى[٥٧٦] القسطنطينية بدلا من الباشا الذي أخرجه " على بك" . واتفقوا جميعا على كتابة تقرير أمضاه الباشا وسائر البكوات أعداء " على " يشون به إلى الديوان الشاهاني بدعوى أنه إنما أراد بما يجمعه من الجيوش معاضدة روسيا للاستقلال بمصر، فأنفذ الديوان الشاهاني إلى الباشا أمرا مشددا أن يقتل " على بك" ويرسل رأسه إلى الآستانة.

فاتصل ذلك لعلي بواسطة أصدقائه بالآستانة فبعث " على بك طنطاوي" أحد دعاته في عشرة من أتباعه المماليك، متنكرين بلباس البدو ويكمنون على مسافة قصيرة من القاهرة حيث لابد للقابجي باشي[٥٧٧] حامل ذلك الفرمان من المرور به، فمكثوا هناك ثلاثة أيام . وفي الرابع بان لهم القابجي ومعه أربعة رجال، فوثبوا بهم [ص/١٦٤] وقتلوهم وطمروهم بالرمل، وأخذوا ملابسهم والفرمان وصاروا إلى " على " فقرأه.ثم جمع إليه ديوان البكوات العمومي وأطلعهم عليه وأقنعهم أن ذلك ليس لقتله وحده بل لقتلهم جميعا، ثم خاطبهم قائلا:

" دافعوا إذا عن حياتهم وحقوقهم واعلموا أن مصر ما برحت منذ القدم يحكمها دول من المماليك كانوا سلاطين أشداء تفاخر بهم الأرض السماء فأعيدوها إليهم، وهذه فرصة لا يضيعوها. فإنهم لن تعثروا عمركم على فرصة مثلها. هلم إذا نسعى في الاستقلال، فإن فيه حياتنا وحريتنا".

استقلال على بك بمصر

فتأثر البكوات من فصاحة " على " وبلاغته[٥٧٨]، وكانوا ثمانية عشر، قد أجمعوا على دعوته، فعاهدوه على الدفاع عنه ما استطاعوا إلى الدفاع سبيلا. أما سائر الأمراء المماليك من أعدائه فخافوا العاقبة، ولزموا السكوت، فكتب ديوان " على بك" أمرا إلى الباشا أن يبرح الديار المصرية في ٤٨ساعة، وإذا لم يفعل، يقتل وأن مصر قد أصبحت مستقلة، وبعث على إلى الشيخ " ضاهر العمر" أمير عكا يعلمه

رسميا باستقلال مصر، ويدعوه للمساعدة في ذلك، فأجابه الشيخ ضاهر مسرورا، وجمع إليه رجاله ورجال بنيه السبعة وصهره. وانضم الجميع إلى جنود " على " وكان قد أضاف إلى الستة الآلاف التي عنده من المماليك الاثنى عشر ألفا التي جمعت مددا للعثمانيين، وأضاف إلى هذه أيضا رجال أصدقائه البكوات حتى رجال أعدائه لأنهم لم يعد يسعهم إلا طاعته.

فاتصل ذلك بالآستانة، فأرسل الباب العالي أمرا إلى والي دمشق[ص/١٦٥] أن يسير في ٢٥ ألفا لمنع جنود عكا من معاضدة " على " فسار الوالي في ذلك العدد من الرجال، فلاقاه الشيخ " ضاهر" في ٦ آلاف بين لبنان وبحيرة طبرية، ورده على أعقابه سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) ، وكانت هذه الواقعة آخر الوقائع لأن الباب العالي أمسك بعدها عن إرسال الجند كأنه نسى علاقته مع " سوريا" و" مصر" بالكلية.

أما " على فاغتنم اشتغال الدولة العلية بالمحاربة مع روسيا وصرف عنايته في تنظيم مملكته الجديدة، وإصلاح داخليتها من الخلل. فخفض الضرائب وجعل على المالية مدير الكمرك القديم المعلم " ميخائيل فرحات القبطي" بدلا من يوسف بن لاوي الإسرائيلي[٥٧٩] وكان قد قتل جزاء خيانته. ونظم التجارة الخارجية والمواصلات، وأبعد العربان إلى الصحراء، فاستولى الأمن وانتشر الإصلاح في القطر، فزادوا على ألقاب " على " لقب بلوط قبان (مبيد اللصوص)[٥٨٠].

قبيلة الهوارة

وكان في جملة القبائل الثائرة على " مصر " قبيلة " الهوارة" وهي أشدهن بأسا وأطول باعا. جاءت في الأصل من ضواحي تونس الغرب، واستقرت بين "جرجا"، و " فرشوط" في بقعة من الأرض لم تكن تصلح للزراعة. فاعتنوا فيها حتى أنشأوا عدة قرى - ومازالوا ينشرون سطوتهم حتى احتلوا البقاع بين هوارة وكفر الشيخ سليم.

ثم اغتنم الشيخ " هامان" [٥٨١] -شيخ الهوارة- اشتغال مصر بما تقدم، ووضع يده على البلاد من " أسيوط " إلى "أصوان"[٥٨٢] وجمع إليه محصولاتها، وكان قد حارب هذه القبيلة كثيرون ممن تولوا مصر قبل " على" وفرضوا عليها ضريبة مقدارها ٢٥٠ ألف أردب من الحنطة توردها سنويا إلى مصر.

[ص/١٦٦] ففي سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م) أرسل " على بك " صديقه " محمد بك أبا الذهب" لمحاربة الشيخ " هامان" وقبيلته فحاربهم وتغلب عليهم في أواخر تلك السنة. فاضطر أبناء الشيخ أن يبتاعوا حياتهم بما لديهم من ثروة أبيهم، فربح "أبو الذهب " من ذلك مالا كثيرا ثم أسرع إلى " القاهرة " لما علمه من الدسائس التي كان ساعيا بها رفيقه " أحمد بك الجزار" على " على بك" وكأنه لم يكن يريد أن يشاركه أحد بالدسائس على سيده[٥٨٣].

وكان " أحمد الجزار" ينظر إلى أبي الذهب نظره إلى عدو يناظره في ارتكاب الدنايا، فسعى في قتله، فلم ينجح وكان لأحمد الجزار سيف مشهور بطيب فولاذه، وإتقان صنعه، فاتفق يوما أنه اجتمع " بمحمد أبي الذهب" ،فقال له " محمد" : " أرني حسامك لأجرين فرنده"[٥٨٤] فأجابه أحمد" " لا يستل حسامي حتى يستباح قتيل"، ثم نهض للحال، وغادر القاهرة قاصدا " القسطنطينية" فوصلها، ثم عهدت إليه ولاية " عكا" بعد ذلك وما زال بها حتى توفاه الله[٥٨٥].

فتوح على بك ومعاهداته

أما " علىبك " فبعد أن تغلب على الصعيد، ثار في خاطره حب الافتتاح، فجرد على " اليمن " جيشا تحت قيادة " محمد أبي الذهب" فسار في عشرين ألفا، فقطع برزخ السويس ن ومضيق العقبة، ولم يبق على أحد من القبائل التي حاولت الوقوف في طريقه، وما زال حتى أتي اليمن وافتتحها.

وأمر " على " فسار" إسماعيل بك " في ثمانية آلاف لافتتاح السواحل الشرقية للبحر الأحمر و" حسن بك" لافتتاح " جده" ن ولقب للجداوي إشارة إلى انتصاره على تلك المدينة، وما [ص/ ١٦٧] زال يعرف بهذا اللقب من ذلك الحين، ولم تمض ستة أشهر حتى افتتحت جزيرة العرب وفي جملتها " مكة المشرفة"[٥٨٦] ولحق بها نهب شديد وأنزل شريفها، وأقيم مقامه ابن عمه الأمير " عبد الله" فوافق عليا على سلطته وسماه " سلطان مصر وخاقان البحرين" ، فعل ذلك بصفته الدينية تملقا لعلي.

فلما حصل على بك " على ذلك من شريف مكة ، أخذ يتمتع بحقوق السلطنة، فأمر أن يخطب باسمه في الصلوات العمومية أيام الجمعة[٥٨٧]، وضربت النقود باسمه سنة ١١٨٥(١٧٧١م) في القاهرة، كما سنرى.

وسعى " على بك " في هذه السنة في أمر سيق به إلى حتفه، وذلك أنه عهد إلى " محمد أبي الذهب " أن يسير في ثلاثين ألفا[٥٨٨] لإخضاع بلاد الشام لأنه كان يعتبر هذه الولاية بعد خروجه من طاعة الدولة العلية عدوا قريبا يخشى منه على نفسه وعلى صديقه ومحالفه الشيخ " ضاهر". وكان ينظر إلى " سوريا" كأنها جزء طبيعي من مملكة مصر، وكانت في الواقع قسما منها في سائر أزمنة التاريخ التي كانت فيها مصر مستقلة، في الدولة الطولونية والفاطمية والأيوبية والمماليك وغيرها.

وسعى " على بك " في التحالف مع الدول التي بينها وبين الآستانة عداوة، فاستخدم تاجرا إيطاليا اسمه " روستي" [٥٨٩]عقد له معاهدة سلمية مع البندقيين على أن يكونوا حلفاءه، ثم عهد إلى رجل أرمني اسمه " يعقوب" أن يستطلع من الكونت "لكسيس اورلوف" قومندان القوات الروسية في البحرين (المتوسط والأسود) عن عقد معاهدة دفاعية هجومية مع قيصرة الروس" كاترينا الثانية" فأجاب الكونت بالإيجاب [ص/١٦٨] وفتحت المخابرات بشأن ذلك، وطال أمرها كثيرا لبعد المسافة بين الطرفين.

أما جنود " على بك " في سوريا، فصاحبها الظفر واتحدت بجنود الشيخ " ضاهر " فاستولوا على " غزة" و" الرملة " و" نابلس" و " القدس" و "يافا" و" صيدا" ، وأخيرا حاصروا دمشق" ولم تلبث يسيرا حتى سلمت[٥٩٠].

خيانة أبي الذهب

فلما رأي " محمد أبو الذهب" تمام هذه الفتوح العظيمة على يد من حدثته نفسه أن يجعلها لنفسه، ثم قادته مطامعه إلى محاربة على ، واستخراج مصر من يده، ويظن أنه لم يقدم على ذلك من تلقاء نفسه، وإنما حمل [ص/١٦٩] عليه بأوامر جاءته من الآستانة لأن المخابرات السرية كانت متواصلة بينه وبينها بواسطة الباشا الذي أخرجه "على " من مصر، فأمسك " محمد "عن المسير في البلاد العثمانية، وحول شكيمة مقاصده نحو الديار المصرية.

فجمع ما كان لديه من الجيوش، وضم إليها الحامبات التي كان قد أقامها في المدن المفتتحة، وسار قاصدا مصر لكنه لم يجسر على المسير إلى القاهرة رأسا خوفا من الإنكشارية والوجاقات الأخرى لعلمه بما في قلوبهم من الضغينة عليه. فعرج نحو الصحراء حتى أتي الصعيد. فحط رجاله هناك، واستولى على أسيوط في آخر يـــوم من سنة ١١٨٥[٥٩١] ثم استقدم قبائل العربان وطلب محالفتهم ومحالفة بكوات الصعيد ، وجهر بعزمه على خلع " على بك " وسار قاصدا القاهرة، فوصلها في أوائل ســـنة ١١٨٦هـــ (١٨٨٢م) ، فنزل بجيشه تجاه البساتين فوق مصر القديمة.

فلما علم " علي بك" ندم على ما وضعه من الثقة في رجل كان له أن يعتــبر من سيرته الماضية أنه على غير الإخلاص والاستقامة، فجند ٣ آلاف رجل بقيـــادة "إسماعيل بك" وأمرهم أن يمنعوا محمدا من عبور النيل، فسار إسماعيل ، لكنه خـــاف سطوة عدوه، وورد عليه كتب مفعمة بالمواعيد يمازجها بعض التهديد فأخذ جانبــــه، وضم جيشه إلى جيشه فقطع " محمد بك " النيل ، فاستقبله رجال إسماعيل بالترحاب، فاتصل ذلك بعلي فيئس من الفوز، فانقطع إلى القلعة بأهله وأصدقائه ورجال دعوتــه، وقد عزم على المدافعة إلى آخر نسمة من حياته.

[ص/١٧٠] على بك في عكا

وبعد ثلاثة أيام، ورد إليه كتاب من الشيخ " أحمد" أحد أبناء صديقه الشـيخ " ضاهر" أن يبرح القاهرة حالا ويأتي إلي أبيه في " عكا" ، فخرج على من القلعة بمـن معه وسار من جهة الجبل الأحمر طالبا سوريا عن طريق الصحراء، وكان خروجــه قبل دخول " محمد بك" القاهرة بيوم واحد، أي مساء ٩ محرم ســنة ١١٨٦هــــ[٥٩٢] وهذه هي المرة الثالثة لخروجه منها إلى " سوريا " وفي معيته عدد يسير من الجند لا يبلغ ستة آلاف معظمهم من الخدمة الذين لا يستطيعون الدفاع ، ولم يحمل معه مـــن المال إلا ثمانمائة ألف زر محبوب يحملها ٢٥ جملا، ونقل معه المصوغات والحلـــي ما يساوي أضعاف ذلك.

وما زالوا في المسير ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى خان يونس فـــي حـــدود سوريا بعد ثلاثة أيام. فرأوا أن خمسة من الجمال الحاملة النقود قد ذهبت فريسة بيـــد القبائل البدوية، وأن عددا من رجاله فروا، ومعهم " يوسف الخزندار" ، وفـــي اليـــوم التالي دخل " على بك " غزة، ثم واصل السير حتى أتي " عكا" بعد ثمانيـــــة أيـــام ،

فرحب به أميرها وكانت بينهما مودة شديدة، فاطمأن " على بك" هناك غير أن ما تكبده من المشاق في الأسفار مع ما أثر في نفسه من الغيظ الشديد غير صحته ، فلم يصل "عكا" إلا وهو في حالة الخطر من شدة المرض.

وفي أثناء ذلك وصل ميناء عكا أسطول روسي، فلما علمت حاميته بما حل " بعلي بك" عقدوا معه معاهدة ثانية وقدموا له كل ما يحتاج إليه من المؤن والذخائر. وكان في خدمة ذلك الأسطول فرقة من [ص/١٧١] الألبانيين مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل، فأمدوه بهم، فلما رأي " على بك" ما كان من نجدة الروسيين مع ما يمكنه الحصول عليه من جنود " ضاهر" عزم على مناوأة " أبي الذهب لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك بنفسه لانحراف صحته، فعهد إلى " على بك الطنطاوي" بعد ثلاثة أشهر أن يسيروا أولا لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة " محمد أبي الذهب" فسار واستولى على " صور" و" صيدا" وقرى أخرى من سواحل سوريا، كانت قد احتلتها جنود عثمانية بعد انسحاب جنود " أبي الذهب".

ثم سار " على " بنفسه مع من بقى من الجند إلى " يافا" وافتتحها بعد محاصرة خمسة أشهر استولى في أثنائها على " غزة " عنوة وعلى " الرملة" و" اللد" تسليما. فأعاد " يافا " إلى حكومة الشيخ "ضاهر " وجعل على " اللد " حسن بك" الجداوي، وعلى الرملة " سليم بك" .

محمد بك أبو الذهب

وفي ٩ القعدة سنة ١١٨٦هـ[٥٩٣] كان " على بك " في " يافا" فجاءته رسل من القاهرة بمهمة سرية من وجاق الإنكشارية والوجاقات الأخرى، وسائر أعيان القاهرة: أن " محمد أبا الذهب " دخل القاهرة حالما خرج هو منها، وسمى نفسه شيخ البلد، وجعل يعيث في البلاد عيثا لم يسبقه إلى مثله أحد ممن تولى مصر قبله، فجعل الضرائب ضعفين، وبعضها ثلاثة أضعاف، ثم اختلق قانونا غريبا دعاه: قانون رفع المظالم، والمقصود منه بحسب الظاهر إنقاذ ملتزمي الأموال الاميرية من الإجراءات الاستبدادية التي كان يسومهم إياها الكشاف إلى ذلك العهد واستبدالها بما يعود بالمنفعة. والحقيقة أن الضرائب [ص/١٧٢] ما انفكت أشد وطأة من ذي قبل ، والإجراءات لم تزدد إلا استبدادا فضلا عما رافق ذلك من الفتك بالعباد قتلا ونهبا.

ثم قالوا إن مصر بجملتها لما رأت ما وصلت إليه من الانحطاط، وما لحق بأهلها من المظالم التي ما أنزل الله بها من سلطان قد أنابتهم أن يبلغوا " على بك " أنها بصوت واحد تلتمس رجوعه ليحكم فيها لأنه هو منقذها الوحيد، وأن مدينة القاهرة مستعدة أن تفتح أبوابها لاستقبال أميرها القديم وأن تدافع عنه الدفاع الممكن إذا حاول " محمد بك أبو الذهب" ما يخالف الصوت العمومي.

خروج على بك لمحاربة أبي الذهب

فلما علم " على بك " بكل ذلك ، شعر أن آماله عادت إليه وبرح " يافا" للحال قاصدا القاهرة، ولم يكن معه من الجنود إلا ألفا وخمسمائة، فاستنجد حاميات " اللد" و" الرملة" وانضم إليهم جنود الشيخ " ضاهر" وجنود ابنه الشيخ " شبلي" وصهره الشيخ " كريم" ، و" حسن" شيخ صور، وكان قد استأجر ثلاثة آلاف وخمسمائة من المغاربة ، فكان عدد جنوده جملة ثمانية آلاف محارب.

ففي ١١محرم سنة ١١٨٧هـ(٥٩٤)، وصل " على بك " إلى خان يونس، وفي ١٦منه(٥٩٥)، اقترب " من الصالحية"، وفي ١٨منه(٥٩٦)، التقى بمقدمة جيوش " محمد أبي الذهب" وعدتهم اثنا عشر ألف مقاتل، وبعد محاربة بضع ساعات ظهر" على بك" عليهم وقتل عددا غفيرا من رجالهم. فانفتحت له أبواب " الصالحية " فدخلها وقد أصيب بجروح بليغة.

ثم علم أن اعتماده على أحزابه في القاهرة لا يورثه إلا الخيبة لأن أبا الذهب كان قد جمع إليه كبراء البلاد ورجال [ص/١٧٣] حكومتها لما علم بمظاهرتهم " لعلي" وأقنعهم أن " على بك" قد غدر الأمة وخان الوطن وأباح دماء المسلمين بمعاهداته مع الروسيين وغيرهم من الأمم النصرانية. واستخدم " أبو الذهب " في سبيل ذلك إقناعهم، الدرهم الوضاح، فانحازت إليه القوات العسكرية إلا وجاق الإنكشارية، فإنه ظل على ولاء " على بك" .

فلما تحقق " أبو الذهب" اجتماع الأحزاب على دعوته أمن الاضطراب الداخلي فسار بنفسه لمحاربة علي.

أما " على " فانزعج لتلك الأحوال انزعاجا كثيرا فضلا عما كابد من المشاق في السفر، وقطع الصحراء، وزد على ذلك الجروح التي أصابته في واقعة

"الصالحية" فأصيب بحمى شديدة عجز معها عن ركوب جواده وقيادة جنوده، وفي ٢٠محرسنة ١١٨٧هـ[٥٩٧]،علم بمجئ " أبي الذهب " وهو على ما تقدم م المرض فلم يتردد في وجوب الدفاع، فأمر قواده فانتظمت رجاله على قلتها وتهيأت للدفاع، وكان على أحد جناحي الجيش " على بك الطنطاوي" ومن معه من البكوات ، وعلى الجناح الآخر ابن الشيخ ضاهر وصهره، فاستظهرت جنود على بادئ الرأي حتى قاربت الفوز التام.

ثم أرسل أبو الذهب " بعض جواسيسه إلى المغاربة في جيش على يغريهم على خيانة رئيسهم، فوافقوه، ووافقه غيرهم كثيرون من بكوات على، وفي جملتهم " إبراهيم بك " و" مراد بك " وهذا الأخير اشترط أن يأخذ مقابلا لخيانته هذه ما يخلفه "على " من المتاع والنساء وخصوصا امرأته " نفيسة" وكان " على " يحبها ويحترمها لما كانت عليه من الفطنة والجمال [ص/١٧٤] فلما انتشبت الحرب في الصباح التالي، انحاز جميع المغاربة والبكوات الذين خانوا، إلى عسكر " أبي الذهب" وكانت جنود "على بك " قريبة من الفوز .فلما رأت تلك الخيانة تضعضعت، وفر الجند يطلبون النجاة بأنفسهم بعد أن قتل "على بك الطنطاوي" و" الشيخ شبلي" ونجا " الشيخ كريم " والشيخ " حسن" و "رضوان بك" من المعركة وساروا إلى فسطاط "على بك " وأعلموه بما حصل، وطلبوا إليه أن يمتطى فرسه، ويسير برفقتهم إلى غزة ، حيث يلاقيهم الشيخ "ضاهر" بمن معه من الجند.

مقتل على بك

أما "على بك " فأبت نفسه الإصغاء لما أرادوا، فجلس بباب خيمته وقال لهم: " إني ملازم هذا الموضع لا أبرحه حتى تبرحنى نفسي، لأن الموت هنا أفضل عندي من الفرار، أما أنتم إذا شئتم النجاة بأنفسكم ، فبادروا إلى الفرار قبل أن يغشاكم ما ربما لا تقوون على دفعه"

فاضطر ابن أخيه ورجاله الباقون أن يذعنوا لما أمر، فودعوه ، وحولوا الأعنة في طريق خان يونس، قاصدين " غزة " فلقوا الشيخ " ضاهرا" هناك ، فأعلموه بما كان، وبوفاة ابنه فأسف كثيرا.

ومكث " على بك " بعد ذهاب أصدقائه بضع ساعات ينتظر منيته، وبجانبه عشرة من مماليكه وإذا بخمسين رجلا تحت قيادة الكخيا، نائب " محمد أبي الذهب" قد وصلوا الخيمة ودخلوها وقتلوا من كان فيها من المماليك. ثم وثبوا على " علي"، وكان المرض مشتدا عليه وفيه جروح، لكنه نهض بسيفه فقتل أول قادم عليه ، وجرح اثنين آخرين [ص/١٧٥] فخاف الباقون الاقتراب منه، فأطلقوا عليه البنادق فجرحوه جروحا بليغة في ذراعه اليمنى وفخذه، فجعل يدافع بيسراه دفاعا شديدا إلى أن وثب عليه الكخيا بنفسه، فدافعه" على " حتى أصيب بذراعه اليسرى، وفي أماكن أخرى ، فسقط على الأرض وهو لا ينفك عن الدفاع، فتكاثرت عليه الرجال حتى أمسكوه حيا. وساروا به إلى " محمد أبي الذهب " وطرحوه عند قدميه فأمر بحمله إلى القاهرة، فحملوه وأنزلوه في داره بدرب عبد الحق في شارع البكري(وراء صندوق الدين) فلبث فيها سبعة أيام ثم توفاه الله (٥٩٨). وقد قال بعضهم أن " أبا الذهب " أدخل السم في جراحه فقتله- والله أعلم-، ودفنوه بتربة أستاذه " إبراهيم كخيا" بجوار الإمام الشافعي. وكان لموت هذا الرجل تأثير عظيم في قلب كل من عرفه حتى أبا الذهب نفسه لم يسعه إلا الندم في سره، لما فرط منه، وما أتاه من نكران الجميل وارتكاب مثل هذه الخيانة.

مناقبه

ومن مناقب " على بك" أنه كان عظيم الهيبة حتى اتفق لأناس نهم ماتوا خوفا من هيبته، وكانت تأخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثول بين يديه، فيأخذ هو بتلطيف رعبه فيقول " هون عليك" ، وكان صحيح الفراسة، شديد الحذق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين، ولا يحتاج في التفهيم إلى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق بل يقرؤها هو بنفسه، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم فحواها(٥٩٩)

[ص/١٧٦] مآثره :

البناية العظيمة " بطنطا" ، وهي المسجد والجامع والقبة على مقام السيد البدوي، والمكاتب والميضاة الكبيرة، والحنفيات، والمنارتان العظيمتان، والسبيل المواجه للقبة، والقيسارية العظيمة، وجدد أيضا قبة الإمام الشافعي، وبنايات ووكالات

في بولاق مصر[٦٠٠]، ولا يزال هذا الرجل مميزا عند المؤرخيـــن بلقـــب الكبـــير، فيدعونه: " على بك الكبير".

وقد ضرب نقودا باسمه بمصر، وقد أضاف اسمه إلى اسم السلطان أحمـــد خان على الطغراء اسم السلطان المذكور، واسم " على" على الجانب الآخر. [٦٠١].

وبموت " على بك " انتهى الدور الثالث من سلطة العثمانيين على مصر.

[ص/١٧٧] الدور الرابع من سلطنة العثمانيين على مصر

من سنة ١١٨٧- ١٢١٣هـ

ومن [٦٠٢] ١٧٧٤-١٧٩٨م

لم يتوال على العرش العثماني في أثناء هذا الدور إلا ســلطانان[٦٠٣]، مــدة حكمهما جميعا ٢٥سنة ، والحال متضعضعة كما سترى.

١- سلطنة عبد الحميد الأول

من سنة ١١٨٧-١٢٠٣هـ-

ومن ١٧٧٤- ١٧٨٩م

هو ابن السلطان أحمد، تولى العرش العثماني وسنه خمسون سنة، وكان قــد قضى مدة حكم أخيه مصطفى محجورا عليه في قصره - كما جرت العـــادة- ولــم يستطع توزيع المال على الجند حسب العادة، لنضوب الخزينة في الحروب الماضيـــة وكانت قد عادت ظافرة منها[٦٠٤]، فأخذت روسيا تستعد لاسترجاع مـــا فقدتـــه مـــن الشهرة.ففي تلك السنة، زحفت جنودها على نهر الطونة[٦٠٥] واجتازته، فاعترضـــهم العثمانيون وهزموهم، وعادوا فتناوشوا وتحاربوا، وانتهت الحرب بمعاهدة[٦٠٦] فـــي يوليوسنة ١٧٧٤ كانت روسيا في الرابحة، لكن العثمانيين تفرغوا لإصلاح داخليتـــهم والتأهب للمستقبل ، فرمموا الأسطول، واشتغلوا بالإصلاح، وتعدت روسيا على القرم وضمتها إلى أملاكها، ولم يحرك العثمانيون ساكنا.

أما حال مصر، فبعد وفاة"على بك " عاد وادي النيل إلى ما كان عليه قبلـــه تابعا لأملاك الدولة العلية، وعادت أحكامه إلى مشايخ البلد والكشاف الذين جعلوا تلك

المناصب وسيلة لاختلاس أموال الناس، وحقوق الدولة ، وكان " على بك" قد جعل [ص/١٧٨] لهذه المظالم حدا، وأصلح الشئون حتى علقت الآمال باعتزاز مصر ورفع شأنها، فلم تبق المنية عليه.

نعم إن مصر بعد وفاته عادت إلى كنف الدولة العثمانية لكنها بالحقيقة لم تفدها شيئا، لأنها كانت في الحالة الأولى طعمة لرجل محب للإصلاح، مخلص بمقاصده، وإن كانت بمعزل عن سيادة الدولة، فأصبحت في الثانية طعمة لثلاثين رجلا كل منهم يسعى في ابتلاعها، لا يتفقون إلا على كره الدولة التي هم تحت حمايتها.

أما السلطان عبد الحميد، فلم يكن يرسل إليها من الولاة إلا من كان اسما بلا مسمى، كما كان شأنهم قبل ظهور" على " فكان الباشا من هؤلاء آلة يديرها البكوات كيف شاءوا، ولم يكن لديه من الأعمال إلا مخابرة القسطنطينية سرا بما كان يقع بين هؤلاء البكوات من الخلاف، وما كانوا يتداعون إليه من الخصام، وواجباته المهمة أن يستلم الجزية من الحكومة المصرية، ويرسلها إلا الآستانة إذا تمكن من قبضها.

أبو طبق وعزل الباشاوات

فكانت ولاية مصر منصبا يستحي العقلاء من قبوله لأنهم كانوا يعتبرونها منفى استحقه الباشا أو الوزير الذي يرسل إليها[٦٠٧]. وكان يعلم قبل خروجه من الآستانة أنه إذا لم يكن راضيا بما يرضاه شيخ البلد لا يلبث أن يصله منه رسالة ينقلها ناقل يقال له: الأوطة باشي، وفيها الأمر بعزله، أمر لا مرد له ولا مجال للمدافعة بعده . وكيفية ذلك أن شيخ البلد ورجاله إذا رأوا في تصرف الباشا ما يوجب [ص/١٧٩] الشك اجتمعوا اجتماعا عموميا في الديوان وقرروا عزله، وكتبوا بذلك أمرا يسلمونه إلى الأوطه باشي ليوصله إلى الباشا، فيحمله ويسير على حمار – لأن القانون لا يسمح له بركوب الخيل أو البغال– وبين يديه فرمان العزل. فإذا مر بالأسواق على هذه الصورة ، علم الناس أنه ساع في أمر هام فيه عزل. فيهرولون وراءه، ولا يزال سائرا في عرض الطريق قائدا لتلك الجماهير نحو القلعة. ومن واجبات أي جندي لقيه في تلك الحال أن يرافقه اتقاء ما يخشى عند وصوله القلعة.

فإذا وصل القلعة يدخل على الباشا، ثم يجثو أمامه باحترام ووقار. وعندما ينهض يطوي السجادة التي كان جاثيا عليها وينادي بأعلى صوته: " انزل يا باشا" وعند طي السجادة، والتلفظ بهذه العبارة تسقط [ص/١٨٠] كل حقوق الباشا، ولا يبقى له أقل سلطة على الجنود التي كانت قبل بضع دقائق تحت أمره، وتصير تحت أمر الأوطة باشي، وكانوا يسمونه " أبو طبق"[٦٠٨] لأنه كان يلبس على رأسه قبعة مثل الطبق، والباشا يقف ممتثلا يسمع تلاوة الفرمان سواء كان منطوقه بعزله أو بقتله، فلا يسعه إلا الطاعة التامة، على مثل ذلك كانت معاملة باشوات مصر[٦٠٩].

لما مات " على بك" ، اختلف أعداؤه في القاهرة على الاجتزاء من انتصاراتهم، فكان كل منهم يظن لنفسه الحق بالتمتع بأثمار انتصاره كغيره أو أكثر، فاختلفت الأحزاب من بينهم. أما من بقى من رجال " على بك" فلم يجدوا مكانا فيه راحة لهم، وكانوا في " عكا" عند الشيخ ضاهر- على ما تقدم - فتقهقر " أبو الذهب" لأنه كان يحب الانتقام ، حبا يفوق التصديق وقد آلى على نفسه ألا يبقى على أحد من رجال "على".

أما الشيخ ضاهر- أمير عكا- فلم يعد يطيب له السكون بعد أن خسر ابنه في سبيل نصرة " على بك" فثارت في خاطره بواعث الانتقام، ولكن " أبا الذهب " لم يعد يستطع صبرا على ذلك. فاسترحم من الباب العالي أن يسمح له بالمسير لإخضاع " سوريا" ولا سيما " عكا". واتهم أميرها ضاهرا بالعصيان، وأنه ساع ضد الدولة. فأجابه الباب العالي بفرمان يثبته في مشيخة البلد مع لقب باشا ورتبة والي القاهرة، مكافأة لما أتاه من كسر شوكة " على " وأحزابه ، وأذن له أن يتتبع ذلك الشيخ العاصي.

فلما وصل الفرمان إلى " أبي الذهب" كاد يطير من شدة الفرح وأعد جيشا تحت قيادته واستخلف في مصر إسماعيل [ص/١٨١] بك، وعهد حكومة مدينة القاهرة إلى " إبراهيم بك" ، وسار في جيشه إلى " سوريا" ولم تنته سنة ١١٨٩(١٧٧٥م) حتى دخل فلسطين. وكان لشدة عجبه بما أوتيه من الألقاب والرتب وما وعده به الباب العالي من المساعدات لا يزيد إلا كبرا حتى جعل خيمته التي يستريح فيها من أثمن ما يكون، وزينها أبدع زينة. فمر "بخان يونس" ، " فالرملة" ولم يلاق مقاومة، أما " يافا" فكان عليها الشيخ " كريم" صهر الشيخ " ضاهر" فدافعت قليلا

ثم فتحت عنوة، فدخلها رجال أبي الذهب، وقتلوا القسم الأعظم من سكانها رجالا ونساء، وشيوخا وأطفالا.

فبلغت تلك الفواحش مسامع الشيخ " ضاهر " وهو في عكا، فخاف أن يصيبه ما أصابها، ففر بعائلته وبمن هاجر إليه من المصريين، ولم يترك في المدينة إلا ابنه " عليا".

ولما علم باقتراب جيوش أبي الذهب، أخلى القلعة وانسحب منها لاعتقاده أنه إذا حاول الدفاع إنما يحاول عبثا، فوصلها " أبو الذهب " وأبوابها مفتوحة، فدخلها ولم يبق عليها، ففي هذه المدينة انتهت فظائع هذا الرجل، لأنه بينما كان عازما على العود إلى مصر، أصبح القوم فوجدوه ميتا في خيمته، ولم يعرفوا القاتل رغم ما اتخذوه من الاحتياطات وما كان لديهم من القرائن الكثيرة. فقال بعضهم إنه أصيب بنقطة- وهي داء السكتة- وقال آخرون إنه مات مقتولا بيد عدو فاتك- والله أعلم .

وبعد موت أبي الذهب، عادت الجيوش المصرية تحت قيادة " مراد بك" إلى مصر ومعهم جثة رئيسهم[٦١٠]، فدفنوها بالقرب من مدفن "على بك"، ومات أبو الذهب بعد موت على بك بسنتين ولقب بالخائن[٦١١].

[ص/١٨٢] مشيخة إسماعيل بك

وتولى مشيخة البلد بعده" إسماعيل بك " ولم يبق غيره من رجال" إبراهيم كخيا"، وهو من الذين نالوا البكوية بواسطة على بك، وكان لا يزال على دعوته، وإنما انضم إلى " أبي الذهب" خوفا، وقلبه لم يفتر لاهجا بالمدافعة عن رئيسه، لأنه لم يأت نحوه إلا ما يستدعي نصرته فضلا عن أنهما من طائفة واحدة.

فلما استلم زمام الأحكام نسج على منوال " على بك" فبعث إلى رجال حزبه الذين كانوا لا يزالون في سوريا فاستقدمهم إليه، وأقرهم في أماكنهم، وطيب خاطرهم استعدادا لمقاومة " مراد بك" و " إبراهيم بك" مناظريه[٦١٢] على مشيخة البلد. وكانا قد اتحدا على خلع " إسماعيل بك" فطلبا أولا طرد " حسن بك الجداوي" صديق " إسماعيل بك " فلم يفوزا، لكنهما تمكنا من احتلال القلعة، فاتحد " إسماعيل بك " و"حسن بك" وأخرجاهما منها، ففرا إلى الصعيد، ثم جمعا حزبا كبيرا، واستعدا لقتال إسماعيل ، فبعث جيوشا لتخمد أنفاسهما، فعادت على أعقابها وفاز الأميران فاضطر

"إسماعيل بك " إلى مغادرة القطر المصري فيمم الآستانة. أما "حسن بك " فقبض عليه ونفي إلى جدة بحرا، فاحتال أثناء الطريق فأرضى رئيس المركب الذي نقله، فأنزلـــه في القصير على سواحل القلزم(٦١٣)، ومن هناك قطع الصحراء غربـــا حتـــى أتـــي الصعيد فاستكن فيه.

مراد بك وإبراهيم بك

فلما خلا الجو " لمراد بك " و" إبراهيم بك" اقتسما الأحكـــــام فتعيـــن الأول [ص/١٨٣] أميرا للحج. والثاني شيخا للبلد ورقيا كثيرين(٦١٤) من مماليكهما إلى رتبة البكوية، وقلداهم مصالح البلاد.

وكانت الأحكام في عهدهما كما كانت في أيام أسلافهما من الظلم والاستبداد. وبلغهما بعد مدة أن " إسماعيل بك" عاد من " الآستانة" وجاء " حلـــوان" (٦١٥) فبعثـــا فرقة من المماليك فتكت بكل من كان معه من أهله ورجاله. أما هو فتمكن من النجـــاة باختبائه في بعض الكهوف ثلاثة أيام. ثم خرج طالبا الشلال، اجتمع هناك بصديقـــــه "حسن بك الجداوي" وسارا معا وأويا إلى الجنادل في السودان.

فاختلف " مراد بك" و" إبراهيم بك" على إرسال حملة للقبض على الهاربين، فارتأي أحدهما وجوب التجنيد، وخالفه الأخر حتى آل الأمر إلى الخصام ، وخـــروج "إبراهيم بك" مغتاظا من القاهرة إلى المنيا في الصعيد. فأرسل إليه " مراد بك" بعـــض الاختيارية(٦١٦) يسكنون من غضبه، فأرضوه وأعادوه إلى مركزه في القـــاهرة، إلا أن العلاقات الودية ظلت متكدرة بين الاثنين. ولم تمض مدة حتى خرج " مراد بك" إلـــى المنيا غيظا من زميله، لأنه اتحد مع خمسة من بيت عدوهما القديم وهـــم البكـــوات: "عثمان الشرقاوي" و" أيوب الصغير " و" سليمان" و" إبراهيم الصغير" و" مصطفــــى الصغير".

ولبث " مراد بك " بعيدا عن القاهرة خسة أشهر وإبراهيم يظن أنه لا يلبـــث أن يسكن غضبه ويعود إليه. فلما استبطأه، أرسل إليه الاختيارية كما فعل ذلك معـــه. فأبي " مراد بك " ورد الاختيارية خائبين، ثم جند جندا من أتباعه المماليك وسار على الضفة الغربية للنيل حتى أتي" الجيزة" - مقابل مصر القديمة- وعسكر هناك وهـــم بقطع النيل ، فعلم " إبراهيم بك " بذلك ، فجند في الجهة المقابلة على الـــبر الشـــرقي

ليمنعه من المرور [ص/١٨٤] ولبث الجانبان على تلك الحال ثمانية عشر يوماً لا يتحاربان إلا على سبيل المناوشة بإطلاق مدفع أو مدفعين. ولم يقتل إلا رجل أو فرس، فمل " مراد بك " من تلك الحال،فعاد إلى المنيا[٦١٧].

أما إبراهيم بك" فكان كثير الرغبة في مصالحة زميله، فأنفذ إليه بعد خمسة أشهر من خروجه وفدا ثانيا من كبار البلاد ومشائخها يطلبون إليه الرجوع إلى القاهرة. فوافقهم لكن اشترط عليهم أن يسلموه [ص/١٨٥] الخمسة البكوات المتقدم بذكرهم، حال وصوله إلى القاهرة، فقبلوا بذلك الشرط ، فنزل معهم، فعلم أولئك البكوات سرا من "إبراهيم بك " بما اشترطه " مراد بك " فخرجوا من " القاهرة " نحو القليوبية على نية الشخوص إلى الصعيد عن طريق الأهرام. فاتصل ذلك " مراد بك"، فجعل عند الجسر الأسود قرب الأهرام عصابة من العربان تترصد مرورهم، ولم يستطع صبرا على ذلك، فقطع النيل ببعض رجاله، فالتقى بالمنهزمين عند رأس الخليج، فتلاحموا ، فجرح " مراد بك" ، ونجا أولئك فلاقاهم العربان عند الجسر، فأسروهم ، وجاءوا بهم إلى " مراد بك" فنفاهم إلى المنصورة و" فرسكور" و" دميلط" تفريقا لكلمتهم. وبعد مدة يسيرة عادوا واجتمعوا في آخر سنة ١١٩٧ (١٧٨٣م) واتفقوا أن يفروا إلى الصعيد ويجمعوا إليهم عصابة يقاومون بها عدوهم. ولم يباشروا ذلك حتى توسط شيخ الجامع الأزهر في أمرهم وحصل العفو لهم من " مراد بك " فصفح عنهم وأعادهم إلى القاهرة بكل إكرام وأعاد إليهم رتبهم وامتيازاتهم.

حملة عثمانية لحرب المماليك

مضى بعد ثلاث سنوات على "إبراهيم بك" و" مراد بك " وهما على وفاق وسكينة يقتسمان إيراد البلاد بينهما بالسواء، لا يقدمون عنه حسابا، أو إذا قدموه كان حبرا على ورق، فوشي بهما " محمد باشا" والي مصر إذ ذاك إلى السلطان وبما كان فيه من الاستئثار بمالية البلاد. فأمر السلطان " عبد الحميد" - الأول" سنة ١١٩٩هـ (١٧٨٥م) أن يرسل إلى مصر جيشا لإيقافهما عند حدهما فسار الجيش في عمارة بقيادة " حسن باشا قبطان" ، فوصلت الإسكندرية في ٢٥شعبان سنة ١٢٠٠[٦١٨] فخاف البكوات خوفا شديدا [ص/١٨٦] واجتمعوا اجتماعا عاما في الديوان، وتباحثوا

في ما يجب إجراؤه، فكثر اللغط، واختلفت المقاصد والآراء، فلم يقروا علـــى شـــئ. وأخيرا ارتأوا طلب توسط " محمد باشا" ، ولما عرضوا عليه رأيهم رفض.

فطلبوا من الشيخ[٦١٩] " أحمد العروسي" شيخ الجامع الأزهـــر، والشـــيخ " محمد المهدي" الذي بقى في زمن الفرنساوية كاتم ســـر الديـــوان- وغيرهمـــا – أن يسيروا إلى " رشيد " ويستعطفوا القبطان باشا[٦٢٠].

فركبوا من " بولاق" في زورق فاخر، ومازالوا حتى بلغوا رشيدا، فلاقـــاهم القبطان باشا بما يليق من الاحترام أما هم فلعلمهم أن الأميرين " إبراهيم ومـــراد " لا يثبتان على رأي خافوا إذا طلبوا العفو، وحصلوا عليه أن ينكثا في ذلك فتكون الملامة عليهم، فقال الشيخ العروسي: " يا مولانا إن رعية مصر ضعفاء، وبيـــوت الأمـــراء مختلطة ببيوت الناس" [ص/١٨٧] فقال الباشا " لا تخشوا بأسا، فأن أول ما أوصـــاني به مولانا السلطان هو قوله " إن الرعية وديعة الله عندي وأنا استودعك ما أودعنيـــه الله تعالى". فدعوا له بطول العمر ثم قال لهم: " كيف ترضون أن يملككـــم مملوكـــان كافران يسومانكم سوء العذاب، لماذا لا تخرجونهما من دياركم؟ " فأجابه أحدهم بقوله " يا سلطانم[٦٢١] هؤلاء عصبة شديدو البأس لا نقوى على دفعهم" . فطيب خـــاطرهم ووعدهم بالحماية. وبالحقيقة أن هذا الوفد تصرف بالحكمة لأنهم لم يكادوا يخرجـــون من حضرة القبطان حتى سمعوا بقدوم "مراد بك" ومعه عشرة من البكوات وبعـــض الكشاف والمماليك. ثم شاع أنهم نزلوا في الرحمانية عند منشأ الترعـــة المحموديـــة الإسكندرانية، وسبب ذلك أن " مراد بك" بعدما أرسل الوفد خطر له الدفاع بالســـيف، فجمع إليه ذوي شوراه، وفاوضهم، فأقروا على الدفاع وأن يسير "مراد " لذلك ويبقـــى إبراهيم للمحافظة على القاهرة.

فسار " مراد بك " بمن معه ، ونزلوا الرحمانية – كما قدمنا- فلاقتهم الجنود العثمانية، وجرت بينهما واقعة لم تطل إلا يسيرا. فانذعرت جنود المماليك من قنـــابل العثمانيين التي كانت تتدافع بين حوافر الخيل فتشتت شملهم وفاز العثمـــانيون. ففـــر مراد بك ومن معه حتى أتوا القاهرة، فاجتمعوا " بإبراهيم بك" وخرجوا جميعا إلـــى الصعيد، ومكثوا ينتظرون هجمات العثمانيين، فلما رأي " محمد باشا" الوالـــي خلـــو القاهرة من المماليك جمع إليه الوجاقات ونزل بهم مـــن القلعـــة لاســـتقبال الجنـــود العثمانية.

[ص/١٨٨] وفي شوال سنة ١٢٠٠[٦٢٢]، دخل " حسن باشا" القاهرة بعد أن أخربت جيوشه ما مروا به من المدن والقرى ونهبوها ولولاه لم يبقوا على شئ أصلا. لكنه كان يمنعهم من ذلك بالقوة، وقتل كثيرين منهم عبرة للباقين، فكفت الأيدي فسكنت الناس، فلما دخل القاهرة ، نزل في بيت " إبراهيم بك" عند قصر العيني على النيل، ثم عرض أمتعة البكوات المنهزمين للمزاد العمومي، ومن جملتها حريمهم وأولادهم ومماليكهم، فاسترحم المشائخ أن يخرج الأولاد والنساء الحوامل من معرض البيع، لأن ذلك فضلا عن مخالفته للعواطف الإنسانية، فهو مغضب لله[٦٢٣].

فانتهرهم القبطان باشا قائلا: " سأكتب إلى الآستانة بأنكم تعارضون في بيع أمتعة أعداء جلالة السلطان " فأجابه الشيخ السادات قائلا: " قد أرسلت إلينا لمعاقبة شخصين [ص/١٨٩] وليس لهتك شرائعنا والطعن في عاداتنا فاكتب إلى الآستانة ما شئت ".

فعند ذلك أمر الباشا باستثناء المحظيات الحوامل من البيع. وبعد أن بيعت سائر الأمتعة عكف " حسن باشا في إصلاح الإدارة، فأصلحها على ما يوافق الإرادة الشاهانية.

وكان قد استقدم " إسماعيل بك" و" حسن بك الجداوي" من الصعيد ، فأرسلهما في جيش بقيادة " عابدين باشا" و" درويش باشا" قائدي الحملة العثمانية التي جاءت إلى مصر عن طريق البر - فضلا عن العمارة المتقدم ذكرها- وسار في تلك الحملة أيضا نحو ألف مقاتل من رجال الشام تحت قيادة أمير كبير من أمراء شيخي أوغلي، فاجتمعت هذه الحملة، وسارت نحو الصعيد لمحاربة مراد بك ورجاله، فحصلت هناك واقعة عظيمة سفّت عن عدة قتلى من الجانبين،وانهزم " مراد بك " ورجاله إلى الشلالات، ورجعت الجنود العثمانية ظافرة إلى القاهرة. ثم جاءت الأوامر الشاهانية بعزل " محمد باشا" وتولية " عابدين باشا" [٦٢٤].

وهنا تنتهي مهمة " حسن قبطان باشا ". فاستدعى إلى الآستانة بسبب الحرب مع روسيا، ولكن مصر لم تنج من البكوات، وكانوا لا يزالون في مصر العليا كما رأيت، والمسيحيون يشكون من معاملة " حسن باشا" بأنه أخذ متاعهم وباعه على مشهد من الناس فضلا عن الإهانة التي سامهم إياها، وعلى الخصوص المعلم

"إبراهيم الجوهري" أمير احتساب مصر فإنهم قبضوا على امرأته وأمروها أن تخبرهم بمخابئ زوجها من النقود، فأخبرتهم، فاستخرجوها، وأخذوها.

ولما برح " حسن باشا " القاهرة، أقام عليها " إسماعيل بك" شيخ البلد [ص/١٩٠]، فعهد هذا إلى صديقه " حسن بك الجداوي" إمارة الحج واتفقا معا على اقتسام الإيراد.

في سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٩م) توفي السلطان " عبد الحميد الأول" وهذه صورة نقوده (٦٢٥).

سلطنة سليم الثالث

من سنة ١٢٠٣-١٢١٣هـ-

أو من ١٧٨٩-١٧٩٨

هو ابن السلطان مصطفى الثالث، تولى السلطنة وسنه ٢٨سنة، ووجه السياسة بظلم والدولة متضعضعة، فبذل جهده في الإصلاح، ولكن اليأس كان قد استولى على الجنود وضعفت عزائمهم.

وفي سنة ١٢٠٥(١٧٩١م) طرأ على القاهرة وسائر القطر المصري وباء شديد الوطأة لم تقاس قبله مثله، حتى بلغ عدد الموتي نحو الألف في اليوم بالقاهرة وحدها. وتقلب على حكومتهم في يوم واحد ثلاثة حكام. وسبب ذلك، أن " إسماعيل بك " أصيب بالوباء ، فأقيم آخر مكانه، فآخر حتى فني كل من كان من بيت " إسماعيل بك" إلا واحدا يدعى " عثمان بك الطبل" ولا يزال هذا الوباء مشهورا بفتكه المعروف بطاعون إسماعيل [ص/١٩١] فتولى " عثمان بك الطبل" المذكور مشيخة البلد، ولم يكن قادرا على إدارة الأعمال التي عهدت إليه فاستدعى " إبراهيم بك" و"مراد بك" فدخلا القاهرة في ٢١القعدة من تلك السنة ، ففر " حسن الجداوي" إلى مصر العليا قانطا. (٦٢٦)

فاستلم " إبراهيم " و" مراد" أزمة الأحكام، وجعلا يعيثان فيها وكانا يتناوبان مشيخة البلد وإمارة الحج سنويا بعد أن أفنيا كل من كان على غير دعوتهما. فصفا الجو لهما، أما قلباهما [ص/١٩٢] فكانا لا يخلوان من الضغائن المتبادلة لما طبع عليه كل منهما من الحب الذاتي. وقد اختلفا في الطباع والمناسب. كان " مراد بك"

شديد البطش مقداما لا يهاب الموت، وكان " إبراهيم بك " أكبر سنا، وأكثر اختبارا، ربعا ضخم القامة، حسن الطلعة، حاد البصر، وكان يتربص لمراد محاذرا بطشه لئلا يطلبه للنزال، ولولا ذلك لم يرض معه بالاجتزاء من الدخل على السواء، وكان لا يعارضه في ما يأتيه من الاستبداد ، ووضع الضرائب ، وسلب أموال الناس، لأنه شريكه في الأرباح الناتجة عن ذلك. وكان في إبراهيم رياء، يظهر غير ما يضمر. إذا استصرخ وعد مع العزم على الإخلاف. وكان جبانا، فإذا أراد أمرا لا يتظاهر به، وإنما يسعى إليه بالدسائس والمكايد.

أما " مراد بك" فلم يكن يعرف الكر وإنما كان يسعى في أغراضه بالقوة والحزم، وكان طويل القامة، عضلى البنية، شديد البأس، يقطع عنق الثور بضربة من سيفه وعلى وجهه ملامح الأسود، فإذا غضب يهابه ويخاف منه كل من يراه، حتى أحب أصدقائه ، وكان كريم النفس، لا يبيت على غيظ، حر الضمير لا ينكر الحق، ولو كان عليه ، مخلصا لأصحابه، مقيما على قوله وكان طمعه بمقدار سخائه. وحبه لذاته بمقدار حرية مبادئه وصراحته. وكان سريع الغضب لا يراعي في حال غضبه أمرا من الأمور وربما فتك بمصلحة نفسه.

وألم بالبلاد بعد عود هذين الأميرين إلى "مصر" جوع هائل، ويقال إنه جعل من كثرة ما ضبطاه من الحبوب في مصر العليا طمعا بالكسب ، ثم ألغيا النظامات التي وضعها " حسن باشا قبطان" [ص/١٩٣] وأبدلاها بما يوافق مطامعهما الشخصية. فكثرت تعديات مماليكهما، وعلى الخصوص تعديات " أحمد محمد الألفي" ، فثار الأهلون ثورة عامة لم يسعهما معها إلا توقيف تلك الإجراءات وقتيا، فخمدت الثورة. فعادا إلى ما كانا عليه فعاد الناس إلى الاضطراب، وكسدت سوق التجارة لقلة الأمنية، وضربا على التجار الأجانب في الإسكندرية ضرائب فاحشة، فرفعوا شكواهم إلى قناصلهم، فلم تكن النتيجة إلا زيادة الاضطهاد.

كل ذلك كان يجري والسلطان " سليم الثالث" يعلم بذلك وهو من أرغب السلاطين بالإصلاح، ولكنه غلب على أمره، وفي أيامه وهذه حالة مصر، حمل عليها بونابرت سنة ١١٢٣هـ أو ١٧٩٨م، واحتلها ، وهو آخر المراد بسطه من تاريخ العثمانيين بمصر في هذا الكتاب[٦٢٧].

[ص/ ١٩٤] العلم والأدب
ومشاهير العلماء والأدباء بمصر
في الأدوار الثاني والثالث والرابع من
العصر العثماني
من سنة ١١١٥-١٢١٣هـ
(١٧٠٣-١٧٩٨م)

إن الاضطرابات السياسية ، واختلال الداخلية في الأدوار الثلاثة الأخيرة، وقفت من سيل القرائح، وشغلت الناس عن العلم والأدب، ومع ذلك فقد ظهر في هذه الفترة جماعة من الشعراء والأدباء والفقهاء ونحوهم. هاك أشهرهم:

١- الشعراء

١- الحسن البدري الحجازي الأزهري:

توفي سنة ١١٣١هـ (١١٧٩م) ، وكان شاعرا عاما تعلم في الأزهر، ومال إلى الانزواء للمطالعة والنظم، وله فيه طريقة حسنة، وقد نظم أرجوزة في التصوف نحو ألف وخمسمائة بيت على طريقة الصارح والباغم، ضمنهما أمثالا وحكايات ونكات، وله ديوان على حروف المعجم سماه: " تنبيه الأفكار للنافع والضار"[٦٢٨]، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وفي شعره صبغة عامية وسهولة يرضاها العامة. وفيها نصائح لهم ولسائر الناس، ومن أمثلة ذلك قصيدة بائية قال فيها:

أخي فطنا كن ، واحذر الناس جملة ... ولا تك مغرور الظنون الكواذب
فكم من فتى يرضيك ظاهر أمره ... وفي باطن يرتاغ[٦٢٩] روغ الثعالب
إذا بك يلقى ظافرا كان كافرا ... يذيقك نكر النكر من كل جانب
[ص/١٩٥] ولا سيما نوع الأقارب إنهم ... عقابك في الدنيا وعقر العقارب
إذا كنت في خير تمنوا لك الردى ... لإرثك ميتا أو لنهبة ناهب
وإن كنت ذا فقر فأنت لديهم ... أخس خسيس من أخس الأكالب
فلا تك للطلاب للإرث تاركا ... طلابا سوى خيبات طلبة طالب[٦٣٠]

ونحو ذلك ما تلقى معاينة للجمهور.

٢- " عبد الله بن محمد بن عامر بن شرف الدين الشبراوي الأزهري" :

أحد أساتذة الأزهر ، توفي١١٣٢[٦٣١]، له:

١- " ديوان منائح الألطاف في مدائح الأشراف" ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وفي مكاتب برلين وغوطا وباريس وقد طبع في بولاق ومصر مرارا. ٢- وكتاب الإستفهاءه الشبراوية، منها نسخة في المكتبة الخديوية.٣- عروس الآداب وفرجة الباب، منه نسخة في مكتبة ليدن. ٤- " عنوان البيان وبستان الأذهان " طبع في القاهرة مرارا. ٥- " نزهة الأبصار في رقائق الأشعار" في مكتبة باريس. ٦- " حمل زجل" ، طبع في القاهرة. ٧- أسنى المطالب لدراية الطالب، في مكتبة برلين. ٨- " نظم أسماء بحور الشعر" في المكتبة الخديوية. ٩- "الاتحاف بحب الأشراف"[٦٣٢] في مكتبة باريس. ١٠- "شرح الدر بغرة البدر"[٦٣٣]، في المكتبة الخديوية وطبع في القاهرة سنة ١٢٠٣هـ [٦٣٤]

٣- "عبد الله الإدكاوي المصري":

نسبة إلى إدكو قرب رشيد [ص/١٩٦] وقد اشتهر " بالمؤذن" ، توفي سنة ١١٨٤هـ (١٧٧٠م) . تقرب من نقيب الأشراف في عصره، فأكرمه وأدناه، ولما مات النقيب، تزوج وتغيرت حاله، فلازم الشيخ الشبراوي، ومدحه، وكان يحترمه. ومن مؤلفاته:

١- "بضاعة الأريب في شعر الغريب" وهو مجموعة من شعره ذيلها بذيل يحكي دمية القصر[٦٣٥]، منها نسخة خطية في مكتبة باريس. ٢- " الدر المنتظم في الشعر الملتزم". ٣- " الفوائح الجنائية في المدائح الرضوانية"[٦٣٦] ٣- " الدر الثمين في محاسن التضمين " في المكتبة الخديوية. ٤- هداية المتوهمين في كذب المنجمين"[٦٣٧] طعن فيه على أهل النجامة، ومنه نسخة خطية في مكتبة غوطا[٦٣٨].

٥- " المقامة القزية في المجون" [٦٣٩].

وكان حسن الخط، نسخ عدة كتب وله مفارقات ليفة مع شعراء العصر الواردين على مصر ومن مليح شعره، قوله يدعو إلى نبذ التقيد بالقديم:

كن للمعاصر خير ناصر	كم للأوائل من مفاخر
لا تحقرن جديدهم	كم في جديدهم جواهر
ودع التعصب للأوا	ئل يافتى أو للأواخر
من كان منهم مبدعا	فاعقد عليه من الخناجر[٦٤٠]

٢- علماء اللغة

واشتهر من علماء اللغة في هذا العصر:

١- " إبراهيم بن مصطفى الحلبي المدارسي" توفى سنة ١١٩٠ (١٧٧٦م)، وقد تعلم في مصر ودمشق. وأخذ التصوف عن " عبد الغني النابلسي" الشهير، ثم عاد إلى القاهرة، وتعين معيدا لعلي الضرير، وسافر إلى " الأستانة" وتعرف هناك [ص/١٩٧] إلى " محمد باشا" الوزير المعروف " بالراغب فتعرف به وقرأ عليه. واجتمع بشيخ الإسلام هناك " عبد الله" الشهير " بالإيراني" وكان إذ ذاك قاضي العسكر ، فصار عنده مفتشا ومميزا، وقرأ عليه علماء الروم، ومازال يرتقي حتى توفي هناك، وأكثر علماء الأزهر في زمانه من تلامذته. ومن آثاره الباقية كتاب " الحلة الضافية في علمي العروض والقافية" منها نسخة في المكتبة الخديوية، و" تحفة الأخبار على الدر المختار" فيها[٦٤١].

٢- " السيد محمد تقي الحسين الزبيدي " الفقيه[٦٤٢]اللغوي النحوي الأصولى الناظم الناثر صاحب تاج العروس في شرح القاموس، توفي سنة ب١٢٠٥ (١٧٩١م) ولد في زبيد، ونشأ هناك ، ثم رحل في طلب العلم وجاء مصر سنة ١١٦٧(١٧٣٣م) ، وحضر دروس أشياخ زمانه، وما لبث أن ظهر فضله عند الخاص والعام وارتقت حاله، فلبس الملابس الفاخرة، وركب الخيول المسومة، واشتغل بعلوم أهملها أسلافه كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث، وألف من نلك كتبا ومنظومات، وكان مظهره مخالفا في زيه وحاله لعلماء عصره، ويعرف اللغة التركية والفارسية وبعض لغة الكرج وكان الوجهاء يتسابقون إلى دعوته والإيلام له وإلى مجالسته ومحادثته. وزادت منزلته على الخصوص لما فرغ من كتابه " تاج العروس" وهو أشهر مؤلفاته، وفي شهرته ما يغني عن وصفه، فإنه يدخل في عشرة مجلدات طبع في " القاهرة " سنة ١٣٠٦، وفي صدره مقدمة نفيسة في اللغة ومراتب اللغويين، وأول من ألف في اللغة وترجمة الفيروز ابادي وغير نلك، وله كتاب " نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقداح" منه نسخة خطية في " برلين" وله كتب أخرى[٦٤٣].

٣- " موسى بن أحمد البيلى العدوي المالكي" كان شيخ رواق الصعايدة [ص/١٩٨] بالأزهر، توفي سنة ١٢١٨ (١٨٠٣) ، وله من المؤلفات المنح المتكفلة

بحل ألفاظ القصيدة العربية الموسومة بمورد الظمآن في صناعات البيان وهي مشروحة ومنها نسخة خطية في مكتبة "برلين" وكتاب " فائدة الورد في الكلام على أما بعد" منه نسخة في المكتبة الخديوية، وفيها أيضا له " البشارة لقارئ الفاتحة" ومنظومة في الصرف.

٣- المؤرخون

١- "إبراهيم بن أحمد أفندي الخطاط شاهزاده" [٦٤٤] كتب نحو سنة ١١٣٣ (١٧٢١م)، له كتاب " مبدأ العجائب بما جاء في مصر من المصائب" منه نسخة في المكتبة الخديوية[٦٤٥].

٢- " الأمير كتخده الدمرداش عزبان" [٦٤٦]، توفي سنة ١١٦٩(١٧٥٥م) وله كتاب الدرة المصانة في أخبار الكنانة بلغة العامة ومنه نسخة خطية في مكتبة غوطا ومنشن والمتحف البريطاني.

٣- " عبد الرحمن بن الحسن بن عمر أبي اللطائف الأجهوري المالكي المغربي" " سبط القطب الحديدي" ، تعلم في " القاهرة وتعين أستاذا في الأزهر وفي السنانية ببولاق، وتوفي سنة ١١٩٨ (١٧٨٤م) وله كتاب " مشارق الأنوار في أهل البيت الأخيار" منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية[٦٤٧].

٤- الفقهاء ونحوهم

الفقه المالكي

١- " ناصر الدين النشرتي المالكي" من أساتذة الأزهر:

توفي سنة ١١٢٠هـ (١٧٠٨م)، له كتاب " الأنوار الواضحة في السلام والمصافحة" في المكتبة الخديوية.

٢- " شمس الدين الزرقاني المالكي" :

توفي سنة ١١٢٢هـ (١٧١٠م) ، وله كتاب [ص/ ١٩٩] " وصول الأماني بأصول التهاني"، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية، وله شرح الموطأ، وشرح المواهب اللدونية للقسطلاني.

٣- أبو الحسن الصاعدي[٦٤٨] العدوي المالكي":

من أساتذة الفقه المالكي، توفي سنة ١١٨٩هـ (١٧٧٥م) ، له رسالة فيما تفعله فرقة " المطاوعة من المتسوفة من البدع في المكتبة الخديوية، وله عدة حواشي على كتب فقهية.

الفقه الشافعي

١- " شمس الدين البديري الدمياطي" :

درس في دمياط وفي الأزهر ومكة، وتوفي سنة ١١٤٠(١٧٢٧م) وله " إرشاد العمال" إلى ما ينبغي في يوم عاشوراء وغيره من الأعمال، منه نسخة في المكتبة الخديوية. وكذلك كتاب بلغة المراد في التحذير من الافتتان بالأموال والأولاد. وله كتاب تحرير الإفهام في كيفية توريث ذوي الأرحام منه نسخة في مكتبة بطرسبورج.

٢- " أحمد بن عمر الديربي الشافعي الأزهري":

توفي سنة ١١٥١هـ (١٧٣٨م) ، له كتاب " غاية المقصود لمن يتعاطى العقود" منه نسخة في الكتبة الخديوية، وفي مكتبة برلين ، وطبع في بولاق سنة ١٢٩٧. وكتاب " غاية المرام في ما يتعلق بانكماش الأنام"[٦٤٩]، في المكتبة الخديوية، وكذلك كتاب" فتح الملك الجواد لتسهيل قسمة التركات على بعض العباد" ، وكتاب المجربات[٦٥٠] طبع في القاهرة.

٣- "الحسين بن أحمد المحلى" :

توفي سنة ١١٧٠(١٧٥٦م) ، له كشف اللثام عن أسئلة الأنام منه نسخة في المكتبة الخديوية[٦٥١].

٤- " نجم الدين محمد بن سليم الشافعي المصري الحفني الحسيني" في حفنة قرب بلبيس ، درس في القاهرة ، ودخل طريقة الخلوتية الرائجة في تلك الأيام [ص/ ٢٠٠] وتوفي سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧م) ، وله : " الثمرة البهية في اسماء الصحابة البدرية " وذكر أسماء أهل بدر . وعدة رسائل في أمثال ذلك ، منه نسخة في المكتبة الخديوية.

وهناك طائفة كبيرة من الفقهاء الشافعية نبغوا في ذلك العصر بمصر منهم:

- " عيسى بن أحمد البراوي "[٦٥٢]، توفي سنة ١١٨٢ (١٧٦٨م). و"أحمد السجاعي "[٦٥٣] سنة ١١٩٠(١٧٧٦م) وله مؤلفات كثيرة أكثرها موجودة في المكتبة الخديوية. و" حسن الكفراوي" من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١٢٠٢(١٧٨٨) فضلا عن فقهاء الحنابلة والشيعة ومن هؤلاء. " أبو السعود أحمد بن عمر بن السقاطي"[٦٥٤]، توفي سنة ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) في القاهرة، وله كتب في القراءات، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية. و" الحسن بن على الأزهري المنطاوي المدابغي" من أساتذة الأزهر، توفي سنة ١١٧٠،(١٧٥٦م) ، وله كتاب "إتحاف فضلاء الأمة المحمدية ببيان جمع القراءات السبع من طريق التيسير" في المكتبة الخديوية، وكتاب في مولد النبي ، فيها أيضا.

٤- المتصوفة

وهناك طائفة من المتصوفة نبغت في مصر بذلك العصر منهم:

- " على بن محمد المصري" المتوفي سنة ١١٢٧هـ (١٧١٥م) وله تعاليق وشروح[٦٥٥].

- و" على بن حجازي البيومي الدمرداشي" توفي سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩م)، وله كتاب في الطريقة الدمرداشية منها نسخة في برلين. وكتاب" الأسرار الخفية" منه نسخة في المكتبة الخديوية. ورسائل عديدة، بعضها موجود في المكتبة المذكورة.

ومن مشاهير الصوفية وكبارهم: الشيخ " عبد الرحمن العيدروسي" أصله من بلاد اليمن، ولد في ثريم، وتنقل في بلاد اليمن وغيرها في تاريخ طويل حتى استقر له المقام في القاهرة، واشتهر فيها ، وقصده الطلاب حتى توفي سنة ١١٩٢هـ (١٧٧٨م)، وهو من أساتذة الشيخ " عبد الحمن الجبرتي" صاحب التاريخ المشهور، وقد [ص/٢٠١] ترجمه مطولا، وله مؤلفات تزيد على بضعة عشر منها. ١- "النفحة العيدروسية في الطريقة النقشبندية" منها نسخة في برلين. ٢- " النفحة المدنية في الأذكار القلبية والروحية والسرية" منها نسخة في المكتبة الخديوية. ٣- "طائف الجود في مسألة وحدة الوجود" ، منها نسخة في برلين. ٤- " العرف الوردي في دلائل المهدي"، فيها. ٥- " اتحاف الخليل بالمشرب الجليل الجميل" ، في المكتبة الخديوية. وله عدة رسائل وقصائد ، منها في هذه المكتبة وغيرها[٦٥٦]

- و" محمد بن حسن بن محمد السمنودي الأزهري جمال الدين" تثقف في الأزهر، ودخل الطريقة الخلوتية. ثم تولى قراءة القرآن بالقاهرة[٦٥٧]، وتوفي سنة ١١٩٩هـ (١٧٨٥م)، وله " تحفة السالكين ودلالات السائرين منهج المرقبين[٦٥٨]، طبعت بمصر سنة ١٢٨٧هـ (١٨٧٠م).

- وأبو البركات أحمد بن محمد الدردير المالكي العدوي الأزهري الخلوتي": تعلم في الأزهر ، ثم صار ناظر وقف الصعايدة وشيخ الرواق وتوفي سنة ١٢٠١ (١٧٨٦م) ، وله عدة كتب منها.

- " الخريدة البهية في القصائد التوحيدية"، طبع في الإسكندرية سنة ١١٨١[٦٥٩]، وتحفة الإخوان في بيان تاريخ أهل العرفان"، طبع بالقاهرة سنة ١٢٨١(١٨٦٤م)، وكتب أخرى موجودة خطا في المكتبة الخديوية وغيرها.

ومنهم " سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري الجمال"[٦٦٠] المتوفي سنة ١٢٠٢هـ (١٧٩٠م).

ونبغ غير واحد في علم النجوم أو النجامة منهم:

- " حسن بن إبراهيم الزيلعي الجبرتي" من أسرة الجبرتي المؤرخ، كان أستاذا في القاهرة، توفي سنة ١١٨٨(١٧٧٤م)، وله عدة مؤلفات ورسائل في هذه الفنون يمكن الاطلاع عليها من المكتبة الخديوية[٦٦١].

ونبغ من الأطباء: المؤلفين " أحمد بن عبد المؤمن[٦٦٢] الدمنهوري" المتوفي [ص/٢٠٢] سنة ١١٩٢(١٧٧٨م)، كان أستاذا في الأزهر ، وله مؤلفات عديدة في أكثر الفنون تجد أكثرها في المكتبة الخديوية.[٦٦٣]

ولو أردنا تعداد المشاهير في ذلك العصر لضاق المقام وإنما أردنا إيراد الأمثلة لحالة تلك الأيام الأدبية والعلمية وقد رأيت أنها في حالة الانحطاط، لأن ما تقدم ذكره من المؤلفات العديدة قل فيه المستنبط أو الوافي . ولعل هذا العصر أحط عصور التمدن الإسلامي.

ويلاحظ في لغة ذلك العصر، أن الإنشاء انحط إلى أقصى درجاته حتى صار أقرب إلى لغة العامة وانحطاط اللغة تابع لانحطاط نفوس أهلها، ومن أشهر أمثلة إنشاء ذلك العصر تاريخ " الجبرتي" وتاريخ " ابن إياس" . أما كتب الفقه،

فيرجع إجماليها إلى المصطلحات الفقهية وهي قلما تتغير مع الوقت، وأكثر ما كتب في تلك الفترة، إنما هو من قبيل التقليد أو التلخيص أو الشرح أو التعليق.

وقد رأيت أن أكثر المؤلفات في علوم الدين الإسلام، لأن العلم انحصر يومئذ في الأزهر تقريبا. فإن أكثر طلابه من الفقهاء، إلا من كان فيه ميل خصوصي لعلوم أخرى، مع أن أوربا كانت قد أفاقت من غفلتها وأخذت في تأسيس العلوم الحديثة. ولم يبلغ خبر ذلك إلى مصر إلا على يد الحملة الفرنساوية سنة ١٧٩٨، فإنها أتت معها بحملة علمية ، فضلا عن الحملة العسكرية، فبهر العقلاء من أحوالهم وإن لم يأخذوا عنهم شيئا. وإنما ترى ذلك الفضل للأسرة المحمدية العلوية وأول من أخذ من هذه النهضة " محمد على باشا" مؤسس هذه الأسرة العلية.

[ص/ ٢٠٣] الحالة الاجتماعية والاقتصادية

أما الهيئة الاجتماعية في ذلك العصر، فإنها تختلف عما نحن فيه الآن اختلافا كبيرا، فإنهم لم يكونوا يدركون ما ندركه نحن من لفظ الوطن والاستقلال والدستور والحرية الشخصية، وحقوق الفرد، وحقوق الجماعة. وإنما كانت الأمة مؤلفة من الحكام أصحاب الأمر والنهي والسطوة والنفوذ، والشعب وما عليه إلا الطاعة وتحمل المصائب بالصبر، فإن أحدهم كان إذا نهض من فراشه خرج من بيته وهو لا يدري ما يلقاه من أنوع المظالم أو ضروب الإهانة إذا كان له فرس أو بغل أو دابة كانت عرضة للسخرة بأمر الحاكم أو بعض رجاله.

وناهيك بالضرائب المتوالية التي لا يسأل ضاربها ولا ينجو أحد من دفعها مرة أو غير. راضيا أو غاضبا، حتى نسائهم وأولادهم إنهم لم يكونوا آمنين عليهم من السطو والنهب.

فالأمة التي حالها من الضنك والذل والظلم لا غرو إذا ظلمت فيها المرأة وصارت كالأمة لأن ظلمها تابع لظلم الحكام، فإن الرجل يقضي نهاره مظلوما لا يستطيع ردا ولا دفاعا أو انتقاما، فإذا أتي بيته تشبه بحكامه لأنه في عائلته كالأمير في بلده، يأمر وينهي فيعامل أهله كما عومل. وبذلك كانت المرأة تظلم وتنحط في عهد الحكومة الاستبدادية الظالمة[٦٦٤] ولا غرو إذا انصرف أولئك المظلومون من الرجال إلى تسلية أنفسهم، وتصريف تغيظهم بالمشروبات الروحية أو تدخينها

المخدرات كالحشيش ونحوه. ولذلك كثر تناول هذا العقار في تلك الأثناء يخدر الناس أعصابهم وينسوا حالهم(٦٦٥).

[ص/٢٠٤] الزراعة

وطبيعي أن يرافق ذلك الانحطاط السياسي والعلمي، انحطاط اجتماعي واقتصادي، فتناقص عدد السكان في أواخر ذلك العصر حتى أصبح أقل من ٢,٠٠٠,٠٠٠ نفس في القطر المصري أعلاه وأسفله، وتناقصت البقاع المزروعة في وادي النيل حتى نقصت عن مليون فدان وبعض المليون. والأرض يومئذ ملك الحكومة وليس للناس إلا أن يتمتعوا بريعها وللحكومة حصة من ذلك الريع في مقابل حمايتها أو إصلاح شئونها وهو الخراج. على أن فساد الأحكام في عهد المماليك شغل الناس عن الزراعة فقلت الجباية فتعسر حالها، والحكام في ذلك العهد إنما يلتمسون السلطة طمعا بالمال، فعمدوا إلى طريقة " الالتزام" وهو تضمين الخراج لأناس يتولون جمعه عن الحكومة، ويشاركونها في نفوذها ، فلا يزيدون الأهالي إلا ضغطا وعسفا.

وذلك أن الحكومة كانت تعرض خراج البلاد بالمزايدة لمن يضمنه من أهل النفوذ، فيضمن أحدهم بلدا أو بضعة بلاد، فإذا وقع عليه المزاد أعطاه كبير المماليك " شيخ البلد" عهدا بذلك يسمونه تقسيط ويصحبونه بأمر يسمونه" فايك". وهو عبارة عن خطاب من الحكومة إلى أهالي البلد الواقع فيها التزام ذلك الملتزم، توصيهم فيه أن يطيعوا الملتزم ويؤدوا له الخراج. والملتزم يدفع للخزينة في مقابل ذلك مال سنة معجلا، ويقوم مقام الحكومة في السيادة والإمارة في البلاد الداخلية في التزامه. وله عدا ذلك بقعة من الأرض يستغلها بنفسه، لا يدفع عنها شيئا وتسمى " أوسيه" " جمعها أواسي" وعلى الأهالي أن يحرثوها له ويزرعوها ويحملوا إليه غلاتها بلا أجرة فضلا عن منافع أخرى.

[ص/٢٠٥] وكان الالتزام في بادئ الرأي لمدة محدودة، ثم جعلوه لمدى العمر فلا ترجع الأرض للحكومة إلا بعد وفاة الملتزم، فكان الانتفاع بغلة الأرض مقسوما بين الحكومة والملتزمين، والفلاح عبد رق يعمل بقوته ويشقى بعمله، فهل يلام إذا قعد به القنوط من العمل أو حمله الخوف على الفرار؟

التجارة

أما التجارة فكانت في زمن المماليك ضعيفة جدا، لأنها لا تنمو إلا في ظل الأمن والعدل. فكانت قاصرة على بعض ما يحمل من محصولات هذه البلاد إلى " أوربا" وأهمها الحبوب والسكر والرز، وما يمر بها من واردات السودان كالصمغ والعاج والريش ونحو ذلك . وبعض ما يحمل إليها من المصنوعات الإفرنجية من " إيطاليا" و" فرنسا" و" ألمانيا" وغيرها.

ذكر " فولني" الرحالة الفرنساوي في رحلته إلى " مصر" أواخر القرن الثامن عشر أن تجارة " مصر " كان معظمها في أيدي السوريين المسيحيين ثم أهل البندقية والإنكليز والفرنساويين. وكانت الجمارك يومئذ " بالإسكندرية" و" رشيد" و" دمياط" [٥٦٦] و" السويس" و" القصير" وفي " بولاق" و" مصر القديمة" [٥٦٧]. وكانت الحكومة تضمن [٥٦٨] دخل هذه الجمارك كما كانت تضمن خراج الأرض. والغالب أن يضمنها بعض اليهود. فلما أفضت مصر إلى " على بك الكبير" المتقدم ذكره تحولت ضمانة الجمارك إلى أيدى السوريين، ولم يكن منهم يومئذ في مصر إلا عائلات قليلة من أهل دمشق وكانوا يتعاطون التجارة فيها.

على أن الجمارك كثيرا ما كان يتولى شؤونها أمراء المماليك أنفسهم وخصوصا في أواخر القرن الثامن عشر. إن " إبراهيم بك" [ص/٢٠٦] و " مراد بك " اقتسما الانتفاع بها، فاختص " إبراهيم " بجمرك السويس وعهد به إلى عمال يديرونه بالنيابة عنه، واستولى " مراد " على سائر الجمارك فضمنها بعض أهل الوجاهة، وكانت إيرادات الجمارك نحو مليون ريال أبو طاقية[٦٦٩] أو نحو ١٢٠,٠٠٠جنيه أكثرها [٦٧٠] تجمع من جمرك السويس.

النقود المصرية

وقد تقدم الكلام عن حل [٦٧١] النقود المصرية أواسط العصر العثماني وهي الانصاف [٦٧٢] والبندقي والزر محبوب في آخر القرن الثاني عشر للهجرة كان الدينار يساوي ١١٠أنصاف، والبندقي ٢٢٥نصفا، والبلنتو ٤٠٠نصف. فكانت الأنصاف تقل قيمتها بتوالي الأعوام مع بقاء قيمة الذهب على حالها تقريبا، فالدينار كان يساوي سنة ١١٩٣هـ ١١٠ أنصافا مثلا، فصار يبدل بعد عشر سنين بنحو

١٥٠ نصفا، وهكذا ، وكانت أسعار الأشياء التي تقد بالأنصاف ترتفع كل سنة عما قبلها ارتفاعا تدريجيا، ولم يكن ارتفاعها من توفر الثروة كما حدث لهذا العهد، وإنما كان سببه تلاعب رجال الحكومة بالنقود الفضية وغشها، فإذا رخصت قلت النقود وظهرت المبيعات غالية، وهاك مثالا على ذلك بأثمان أهم المأكولات في أول القرن الثالث عشر للهجرة إلى سنة ١٢١٩ (١٨٠٤م) باعتبار الأنصاف من كل رطل:

سنة	اللبن	الضأن	الصابون	المسلى	القمح بالأردب
١٢٠٤	٣٦	٧ ٢/١	١٢	١٨	٢٠٠
١٢٠٩	٣٨	٨	١٨	٢٠	٤٠٠
١٢١٦	٥٠	٨ ٢/١	١٨	٢٥	٨٠٠
١٢١٩	٧٠	..	٢٤	٣٦	١٦٠٠

[ص/٢٠٧] فيتبادر إلى الذهن لأول وهلة أن الغلاء سائر على سنة طبيعية بالتدريج. والواقع أن الأشياء لم ترتفع أسعارها إلا بالنظر إلى الفضة. أما بالنظر إلى الذهب فظلت باقية على حالها تقريبا، وكثيرا ما كان أولو الأمر والأغنياء يرجون الأموال الكثيرة في تبديل النقود.

فلما استتب الأمر " لمحمد علي" (٦٧٣) شاع استعمال القرش (٦٧٤) وهو ألماني الأصل، وكان سنة ١٢٣٠هـ (١٨١٥م) يساوي ٤٠نصفا ثم أصاب القروش بتوالي الأعوام ما أصاب الأنصاف على الكيفية المبينة في الجدول الآتي. وهي أسعار النقود الذهبية المعروفة يومئذ بالقروش المصرية من سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤م) إلى ١٢٨٦ (١٨٦٩م).

سنة	الجنيه الإفرنجي	الجنيه المصري	البينو	المجر	الجنيه المجري	البندقي
١٢٥٠١	٥٣	..	..	٤٤	..	٤٥
١٢٥٦	١٠٠	١٠٣	..	٤٧	..	٤٩
١٢٦١	١٠٣	١٠٥	٧٧	٤٧	..	٥٠
١٢٧٠	١١٤	١١٧	٩٠	٥٤	١٠٥	٥٦
١٢٧٧	١٤٧	١٥٠	١١٦	٧٦	١٣١	٧٢
١٢٨٥	١٩٢	١٩٧	١٥٢	٩١	١٧٢	..
١٢٨٦	١٩٩	٢٠٣	١٥٨	٩٥	١٧٩	..

فنرى في ذلك أن القرش نزل سعره إلى النصف. وباعتبار الجنيه الإفرنجي إلى الربع في ٣٥ سنة. وكانت الحكومة المصرية قد أخذت في تنظيم شئونها التجارية على عهد " إسماعيل باشا" الخديوي غير أن اختلاف أسعار النقود على هذه الصورة لا يرجي منه نجاح ، فأصدرت سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) تعريفة للنقود جعلت المعاملة فيها على المناصفة، فالجنيه الإفرنجي كانت قيمته ١٩٩قرشا [ص/٢٠٨] فجعلتها١/٢ ٩٩، والمصري ٢٠٢ قرش جعلت قيمته ١/٢ ١٠١ قرش ، وقس على ذلك. ثم تنوعت الأسعار قليلا حتى وقفت على قيمتها المشهورة الآن. وهذا هو أصل المعاملة التعريفة والصاغ في مصر.

التعليم في مصر في ذلك العصر

ونختم الكلام بفذلكة في حال التعليم في ذلك العصر، فإنه كان يختلف عن تعليم هذه الأيام. ومعلوم أن التعليم في إبان التمدن الإسلامي كان محصورا بالمساجد، كما كانت مدارس النصارى محصورة في الأديرة والكنائس. وكان المسلمون يسمون التلامذة المجتمعين حول أستاذ يتلقون منه العلم " حلقة" وتفرعت العلوم بتوالي الأعوام، واتسعت دوائرها حتى أصبح العلم الواحد عدة حلقات. والغالب أن تنسب الحلقة إلى أستاذها ، فيقولون مثلا حلقة " أبي إسحاق الشيرازي" في جامع " المنصور" أو نحو ذلك.

على أن التعليم لم يكن خاصا بالمساجد، فكثيرا ما كانوا ينشئون حلقات التدريس في المارستانات أو الربط أو المنازل أو غيرها، وكان الأغنياء إذا أرادوا تعليم أولادهم، أحضروا المعلمين إلى منازلهم.

وكانت مصر في القرن الأول للهجرة ولاية من ولايات المملكة الإسلامية، تابعة للمدينة أو دمشق أو بغداد، فكان التعليم فيها ثانويا، ودخل القرن الرابع للهجرة وليس في عاصمتها إلا جامعان، جامع " عمرو" وجامع" ابن طولون" تلقى فيها العلوم الإسلامية على مذهب أهل السنة لأنها كانت تابعة للدولة العباسية. فلما تغلب الفاطميون على مصر في أواسط القرن الرابع، وانتقلوا إليها [ص/٢٠٩] وبنوا مدينة القاهرة، وأنشأوا فيها مسجدا يعلمون فيه مذهبهم " الشيعة" وظل الأزهر مدرسة شيعية طوال خلافة الفاطميين نحو ٢٠٠سنة حتى غلبهم " صلاح الدين الأيوبي" سنة

٥٦٧هـ (١١٧١م)، وكان سني المذهب ، وليس له بد من متابعة خليفة يثبتـه فـي منصبه فبايع للخليفة العباسي في بغداد، وخطب له في الأزهر. وكان " صلاح الديـن" على مذهب الإمام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير في طرق التعليم، وقبـل النـاس سلطته على أهون سبيل، ولكنه لم ير مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسـيين وهو مذهب " أبي حنيفة" ، ورأي بحكمتـه وسـداد رأيـه أن يكتسـب ولاء سـائر المسلمين، فأجاز التعليم فيه على المذاهب الأربعة . وكل مذهب يحضره أهله. فـآل ذلك إلى اتساع شهرة هذه المدرسة، وتقاطر إليها الطلاب من أربعة أقطار المسكونة، ولم يبق التعليم قاصرا فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة، ولكنه تنـاول شـيئا مـن الرياضيات والنجوم وبعض علوم الطبيعة.

وما زال ذلك شأنها في أيام الأيوبيين ومماليكهم حتى جاء السلطان "سليم العثماني" ، وفتح مصر، ثم استبد الأمراء المماليك بالحكومة، فاشـتغل النـاس عـن العلم، وكان العنصر العربي قد ضعف شأنه في سائر المملكـة الإسـلامية إلا فـي مصر، لأن مدرسة الأزهر فيها، وكانت أكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية حية بتعليم العلوم الدينية واللسانية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم، وأهملت سـواها مـن الطبيعيات والرياضيات.

ومازال الأزهر أهم مصادر التعليم في القطر المصري إلـى النهضـة الحديثة بعد إنشاء المدارس على النسق الجديد في أيام " محمد على" لتعليـم العلـوم الحديثة، كالطبيعيات والطب والهندسة وغيرها [ص/٢١٠] أما قبل هـذه النهضـة، فكانت هذه العلوم ولاسيما الطب يدرس في المارستانات أهمها فـي دولـة الأمـراء المماليك " المارستان المنصوري" في شارع النحاسين ، ولا تزال آثاره باقية هنـاك إلى الآن.

تم الكتاب ويليه الفهرس

***

فهرس الفصول لتاريخ مصر العثمانية

مقدمات تمهيدية

التاريخ الإسلامي بالنظر إلى سائر التواريخ

مصر العثمانية

الحواشي

الحواشـــــي

(١) يقصد القاموس المحيط.

(٢) ماه روز: بمعنى حساب اليوم والشهر، انظر عبد النعيم حسنين ، قاموس الفارســـية ص ١/٦١٢، دار الكتاب اللبناني، القاهرة ١٩٨٢، " وماه روزه" يعنى التاريخ. انظر حسن عميد، فرهنـــك فارســـي عميد، ص٩٠٩، مؤسسة انتشارات أمير كبير، طهران ١٣٤٢.

(٣) بحيرة بايقال: في آسيا : شرق سيبريا وشمال منغوليا (مغولستان). وهي أعمق بحيرة في العالم . مساحتها ٣٣,٠٠٠كم٢ .ونهر سلنجا، هو أهم الأنهار التي تصب فيها.شمس الديـــن ســـامي، قـــاموس الأعلام، جلد ٢، مهران مطبعة سي، استانبول ١٣٠٦، ص١٢٣٦.

(٤) جنكيز خان: مؤسس امبراطورية المغول الكبرى، اسمه تيموجين أما جنكيز خان فهو لقبه، ولـــد سنة ٥٤٩هـ (١١٥٥م)، كان والده وهو يسكي بهادر، كان في بداية أمره يرأس القبائل التـــي تـــزاول الحل والترحال على ضفاف نهر أونون في شرق منغوليا، وبعد أن بسط سلطانه على القبائل القاطنـــة شمالي صحراء غوبي بين نهر إيرتيش وجبال خنغان (في أقصى شرق منغوليا)، جمع تيموجين فـــي سنة ٦٠٢هـ (١٢٠٦م) مجلسا من رؤساء جميع القبائل، وأخبر الرؤساء بأن السماء قد أضفت عليـــه اسما جديدا هو " جنكيز خان" ومعناه " الملك الأعظم أو " ملك الملوك" ، وقد شـــرع ســـنة ٦٠٧هـــ (١٢١١م) في فتح الصين . وانطلق بعضها إلى أذربيجان وبلاد الكرج وجنوب روسيا، وكـــان القســـم الثالث يواصل إخضاع الصين والاستيلاء عليها. وفي هذه الفتوح توفي جنكيزخان في سنة ٦٢٤هـــ (١٢٢٧م) .أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجـــم الأســـر الحاكمـــة، ج٢، القـــاهرة ، ١٩٧٢، ص٤٦٥-٤٦٧.

(٥) أوكتاي وتولوي وجوجي وجغتاي: هم أبناء جنكيز خان، وقد كون هؤلاء الخانات الكبار الشـــعب الآتية:

شعبة أوكتاي: ٦٠٣-١٠٤٣هـ (١٢٠٦-١٦٣٤م) وكانت تحكم قبائل جنغاريا.

شعبة تولوي: ٦٤٦-١٠٤٣هـ (١٢٤٨-١٦٣٤م) وكانت تحكم قبائل منغوليا.

شعبة جوجي: وقد حكمت قبائل الترك بخانية القبجاق، وخانات الآق أوردو وخانات القبيلة الذهبية ومـــا تفرع عليهم جميعا من خانيات أجدرخان وقازان والقرم ثم خانات خيوه وبخاري.

شعبة جغتاي: وقد حكمت فيما وراء النهر. انظر أحمد السعيد سليمان: المرجـــع الســـابق، ج ٢، ص ٤٦٨-٤٧٦.

(٦) جنغاريا: هي المنطقة الواقعة في آسيا الوسطى والمحدودة جنوبـــا بتركســـتان الصينيـــة وغربـــا بسيبريا، وهي جزء في بلاد الصين، وكانت بها مضارب قبائل أوكتاي. وكلمة جنغاريـــا فـــي اللغـــة المغولية تعنى " ناحية اليسار" . أحمد السعيد سليمان المرجع السابق ، ص ١/٤٧٠.

(٧) الأدارسة: في المغرب الأقصى: (١٧٢-٣٦٤هـ (٧٨٨-٩٧٤م).

(٨) الفاطميون : في المغرب ومصر: ٢٧٩-٥٦٧هـ(٩١٠-١١٣٧م).

(٩) الملثمون: في المغرب ومصر: ٤٦٢-٥٤٢هـ (١٠٧٠-١١٤٧م).

(١٠) المرابطون: في المغرب الأقصى وجزء من الجزائر وفي تونس: ٤٤٨-٥٤١هـ (١٠٥٦-١١٤٧م).

(١١) الموحدون: في المغرب: ٥٢٤- ٦٦٨هـ (١١٣٠-١٢٦٩م).

(١٢) آل زيري: في تونس : ٣٦٢-٥٤٣هـ (٩٧٢-١١٤٨م).وفي غرناطة : ٤٠٣-٤٨٣هـ (١٠١٢-١٠٩٠م).

(١٣) كافور الإخشيدي: وفي المصادر العثمانية يسمى كافور الأسود، حكم مصر تابعا للخلافة العباسية من سنة ٣٥٥هـ إلى ٣٥٧هـ .شمس الدين سامي، المرجع السابق، ص ٨٠٤.

(١٤) كتب المؤلف مخطوطه هذا عام ١٩١١م= ١٣٢٩/١٣٣٠هـ

(١٥) الفتح : اصطلاح إسلامي بمعنى أخذ بلد أو منطقة سلما أو عنوة . انظر عمر نصوحي، قاموس الشريعة الإسلامية والمصطلحات الفقهية، جـ ٣ص ٢٣٦، دار بيلمان، استانبول بدون تاريخ.

(١٦) الصحيح سنة ٢٠هـ، فالثابت أن فتوح مصر بقيادة عمرو بن العاص كانت في المحرم سنة ٢٠هـ (ديسمبر ٦٤٠م).وليس كما ذكر المؤلف . انظر ابن عبد الحكم : كتاب فتوح مصر وأخبارها ص ٨٠، ليدن ، ١٩٢٠م، ومحمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية ص١٠،القاهرة، مطبعة بولاق، ١٣١٠هـ.

(١٧) الصحيح سنة ٩٣٥م، فقد تسلم ابن طغج الإخشيدي أمر مصر في ٢٥من رمضان سنة ٣٢٣هـ (٢٨من أغسطس سنة ٩٣٥م) بعد أن تغلب على ابن كيغلغ. محمد مختار باشا: المرجع السابق، ص ١٦٢، أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٩.

(١٨) هكذا في الأصل وهو خطأ، أما الصحيح فهو سنة ٦٤٨هـ.

(١٩) هكذا في الأصل، والمقصود " سيطرة الحكم الفرنساوي".

(٢٠) قد يقصد المؤلف هنا بأظلم أقسام التاريخ، قلة من كتب في هذه الحقبة من مؤرخين. والمعروف أن الحركة التاريخية المصرية في تأريخ مصر العثمانية قد بدأت حديثا في شكل دراسات جامعية وتحقيق مخطوطات عربية وترجمة مخطوطات تركية - عثمانية إلى اللغة العربية. وهذه الحركة- في حد ذاتها تحتاج إلى تأريخ ، لأنها جهد واضح واهتمام علمي ووطني. إن ترجمة عمل واحد مثل رحلة أوليا جلبي إلى مصر ونشرها، لدليل وشاهد على أن عهد الدولة العثمانية في مصر لم يكن ظلاما، بل حضارة . وأسهم جرجي زيدان بدوره في وضع بدايات لتأريخ مصر في العهد العثماني سياسيا وحضاريا، في جلاء هذه النقطة وتنويرها بالكتابة في هذا العمل الذي بين أيدينا من حركة التأليف في مصر.

(٢١) السلطان سليم الفاتح، هو السلطان سليم الأول: ٨٧٥-٩٢٦هـ (١٤٧٠-١٥٢٠م)، سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، دفعة ٣٢، ص ٢٤، محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط٢، تحقيق إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٣، ص ١٩٧.

(٢٢) السلطان صلاح الدين الأيوبي: ١١٣٩-١١٩٢م و٥٦٧-٥٨٩هـ.

(٢٣) وهم : " العزيز بن صلاح الدين " و" المنصور محمد" و" العادل سيف الدين بن أيوب" و" الكامل بن العادل" و" العادل بن الكامل " و" الصالح بن الكامل" و" المعظم توران شاه" ، وذلك في الفترة ٥٨٩-٦٤٨هـ (١١٩٣-١٢٥٠م).-عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي: نزهة السلاطين فيمن ولي مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي ، ص ٥٣-٦٤، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

(٢٤) الصحيح " مأجورين أو مبتاعين" هكذا أو مأجورين أو مبتاعين.

(٢٥) المعتصم محمد بن هارون الرشيد: ٢١٨-٢٢٧هـ (٨٣٣-٨٤٢م).

(٢٦) الأمين بن هارون الرشيد: ١٩٣-١٩٨هـ (٨٠٩- ٨١٣م).

(٢٧) المأمون بن هارون الرشيد: ١٩٨-٢١٨هـ (٨١٣- ٨٣٣م).

(٢٨) هذا تفكير المؤلف مع أن الحضارة لا تضر المسلمين، ولكن الذي يضر المسلمين، هو التمسك بقشور الحضارة، والترف، وإشاعة الفاحشة، وحب الدنيا، والبعد عن الدين، وترك أسباب القوة، وترك الجهاد في سبيل الله .

(٢٩) هكذا في الأصل.

(٣٠) يرجع اتخاذ المماليك في مصر إلى أيام الدولة الطولونية، فقد اشترى أحمد بن طولون: ٢٥٧-٢٧٠هـ (٨٧٠- ٨٨٤م) المماليك الديلم ليقوي بهم جيشه . وفي عهد الدولة الإخشيدية ، كان معظم الجيش من الاتراك والديلم، وفي عهد الدولة الفاطمية كان الأتراك من العناصر التي يتألف منها الجيش، وعلى يد هذه العناصر كان انحلال الدولة الفاطمية. انظر محمد جمال الدين سرور: الظاهر بيبرس وحضارة مصر في عصره، ص ٢٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

(٣١) في المخطوط " وقد زادها مركزها الطبيعي مناعة وجمالا"

(٣٢) هكذا وردت في المخطوط ص ١٨.

(٣٣) وفي ذلك قال بعض الشعراء:

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك بدولته بأشر مجلوب

قد أخذ الله أيوبا بفعلته فالناس قد أصبحوا في ضر أيوب

محمد جمال الدين سرور، المرجع نفسه، ص ٢٨.

(٣٤) المقصود أنها " محظية كانت لها منزلة عند الملك الصالح" والد الملك المعظم، فهي أم الملك المعظم كما يذكر جورجي زيدان في كتابه: جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن، مع فذلكة في تاريخ مصر القديم ص٥ ، ٢ج، القاهرة ، ١٨٨٩م.

(٣٥) وهما: المنصور نور الدين على: ٦٥٥-٦٥٧هـ (١٢٥٧-١٢٥٩م) وسيف الدين قطز: ٦٥٧-٦٥٨هـ (١٢٥٩-١٢٦٠م) عبد الباسط الملطي : المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٣.

(٣٦) البندقدار: هو حامل كيس البندق خلف السلطان في الحرب. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص ٣٩٨ ، القاهرة، ١٩٦٥م.

(٣٧) أجمع المؤرخون على أن الظاهر بيبرس ببلاد القفجاق وهي تشمل حوض الفولجا والأراضي التي حول بحر قزوين، وذكر بعضهم سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م) تاريخا لمولده، وذكر البعض ٦٢٥هـ

(١٢٢٧م). وقد بيع لأحد تجار الرقيق إثر هجوم المغول على هذه البلاد سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢م)، واشتراه الامير علاء الدين أيدكين البندقداري ثم أخذه منه الملك الصالح، الذي اتخذ بيبرس سنة ٦٤٤هـ (١٢٤٦م) رئيسا لإحدى فرق حرسه الخاص، وظل يتدرج حتى أصبح قائدا لفرقة المماليك التي كان لها الفضل الأكبر في صد حملة لويس التاسع عن مصر، وكان لبيبرس دورا كبيرا في خلع الملك المعظم- الذي مات غريقا سنة ٦٤٨هـ. وفي نيابة سيف الدين قطز على مصر ، أصبح بيبرس قائدا للجيش الذي انتصر على التتار في عين جالوت(٦٥٨هـ- ١٢٦٠م)، وبعد هذا الانتصار الكبير تخلص بيبرس من سيف الدين قطز، وتولى السلطنة، وتلقب بالملك الظاهر بيبرس. انظر: محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص٢٩-٥٥.

والقفجاق أيضا ويعرفهم الأوربيون باسم القومان وفي المصادر العربية القبجاق، شعب تركي، لعب دورا هاما في تاريخ أوربا الشرقية بين القرنين العاشر والثالث عشر الميلادي. وعاشوا رحّالة رعاة على دين الشامانية. تسلطوا على بلدان شمال البحر الأسود، ثم دخلوا بلاد المجر. وعندما أغار المغول على بلاد القبجاق عام ٦٤٠هـ-١٢٤٢م أسروا قسما كبيرا منهم - أي من القبجاق- وباعوهم، ونقلوا إلى مصر، وهؤلاء هم الذين أسسوا دولة المماليك فيها. انظر شمس الدين سامي ٣٥٩٩/٥.

(٣٨) وقعت بين القوات المصرية بقيادة الظاهر بيبرس وقوات التتار بقيادة قرابغا معركة دموية انتهت بانتصار التتار، واستشهد الخليفة العباسي بتلك الموقعة سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م). محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق ، ص ٧٠.

(٣٩) وضع المؤلف هنا عبارة (هنا توضع صورة نقود الملك الظاهر) بين قوسين ولم يضعها. انظر المخطوط ص ٢٠.

(٤٠) تولى من سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧هـ) إلى سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م)، وتزوج من ابنة الأمير قلاوون الألفي، وقد خلعه الأمراء وسجن.

(٤١) هكذا في الأصل ، وحتى يستقيم المعنى:

" مات الملك الظاهر سنة ٦٧٦هـ (١٢٧٧م)، وخلفه على الملك ولداه بركة خان ثم سلامش، ولم يكونا أهلا للرئاسة، فتغلب عليهما الأمراء، فخلعوا بركة خان ، وبايعوا أخاه سلامش، وكان عمره سبع سنوات وأقاموا الأمير سيف الدين قلاوون الألفي وصيا عليه، فخلع سلامش وتسلم زمام الأحكام، فبويع ولقب بالملك المنصور". انظر . جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث مرجع سبق ذكره، ج ٢،ص٢٣.

(٤٢) وهم: " الأشرف صلاح الدين خليل" و" الناصر محمد بن قلاوون" و" زين الدين كتبغا" و" المنصور حسام الدين لاجين" و" القاهر سيف الدين طقجي" و" الناصر محمد بن قلاوون" و" ركن الدين بيبرس الثاني" و" الناصر محمد بن قلاوون" وذلك في الفترة ٦٨٩- ٧٤١هـ (١٢٩٠-١٣٤١م). الملطي: المصدر السابق، ص ٨١-٩٤.

(٤٣) وضع المؤلف هنا عبارة (توضع هنا صورة محراة الماء) بين قوسين ، ولم يضعها. المخطوط ص٢١.

(٤٤) وهم: " المنصور سيف الدين أبو بكر" و" الأشرف علاء الدين كوجك" و" الناصر شهاب الدين أحمد" و" الصالح عمد الدين إسماعيل" و" الكامل سيف الدين شعبان" و" الناصر حسن" و" المنصور صلاح الدين محمد" و" الأشرف زين الدين شعبان" وذلك في الفترة ٧٤١-٧٨٤هـ (١٣٤١-١٣٨٢م). الملطي ، المصدر السابق، ص ٩٥-١١١.

(٤٥) الظاهر سيف الدين برقوق فيما بعد.

(٤٦) هكذا في الأصل، والصحيح سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م).

(٤٧) تيمور لنك ١٣٣٦-١٤٠٥م): فاتح مغولي ولد قرب سمرقند، ويعرف بتيمور الأعرج، ادعى أنه من سلالة جنكيز خان، واستهل أعماله الحربية بإخضاع منافسيه في المنطقة المعروفة باسم تركستان ، وسيطر سنة ١٣٦٩م تماما على المنطقة كلها، ومن عاصمته سمرقند غزا فارس وجنوبي روسيا والهند واستولى على حلب حيث استباحها لمدة ثلاثة أيام، وسقطت دمشق في يده فدخلها للمرة الثانية، وزحف على آسيا الصغرى، وهزم العثمانيين في موقعة أنقرة سنة ١٤٠٢م، وأسر السلطان بايزيد، وقد توفي في أثناء غزوه للصين. انظر مادة تيمورلنك، مفصلة ، في شمس الدين سامي ١٧٢٧/٣. ويبدو أن تاريخ تيمورلنك وشخصيته التايخية في حاجة إلى إعادة نظر وتقويم تاريخي ، خاصة وأن مؤرخين كبارا من الأتراك العثمانيين، رغم عدائهم له، إلا إنهم وصفوه بصفات طيبة. مثال: قال تيمور: أنا لا أسفك الدم بغير حق" .منجم باشي أحمد دده، جامع الدول، بايزيد رقم ٥٠٢٠ ورقة ٢٣٢أ و" أحسن استقبال بايزيد وأكرمه وطيب خاطره، منجم باشي المصدر السابق ٢٣٩أ. و" لما سمع بوفاة بايزيد تأسف وتحزن وبكي وذكر أنه كان يريد الخير به ويعيده إلى ملكه" ، نفس المصدر والورقة . و" كان يحب الصدق ويختاره وإن كان عليه. ورقة ٢٤٠ب و" كان يحب العلماء والمنجمين والأطباء ويجالسهم في أكثر الأوقات. مولعا باستماع التواريخ والقصص وسير الملوك. كان له اهتمام تام في مراعاة القوانين الجنكيزية... منجم باشي أحمد دده، جامع الدول ، مكتبة بايزيد، رقم ٥٠٢٠ ج ٢ ورقة ٢٤١أ.

(٤٨) السلطان الغازي يلديرم بايزيد خان: ٧٦١-٨٠٥(١٣٤٧-١٤٠٣م).

(٤٩) هو السلطان أحمد بن أويس الجلائري، الذي حكم بغداد سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م)، وهو من سلالة المغول الذين اجتاحوا بغداد. وقد فر بعد أن دخل تيمور لنك بغداد سنة ٧٩٥هـ (١٣٩٣م)، والتجأ إلى السلطان المملوكي برقوق، وعندما اجتاح تيمور لنك بلاد قره يوسف التركماني سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٤م) واقتربت من حلب حيث انهزمت، عبأ السلطان برقوق جيشا وسار به إلى دمشق بصحبة أحمد بن أويس، ومن دمشق تجهز الجيش بقيادة أحمد بن أويس، الذي دخل بغداد سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٤م)، وضرب السكة باسم السلطان برقوق. وعندما اجتمع تيمور لنك بغداد مرة أخرى سنة ٨٠٢هـ (١٣٩٩م)، التجأ أحمد بن أويس وحليفه قرة يوسف التركماني إلى السلطان العثماني بايزيد يلديرم، فأحسن استقبالهما، وأقطع أحمد بن أويس " كوتاهية" ، وأنعم على قره يوسف بـ" آقسراي"، فخشي تيمور لنك من قيام تحالف عثماني - جلائري تركماني قد ينضم المماليك إليه، فطلب من السلطان بايزيد تسليمها إليه، فرفض طلبه، فكان ذلك من عوامل الحرب بينهما في معركة أنقرة سنة ١٤٠٢م، منجم باشي أحمد دده، جامع الدول، مرجع سبق ذكره، ج٢، ورقة ٢٣٦ت- ٢٣٨ت-

٢٢٣٩أ و٤٤٣ب.وحكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية ص ١٢٣-١٣٠، القاهرة، ١٩٦٦م، ومحمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار بيروت المحروسة، بيروت ١٩٩٥م ، ص٥٧.ويضع المؤلف عبارة (ضع صورة تيمور لنك هنا) بين قوسين ولم يضعها. المخطوط ص ٢٣.

(٥٠) توفي السلطان سيف الدين برقوق سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م).

(٥١) أتابك العساكر: مقدم العسكر والقائد العام للجيش المماليكي.

رأس النوبة: وظيفة يقوم أصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء.

أمير مجلس: يتولى صاحب هذه الوظيفة أمر مجلس السلطان

آمير آخور: وظيفة يقوم صاحبها بالإشراف على اسطبل السلطان ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات.

الدوادار: أي ممسك الدواة: وصاحبها يحمل دواة السلطان ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم الشكاوي إليه.

حاجب الحجاب: ويقوم بالنظر في مخاصمات الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات ونحو ذلك .

انظر الكشاف الموجود في: سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سبق ذكره، ١٩٦٥م.

(٥٢) وهما: الناصر فرج: ٨٠١- ٨٠٨هـ ١٣٩٨- ١٤٠٥م) والمنصور عز الدين عبد العزيز: ٨٠٨هـ ١٤٠٥م) ثم الناصر فرج مرة أخرى: ٨٠٨هـ (١٤٠٥-١٤١٢، الملطي: المصدر السابق، ص ١٢٠-١٢٣.

(٥٣) وعددهم ثلاثة عشر سلطانا في الفترة ٨١٥-٨٧٢هـ (١٤١٢-١٤٦٨م).

(٥٤) أوزون حسن أو " حسن الطويل" لم يكن ملك الفرس، بل كان حاكما تركمانيا.

وأوزون حسن: (١٤٢٨-١٤٧٨). حاكم دولة الآق قيونلو. تولى الحكم عام ١٤٥٣ في ديار بكر بالأناضول. قام بأسر حفيد تيمور لنك- وكان حاكما للقره قيونلو- وأعدمه. واستولى على تبريز عام ١٤٦٦ واتخذها عاصمة لدولته. كما استولى أيضا على بلاد الكرج. وكان ذلك في وقت نمو الدولة العثمانية. وكانت هناك ثلاث مواجهات بين جيشه وبين العثمانيين. كانت آخرها الموقعة التي هزم فيها هزيمة كبيرة أمام السلطان محمد الفاتح في وادي ترجان في أرضروم عام ١٤٧٣. شمس الدين سامي ١٠٨٥/٢

(٥٥) صحة كتابتها بايزيد وتعنى أبو يزيد باللغة العربية

(٥٦) كان " بايزيد" قد جلس على العرش في ربيع الأول ٨٨٦هـ (مايو ١٤٨١م)، أما " جم" فسار إلى بروسة ودخلها عنوة، واستولى على المناطق المجاورة. وأرسل جم وفدا برئاسة عمته ابنة السلطان محمد جلبي وهي سلجوق خاتون إلى بايزيد باقتراح تقسيم الدولة العثمانية إلى قسمين بينهما، يحكم جم قسم الأناضول من الدولة ويحكم بايزيد قسم الروملي منها أي الولايات العثمانية في أوربا، ورفض بايزيد هذا العرض وكان ذلك في ١٦ ربيع الآخر من عام ٨٨٦هـ الموافق ١٤يونيو ١٤٨١م. وتحارب الأخوان في موقعة ينى شهر في واد أخذت الوقعة اسمه. وانتصر بايزيد وفر جم إلى مصر لاجئا عند قايتباي. إسماعيل حامي دانشمند ISMAIL HAMI DANISMEND,

IZAHLI OSMANLI TARIHI KRONOLOJISI,C.1.S.350,TURKIYE YAYINEVI,ISTANBUL، ص ٣٦١- ٣٢٦ وطقوش، مرجع سبق ذكره، ص١٢١.

توفي السلطان محمد الفاتح في ٤ ربيع الأول ٨٨٦هـ الموافق يوم الخميس ٣مايو ١٤٨١م في مكان يسمى خنكار تشاييري في حي مال تبه ويقع بين اسكدار وكبزه في الناحية الآسيوية من استانبول. ويطلق على خنكار تشايير: تكفور تشاييري وكذلك سلطان تشاييري. وكتبناها بالتاء والشين مقابلة لحرف الجيم المثلثة لعدم وجودها في الأبجدية العربية. وبالتالي فقد كتبها المؤلف هنا خطأ. انظر إسماعيل حامي دانشمند، تقويم التاريخ العثماني، الجزء الأول ص ٣٥٠، دار نشر تركيا، استانبول.

(٥٧) فأنفذ " بايزيد" جيشا كبيرا

(٥٨) هو الأمير أزبك بن ططخ: وأصله من مماليك الأشرف برسباي، ثم اشتراه الظاهر جقمق، وقربه ورقاه، وصاهره مرتين في ابنتيه. وقد تولى عدة وظائف عالية حتى عين نائب الشام في دولة الظاهر بلباي ثم أتابكا في عهد الأشرف قايتباي، واستمر أتابكيا نحو ثلاثين سنة. وتوفي سنة ٩٠٤هـ (١٤٩٨م) عن ٨٥ سنة، وترك ثروة طائلة بخلاف الخيول والتحف، والأزبكية وغيرها من الدور. وقد خلط على باشا مبارك بينه وبين الامير أزبك اليوسفي؛ وكان أيضا من مماليك الظاهر جقمق، وهو صاحب الجامع الموجود بحي الصليبة بالقرب من مسجد ابن طولون، وربما كان سبب هذا الخلط أن الاثنين توفيا في اليوم نفسه (٢٠ من رمضان سنة ٩٠٤هـ)، وقد تابع على مبارك في الخطأ كتاب آخرون. انظر : محمد كمال السيد محمد : أسماء ومسميات في مصر القاهرة، ص ٢٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

(٥٩) وقد أزيل هذا الجامع ضمن ما أزيل في تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على (القلعة) في عهد أسرة محمد على. المرجع نفسه، ص ٢٧٤.

(٦٠) ٣ ربيع الأخر سنة ٨٩٣هـ (١٧مارس ١٤٨٧م).

(٦١) الصحيح " قانصو" . وقد أثبت نطق الكلمة بارتولد في مادة قانصو من دائرة المعارف الإسلامية وكذلك بسيم دار قوت في ترجمته وإضافته لمادة قانصو إلى اللغة التركية انظر الترجمة التركية لدائرة المعارف الإسلامية ج٦ مادة قانصو.

(٦٢) أربعة سلاطين، هم : الناصر محمد بن قايتباي" و" الظاهر قانصو الأشرفي"و" الأشرف جانبلاط الأشرفي" و " العادل طومان باي" ، وذلك في الفترة من سنة ٩٠١هـ إلى سنة ٩٠٦هـ ١٤٩٦م - ١٥٠٥م). انظر : الملطي: المصدر السابق، ص ١٤٧-١٥٤.

(٦٣) اعتمد المماليك على التكنولوجيا الإيطالية في صنع المدافع، وكانت مدفعيتهم ثقيلة يصعب تحريكها، أما التكنولوجيا العثمانية في صنع المدافع فقد كانت أكثر تطورا وخفيفة بمعنى سهولة تحريك المدفع في أي اتجاه بعكس المدافع المملوكية، ضخمة وثابتة، وهذا ما دفع سليم أن يدخل القاهرة من خلف هذه المدافع وليس من أمامها كما بنى المماليك خططهم في سحق العثمانيين، ولما اكتشف المماليك - بعد فوات الأوان- مرور الجيش العثماني من خلف المدافع أسقط في أيديهم لاستحالة تحريك المدافع. وكان لدى المماليك في الريدانية ٢٠٠مدفع ، انظر : سلاحشور، فتحنامه ديار عرب، مخطوط تركي، مكتبة نور عثمانيه باستانبول رقم ٤٠٨٧ ورقة ٣٧/ب وأحمد عبد الرحيم مصطفى ،

في أصول التاريخ العثماني، ص ٨٣، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٨. ومحمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨-١٥٩.

(٦٤) الدولة الإيلكية: ٣٠٢-٦٠٩هـ (٩٣٢-١٢١٢م).وهي دولة " الإيلك خانات " أو " خاقانات تركستان" التي حكمت البلاد الواقعة شمال جبال تيان شان وجنوبها من القرن الرابع الهجري إلى السابع. أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج١،ص٢٧٩-٢٨٢.

(٦٥) الدولة الغزنوية في أفغانستان والبنجاب: ٣١٥-٥٧٩هـ (٩٦٢-١١٨٣م) أحمد السعيد سليمان، المرجع السابق، ج٢، ص ٥٨٧-٥٩٣.

(٦٦) يقصد جرجي زيدان هنا، سلجوق بن دقاق وهو مؤسس دولة السلاجقة. وكان إسلامه نتيجة التقائه بالأتراك المسلمين في جند وليس طمعا في دولة . انظر إبراهيم قفص أوغلو، مادة السلاجقة، دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة التركية جـ١٠، استانبول ١٩٦٧.

(٦٧) سلاجقة خراسان، وكرمان، وسوريا، والعراق، والأناضول.

(٦٨)٢١دولة من دول الأتابكة في أحمد السعيد سليمان: مرجع سبق ذكره ، ج٢،ص٣٤٣-٣٨٣.

(٦٩) إمارات : قره سي في باليق أسير، وصاروخان في مغنيسيا، وآيدين في أزمير ، ومنتشا بولاية منتشا، وتكة في أنطاليا، وحميد ايلي في يكيشهر، وكرميان في كوتاهية، وقرمان في قونية، وقزل أحمدلي في قسطموني، وجانيك.يلماز أوز تونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة ، عدنان محمود سليمان، الجزء الأول ، ص ٧٤-٧٥، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول ١٩٨٨. ومحمد سهيل طقوش: مرجع سبق ذكره، ص ١٥،١٦. ومحمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، بيروت، ١٩٢٥م، ص ١٧٢.

(٧٠) لم يذكر المؤلف مصدره في أن للأتراك جدا يسمى ترك. انظر معاني كلمة ترك، في جاغاتاي اولوجاي، دائرة معارف التاريخ (بالتركية) مادة ترك، دار باتش، استانبول١٩٦٩.

(٧١) تولى علاء الدين كيقباد الثاني بالمشاركة مع ركن الدين قليج أرسلان الرابع من سنة ٦٤٧ إلى سنة ٦٥٥هـ (١٢٤٩-١٢٥٧م). ولعل المؤلف يقصد علاء الدين كيقباد الثالث: ٦٩٨-٧٠١هـ(١٢٩٨-١٣٠١م). انظر : أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج١، ص ٣٢١،٣٢٢.

(٧٢) وقد سقط بالقرب من قلعة " جعبر " سنة ٦٢٦هـ (١٢٢٨م)،ويعرف قبره هناك باسم "تورك مزاري " أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج٢،ص٤٤١.

(٧٣) هذه المعركة تسمى باسم" ياسي جمن" بين سلطان قونية السلجوقي وجلال الدين خوارزمشاه خاقان تركستان، وقد ساعدت عشيرة قايي بقيادة كوندوز آلب ووالد أرطغرل والد عثمان، سلطان قونية، فأقالته من عثرته وتسببت في انتصاره. ويرجح المؤرخون تاريخ وفاة كوندوز آلب سنة ١٢٣٠، وخلفه ابنه أرطغرل وكان عمره ٣٩ عاما.انظر : يلماز أوز تونا، المرجع السابق ص ٨٦.

(٧٤) علاء الدين السلجوقي أو علاء الدين كيقباد: ١٢١٩- ١٢٣٧م.

(٧٥) وهي البقعة التي تلتقي فيها ولايات اسكيشهر وبيلاجيك وكوتاهية في تركيا اليوم.

(٧٦) توفي أرطغرل سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) أحمد السعيد سليمان: المرجع السابق، ج٢، ص ٤٤٢.

(٧٧) انظر صورة السلطان عثمان الغازي: ٦٥٦-٧٢٦هـ (١٢٥٨-١٣٢٦م).

(٧٨) نسب عثمان كالآتي: عثمان بن أرطغرل بن كوندوز آلب.

(٧٩) هذه الفقرة روائية أدبية تختلط فيها الرواية بالتاريخ.

(٨٠) يذكر محمد فريد الواقعة كالآتي : (أنه رأي القمر صعد من صدر هذا الشيخ وبعد أن صار بدرا نزل في صدره- أي في صدر عثمان- ثم خرجت من صلبه شجرة نمت في الحال حتى غطت الأكوان بظلها ، ونظر أكبر الجبال تحتها، وخرج النيل والدجلة والفرات والطونة من جذعها ورأي ورق هذه الشجرة كالسيوف يحولها الريح نحو مدينة القسطنطينية" وفي رأي محمد فريد ، أن هذا الحلم لابد وأن يكون موضوعا كما يضع المؤرخون مثل هذه الأحلام لتعليل ظهور وتقدم كل دولة في الشرق أو الغرب.

انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ١١٦. ووضع المؤلف بعد هده الفقرة صورة تحتها (السلطان عثمان الغازي).

(٨١) المؤلف يقصد القوقاز وتكتب على وجهين: " القوقاز " و" قفقاسيا".

(٨٢) يرى محمد فؤاد كوبريلي أن هذه الروايات ما هي إلا محاولة لدعم مشروعية حكم العثمانيين على سائر القبائل التركية بآسيا الصغرى بتدخل إلهي. ويرجح أن قبيلة عثمان كانت من القبائل التي وفدت على الأناضول بعد فتحة على يد السلاجقة. انظر: محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١٠-١٩.

(٨٣) هكذا في الأصل : "وطرا" .وأغفلت طبعة الهلال الأولى صحتها والمؤلف يقصد هنا السلطان بايزيد الصاعقة (١٣٤٧-١٤٠٣م) الذي حاصر القسطنطينية سبعة أشهر.

(٨٤) السلطان محمد الفاتح هو فاتح القسطنطينية يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادي الآخرة سنة ٨٥٧ هـ - ٢٩ من مايو سنة ١٤٥٣م.

(٨٥) فرديناند الأول: أرشيدوق النمسا (١٥٥٨-١٥٦٤م) والمطالب بعرش المجر. وقد استمرت النمسا على دفع الجزية للدولة العثمانية من سنة ١٥٤٧م إلى سنة ١٦٩٩م، عندما أبطلت بمقتضى معاهدة كارلوفتز . انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، مرجع سابق ص ٢٣٨.

(٨٦) وضع المؤلف هنا صورة تقليدية تحتها عبارة (السلطان محمد الفاتح يوم دخوله القسطنطينية بعد فتحها سنة ١٤٥٣) ولا تكاد ترى من رداءة الطباعة.

(٨٧) الانكشارية: انظر كليمان أوار، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، ص ١١٢.

(٨٨) لم يكن قره خليل وزيرا للسلطان أورخان، وإنما كان وزيرا للسلطان مراد الأول من سنة ٧٧٠هـ إلى سنة ٧٨٨هـ (١٣٦٨- ١٣٨٦م). وكان قره خليل قبل ذلك في منصب قاضي بروسة، وهو أول قاضي عسكر في الدولة العثمانية. انظر: سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، ص٢٨، علي همت بركي الأقسكي: العاهل العثماني أبو الفتح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية وحياته العدلية، تعريب محمد إحسان عبد العزيز، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م، ص ١٥٣.

(٨٩) حاجي بكتاش: تنسب إليه طريقة الدراويش البكتاشية، ويقال إنه ولد بنيسابور وتوفي سنة ٧٣٨هـ (١٣٣٧م)، وترجع أهمية هؤلاء الدراويش السياسية إلى اتصالهم الوثيق بالإنكشارية، فيقال لهم ابناء الحاج بكتاش (حاجي بكتاش أو غللري).وقد اشترك البكتاشية في الفتن المتعددة التي قام بها

الإنكشارية إلى أن قضي السلطان محمود الثاني علىا الإنكشارية في ٩ من ذي القعدة سنة ١٢٤١هـ (١٦ من يونيو سنة ١٨٢٦م). انظر : دائرة المعارف الإسلامية: المجلد السابع، ص ٤٦٧-٤٧٠، محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٩٠) بلاد سيس: كانت عاصمة دولة الأرمن الذين التجأوا إلى جبال طوروس وأطنة في كيليكيا، وقد تمكن المماليك من الاستيلاء عليها فانقرضت سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م). محمد جميل بيهم: المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

(٩١) فوق هذا السطر في المخطوط عبارة: (ش١ أغا الانكشارية ونائبه وخادمه، وفوقها الصورة رديئة الطبع غير واضحة.

(٩٢) أوجاق : كلمة تركية تستعمل في العربية " وجاق" ، وتعنى في الأصل " موقد" ، واستعملت بمعنى فرقة من العسكر.

(٩٣) أورطة: وحدة. والمعنى الحرفي لها هو " مركز"

(٩٤) سكبان: رجال الصيد أو حفظة الكلاب، ويسمون "سيمن" وهم ٣٤ أورطة. كليمان أوار، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الانكشارية، المجلد الخامس ، ص١١٣.

(٩٥) يقصد المؤلف العهد الذي عاشه.

(٩٦) قول كخيا: مراقب الرقيق، وكان يرأس أثناء الحرب هيئة أركان حرب الفرق.

(٩٧) زغرجي باشا: رئيس حفظة الكلاب.

(٩٨) المحضر أغا: رئيس الحجاب.

(٩٩) خصكي: وكانا خاصكي أكبر وخاصكي أصغر، وهما المكلفان بمهام خصوصية،وكانا يرسلان إلى الأقاليم لفض المسائل التي تتعلق بفرق الانكشارية هناك.

(١٠٠) باشجاويش: رئيس صف الضابط.

(١٠١) كخيا يري: كبير النظار، وعليه إبلاغ أوامر الأغا إلى الأقاليم.

(١٠٢) أوده باشي: رئيس إحدى أورط الانكشارية التي تقيم عادة في أوده (غرفة).

(١٠٣) باش اسكي: رئيس الجنود ، وهو أكبر أفراد الفرقة سنا، وكان رئيسا للقره قول " الحراس" ولهذا سمى " باش قره قوللوقجي. كليمان أوار دائرة المعارف الإسلامية: مادة انكشارية، المجلد ٥، ص ١١٣،١١٤.

(١٠٤) هكذا في الأصل ، والصحيح " الطاهي" والمقصود الأشجي باشي: رئيس الطهاة. ويضاف إلى ضباط الأورطة كذلك: " سقا باشي"، وهو رئيس السقائين" . انظر صورة توزيع الشرباء على الانكشارية. وهي غير واضحة ورديئة التصوير.

(١٠٥) وردت في مقالة جرجي زيدان عن " تاريخ الجند العثماني" بمجلة الهلال: ج٨، السنة ١٧ مايو ١٩٠٩م، ص ٤٥٩.

(١٠٦) صفحة ٣٨ من المخطوط عبارة عن صورتين غير واضحتين الاولى كاد المؤلف يكتب تعريفا بها وتراجع والثانية أسفلها (ش٢) أنفار الانكشارية ، ووضع المؤلف رقما تحت كل شخصية في الصورة ١-٢-٣-٤-٥-٦.

(١٠٧) العلوفة: مرتب مرة كل ثلاث شهور للعاملين في العسكرية العثمانية. أصلها عربي من العلف وهو أكل الحيوانات. وقد أخذت من هذه الكلمة على اعتبار أنها كانت في البداية تعطي نظير علف حيوانات عساكر الفرسان، ثم صارت مرتب . وزيادة هذا المرتب كانت تسمى ترقي. انظر
MIDHAT SERTOGLU, OSMANLI TARIH LUGATI, S.348/1, ENDERUN KITABEVI, ISTANBUL 1986.

(١٠٨) منحة الجلوس: منحة كانت تصرف للجنود والعلماء وموظفي الدولة، عند اعتلاء السلطان الجديد العرش. وقد بدأت هذه العادة، عند جلوس السلطان بايزيد الصاعقة الذي حكم الدولة من عام ١٣٨٩ إلى عام ١٤٠٢م و هو بايزيد الأول . لكن منحة الجلوس هذه لم تقنن إلا في عهد السلطان محمد الفاتح الذي حكم من ١٤٤٤- ١٤٤٦م ثم من ١٤٥١م إلى ١٤٨١م. انظر مدحت سرت أوغلر، المرجع السابق، ص ١٦٨.

(١٠٩) وقد ذكر جرجي زيدان أن مجموع ما يعطي من " بخشش الجلوس قد يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهما، وكان بخشش الصدر الأعظم ٣٠,٠٠٠درهما، ومثله لشيخ الإسلام. وهنا يستخدم زيدان كلمة درهم محل كلمة آقجة، جرجي زيدان: تاريخ الجند العثماني، المرجع السابق، ص ٤٦٣.

(١١٠) انظر الصورة بملحق الكتاب.

(١١١) ولد السلطان سليم الأول سنة ٨٧٥هـ (١٤٧٠م). وتوفي في ٩من شوال سنة ٩٢٦هـ (٢٢من سبتمبر سنة ١٥٢٠م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، دفعة ٣٢، ص ٢٤، محمد فريد: المرجع السابق ،ص ١٩٧.

(١١٢) سقطت كلمة عثمان من المؤلف فوضعناها بالشكل المذكور

(١١٣) هي ولاية "تكة" انظر:إبراهيم حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، القاهرة، مطبعة ديوان عموم الأوقاف.١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م، ص ٧٥.

(١١٤) في الأصل أيضا: "سليما".

(١١٥) كفه: عاصمة ولاية القرم العثمانية وهي شبه جزيرة في البحر الأسود، مدحت سرت أوغلو المرجع السابق ص ١/١٨٢.

(١١٦) "وبعث إلى أبيه..." وجاءت غير ذلك في طبعة الهلال الأولى.

(١١٧) ديموتيقاDIMOTIKHOM بالتركية الحديثة DIMOIKA تقع إلى الجنوب من أدرنة في اليونان على الحدود التركية. محمد فريد: المرجع السابق، ص١٨٧.

(١١٨) الأرجح أن المؤلف يقصد الإيحاء بأن " ابنه سليما " قتله.

(١١٩) "ولاولادهم" أي أولاد أخويه.

(١٢٠) يقصد سليما.

(١٢١) الدولة الصفوية: أصل هذه السلالة من أذربيجان، وتنسب إلى الشيخ صفي الدين المتوفي سنة ١٣٣٤م، وهو تركي سني وشيخ طريقة، انتقل إلى أردبيل في شمال فارس وقد اعتنق أحد أحفاد الشيخ، وهو الجنيد (١٤٤٧- ١٤٦٠م) المذهب الشيعي الإثنى عشري، وأخذ يبثه في الأناضول، وقد تزوج الجنيد من شقيقة" أوزون حسن" زعيم " الآق قونيلو". وخلف الجنيد ابنه حيدر، الذي ازداد

أتباعه، واتخذ شعارا لهم يميزهم عن غيرهم، وكان على صورة قلنسوة حمراء ذات اثنتي عشرة ذؤابة كناية عن الأئمة الإثنى عشرية، ومن هنا أطلق العثمانيون عليهم " قزل باش" أي" الرؤوس الحمراء". ومع تولى إسماعيل بن حيدر عم ١٤٩٤م، توالت الأحداث، فاستولى على شيروان سنة ١٥٠٠م، وعلى تبريز عام ١٥٠٢م وجعلها عاصمة له، وسيطر على أصفهان ويزد وكروان وجنوب خراسان، وأعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا لفارس. محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٨٨، ١٨٩؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٣٦-١٣٨.

(١٢٢) يشبه بعض المؤرخين هذه المذبحة بتلك التي وقعت في باريس سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) والمشهورة بمذبحة سان بارتلمي، والتي ذبح الكاثوليك فيها ستين ألفا من البروتستانت بأمر الملك شارل التاسع. انظر: محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٩٠.

(١٢٣) هي موقعة جالديران في ٢ من رجب سنة ٩٢٠هـ (٢٣من أغسطس ١٥١٤م). نفس المرجع والصفحة.

(١٢٤) في ١٤من رجب سنة ٩٢٠هـ (٤ من سبتمبر سنة ١٥١٤م). محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٩٠.

(١٢٥) نشر جرجي زيدان ثلاث مقالات بعنوان " الآستانة العلية" في مجلة الهلال، الجزء الأول والثاني والثالث من السنة ١٨، أكتوبر ونوفمبر وديسمبر ١٣٢٧هـ -١٩٠٩م.

(١٢٦) فتح سليم قلعة كوماش وإمارة ذي القدر أو القدرية عام ١٥١٥م، وهي إمارة صغيرة في شرق الأناضول إلى الجنوب. أشار المؤلف أنه سيضع صورة عرش شاه إيران هنا، ولم يضعها. محمد فريد : المرجع السابق، ص ١٩١.

(١٢٧) جعفر جلبي: هو تاجي زاده جعفر جلبي، قاضي عسكر مشهور في عهد السلطان سليم الأول، وحامل الطغراء السلطانية ومؤلف محروسة استانبول فتحنا مه سي وزوج بهروزه خاتون زوجة الشاه إسماعيل الصفوي بعد أسرها في جالديران. دانشمند، مرجع سبق ذكره، جـ١، ص ٤٣١.

(١٢٨) الأشرف الذهب: (أشرفي آلتون) اسم أطلقه المصريون على السكة التي ضربت في مصر عام ١٥١٧م باسم السلطان سليم بعد فتحه مصر. وإن كانت ترجع إلى عهد السلطان الأشرف برسباي (١٤٢٢-١٤٣٨) وسماها المصريون أيضا بالشريفي ورادفت كلمة سلطاني. في هذا الموضوع انظر مدحت سرت أوغلو، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٤.

(١٢٩) التجريدة حملة عسكرية لمحاربة المتمردين في المماليك أو العربان.

(١٣٠) الشاشات: جمع شاش؛ وهو ما يلف حول غطاء الرأس من قماش رقيق. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٤٢٧.

(١٣١) المكوس : ومفردها مكس، وهي كل ما تحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي. عاشور، المرجع السابق، ص ٤٥٣.

(١٣٢) رجع المؤلف إلى ابن إياس بقوله بدائع الزهور ٦١ج٣ولم يذكر الطبعة. انظر الطبعة المحققة: ابن إياس " بدائع الزهور في وقائع الدهور" تحقيق مصطفى. القاهرة ١٩٨٤م الطبعة الثالثة صفحات ٨٩-٩٢جـ٥.

(١٣٣) وقد تولاها سنة ٩٢١هـ (١٥١٥م) ، وهو سادس عشر الخلفاء العباسيين وآخرهم بمصر.

(١٣٤) هكذا في الأصل ، والصحيح " سودون"

(١٣٥) الأصل فيها " أمير آخور"، وهو أمير المزاود الذي يقوم بالإشراف على اسطبل السلطان، ورعاية ما فيه من خيل وحيوانات. الجبرتي عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، ١٩٨٦ جـ٤ ص١٠٦١ وسعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٣٩١.

(١٣٦) مع أن من المعروف أن المماليك أبلوا بلاء حسنا في الدفاع عن مصر والوقائع التاريخية كثيرة ولم يقصروا في ذلك.

(١٣٧) هو الأمير قانصو الأشرفي.

(١٣٨) ينقل المؤلف هنا عن ابن إياس، ج٥، ص ٨٥و٨٦.

(١٣٩) يمكن قراءتها أيضا على شكل " بهاري".

(١٤٠) كنبوش: وجمعها كنابيش، وهو خمار لتغطية الوجه، وقد أطلق اللفظ على البردعة توضع تحت سرج الفرس، سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٤٤٥.

(١٤١) الزردخانات: بيوت السلاح.

(١٤٢) يمكن قراءتها في النص على شكل " قيه" لكنها في الأصل " قبه" ، انظر: ابن إياس: ج٥، ص ١٠٥.

(١٤٣) الصحيح" قطيا" . انظر: ابن إياس : المصدر السابق، ج٥، ص١٤٠.

(١٤٤) بركة الحاج: قرية في شمال شرق القاهرة تقع في جنوبي الخانكة وشرقي المرج (محلها اليوم القرية التي تعرف باسم البركة من قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية). وقد اشتهر اسمها ببركة الحاج لنزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة وعند عودتهم. وفي هذا المكان كان يعقد اجتماع الديوان العالي في مصر العثمانية، لتسليم أمير الحج الصرة الشريفة وإيرادات أوقاف الحرمين من مال وغلال، كانت تعرف بصرة الأوقاف. انظر: ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٤٣،١٤٤.

(١٤٥) الجمعة ٢٩ من ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ (٢٢ من يناير سنة ١٥١٧م).

(١٤٦) الجامكية: وجمعها جوامك؛ الراتب المربوط لشهر أو أكثر. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

(١٤٧) ينقل المؤلف هذه العبارة من ابن إياس، وأصلها: " يا أغوات ما فيها اليوم جامكية، البلاد خراب، والعرب مفتنة في الطرقات".انظر: ابن إياس: ج٥، ص١٣٥.

(١٤٨) يقصد المماليك.

(١٤٩) كان لدي المماليك مدافع وبارود أيضا في ذلك الوقت لكن التقدم العلمي العسكري لدى العثمانيين كان أكثر. انظر محمد حرب . العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٤١٩ دمشق ١٩٨٩.

(١٥٠) مروان بن محمد بن مروان بن الحكم: ١٢٧-١٣٢هـ (٧٤٤-٧٥٠م)، هو آخر خلفاء بني أمية، وقد قتل في مصر على يد صالح بن على بن عباس ابن أخي الخليفة العباسي عبد الله السفاح،

وذلك في ٢١ من ذو الحجة سنة ١٣٢هـ (٣١من يوليو سنة ٧٥٠م). محمد مختار باشا: المصدر السابق، ص ٦٤-٦٧.

(١٥١) انظر هذا النص في : ابن إياس: المصدر السابق، ج٥، ص ١٤٧. وهذا الأبيات للشيخ بدر الدين الزيتوني، وكان شاعرا شعبيا مشهورا في عهد السلطان المملوكي قانصو الغوري، وله مقطعات صغيرة عن حوادث الفتح العثماني، وقد أورد ابن إياس مرثيته في السلطان الغوري. انظر ابن إياس نفس المصدر ، ص ٩٦-١٠١، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، العصر العثماني، ١٥١٧-١٧٩٨م، ص ١٣.

(١٥٢) الجمعة ٣٠ من ذي الحجة سنة ٩٢٢هـ (٢٣من يناير سنة ١٥١٧م).

(١٥٣) وهم : كمال الدين الطويل الشافعي، ومحيي الدين الدميري المالكي، وشهاب الدين الفتوحي الحنبلي. ابن إياس: ج٥، ص ١٤٧.

(١٥٤) انظر هذا النص في: ابن إياس: المصدر السابق، ج٥ ، ١٤٨.

(١٥٥) ٢٦من يناير سنة ١٥١٧م.

(١٥٦) الجنائب: هي الخيول التي تسير وراء السلطان في الحروب. سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص٤٠٦.

(١٥٧) هو المؤرخ المصري ابن إياس، وقد نقل صفات السلطان سليم سماعا وليس مشاهدة كما يذكر المؤلف. تأمل كلمة قيل في ابن إياس، الحاشية التالية.

(١٥٨) صفات السلطان سليم ليست هكذا، وقد نقل جرجي زيدان هذه الصفات عن ابن إياس؛ الذي نقلها سماعا، وذلك على النحو التالي:

" وقيل إن صفته ذريّ اللون، حليق الذقن، وافر الأنف، واسع العينين، قصير القامة، في ظهره حنّية، وعلى رأسه عمامة صغيرة، ويلبس قفطانا مخملا، وعنده خفة ورهج، كثير التلف إذا ركب الفرس. وقيل إن له من العمر نحو أربعين سنة.."ابن إياس : المصدر السابق، ج٥، ص١٥٠.

(١٥٩) ٣١يناير (١٥١٧م).

(١٦٠) نقل المؤلف هذا عن ابن إياس، ج٥،ص ١٧٢.

(١٦١) المقصود " بالحيلة" الخديعة.

(١٦٢) في " بدائع الزهور.." شنق في ٢٢من ربيع الأول سنة ٩٢٣هـ (١٢من إبريل سنة ١٥١٧). ابن إياس : المصدر السابق، ج٥،ص١٧٦.

(١٦٣)انظر السبب في قتل طومان باي في شهاب الدين تكين ضاغ: طومان باي: مادة كتبها لدائرة المعارف الإسلامية التركية، الترجمة التركية، الجزء ٢/١٢، ص٥٤-٥٧.وأساسها أن خير بك وجان بردي الغزالي أوصيا السلطان سليم بإعدام طومانباي، لاستتباب النظام في مصر ولمنع المقاومة ضد العثمانيين. انظر تفصيل أكثر: سعدي بن عبد المتعال، سليمنامة، مخطوط تركي، مكتبة روان-طوبقبو رقم ١٢٧٧، ورقة ٩٩/أ، وجركسلر كاتبى يوسف، تاريخ مصر، مخطوط تركي، مكتبة أسعد أفندي بالسليمانية رقم ٢١٤٦. ورقة ٤١/ب.

(١٦٤) من سنة ٧٨٤هـ إلى سنة ٩٢٣م (١٣٨٢-١٥١٧)

(١٦٥) سنة تأليف المخطوط سنة ١٩١١ أي قبل فرض الحماية البريطانية على مصر عام ١٩١٤.

(١٦٦)السلطان عبد الحميد الأول: تولى في ١٠ من شوال سنة ١١٨٧هـ (٢٥من ديسمبر ١٧٧٣م) وتوفي في ١٢ من رجب سنة ١٢٠٣هـ ٢٩٠من مارس سنة ١٧٨٩م).والمؤلف هنا يقصد سلطنة مصطفى بن محمد (مصطفى الثالث)، الذي تولى في ١٦ من صفر سنة ١١٧١هـ (٣٠ من أكتوبر سنة ١٧٥٧م) وتوفي في ٨ربيع الأول سنة ١١٨٧هـ (٣١من مايو سنة ١٧٧٣م).

(١٦٧) الصحيح " استقل فيها".

(١٦٨) هكذا في الأصل ، والصحيح سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م).

(١٦٩) هذا قول ابن إياس. انظر أيضا الحاشية التالية.

(١٧٠) ابن إياس: المصدر السابق، ج٥،ص١٧٩.

(١٧١) المقصود " يقدم".

(١٧٢) ليس في الإسلام سلطة مطلقة، فالحاكم مقيد بأحكام الشرع والشورى، وصلاح أمور المسلمين لا يمكن أن يتحقق ويتم في ظل سلطة مطلقة. في تقرير مفصل عن أسس نظام الحكم في الدولة العثمانية يمكن إيجاز هنا بغية الإفادة منه في تجلية وعرض الرؤية الأوربية للحكم الإسلامي. كتب هذا التقرير قانوني هولندي غير مسلم رأي" أن الدولة العثمانية دولة مسلمة الحكم والأحكام. الحقوق فيها- في رؤية المسلمين - أوامر إلهية. هذه الأوامر تنقسم إلى قسمين " ديني ودنيوي. يعنى عبادات ومعاملات. وكلاهما متمم للآخر ولا انفصال بينهما. والقرآن - كما يراه المسلمون- كتاب مقدس فيه الأوامر الإلهية وبعيد كل البعد عن الشك. والأحكام القانونية التي يحتويها القرآن، تشمل كل ميادين الحقوق، في شكل أحكام منفصلة أو في شكل أسس عامة. والقرآن مصدره الوحي، وليس الإلهام. والقرآن - عند المسلمين- كتاب تسرى أحكامه بل وكل حرف من حروفه على كل الأراضي وعلى كل الأزمنة. هذا عن القرآن . أما السنة فهي أفعال النبي: كلمات وعمل . والفرق بين السنة والقرآن أن السنة ليست عن طريق الوحي وإنما عن طريق الإلهام، يلقيه الله في قلب النبي. يرى المسلمون أن النبي محمد بشر، لكنه نبي ورسول: صادق الكلمة وصادق العمل، إنسان ممتاز لأنه جمع في شخصه كل الأخلاق الحسنة وكل العلم، وذلك بإحسان من الله، إليه هو والنبي محمد - عند المسلمين- مبلغ القرآن ومتمم الدين. والخليفة أو السلطان أو بمعنى آخر الإمام الشرعي، هو وكيل الله على الأرض، وهو المسئول أمامه، مكلف بإطاعة أحكام القرآن والسنة. وإذا حدث وترك هذا السلطان ما كلف به من إطاعة الأحكام الواردة في القرآن والسنة، فلا يمكن لهذا السلطان أن يكون مطاعا من رعيته. ويجب على السلطان أن يشاور المهرة والمقتدرين، عندما يقوم بإدارة الدولة. وسلطة السلطان الخليفة محدودة مباشرة مشروعة والقانون الإلهي في الإسلام يقيد استبداد السلطان. والشريعة التي بلغها النبي للناس ليست قابلة للتغيير ولا للأرجحة في أي وقت من الأوقات. واعتقد اعتقادا واضحا أن الشئ الذي ترغبه أوربا من الدولة العثمانية- وهي دولة دينها الرسمي هو الإسلام- أن يغير الأتراك دينهم، وبالتالي ترغب أوربا أن تتحول الدولة العثمانية المسلمة. ويتشكل الإسلام من عنصرين: الدين والدولة. والشريعة لا تفصل بين الدين والدولة ولهذا السبب يجمع الشرع الشريف كلا من العبادة والمعاملات معا. والسلطان هو الحاكم الحقيقي للدولة، وهو أيضا قائدها العسكري وإمامها الأول.

وكما أن الحكومة في الإسلام مسئولة عن تنفيذ الأحكام الشرعية وتحصيل الضرائب، فإنها أيضا - وبنفس القدر - مسئولة عن إجراء العبادات. والمعنى الذي يعطيه المسلمون للشريعة لا يشبه معنى القانون عندنا في الغرب. الشريعة - عند المسلمين - عبارة عن القرآن أولا ثم السنة ثانيا ثم الفتاوي ثالثا. والفتاوي تعنى الرؤى الحقوقية التي قال بها الأئمة والمجتهدون المتخصصون في علم الفقه. أصل الأساس في كل الأحكام الحقوقية هي: القرآن والسنة والإجماع والقياس. وتعتبر قواعد العرف والعادات، في حكم القانون المكمل للأحكام الشرعية الشريفة ولا يمكن للدولة أن تنفذ أي فرمان أو إرادة سلطانية أو أي قانون يصدره السلطان، إلا إذا صدق عليه شيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

انظر AHMET AKGUNDUZ OSMANLI KANUNNAMELERI VE HUKUKI TAHLILLERI,1.KITAP,OSMANLI HUKUKUNA GIRIS VE FATIH DEVRI KANUNNAMELERI, ISTANBUL 1990,C.1.S.46-47.

(١٧٣) هذا القول لم نعلم أن قائله أحد من علماء الإسلام، لأن الإسلام والشورى في الإسلام أساس الحكم.

(١٧٤) قهارمة: جمع قهرمان، وهي كلمة تركية تعنى: بطل شجاع. انظر: محمد على الأنسي، الدراري اللامعات، بيروت ١٣١٨هـ، ص ٤٤٣.

(١٧٥) " القطر " هو المطر.

(١٧٦) لم يذكر المؤلف مصدره في هذا القول. وقد قتل الأمين (١٩٨هـ- ٨١٣م).ولم يختل نظام العالم أو تحتجب الشمس أو يمتنع المطر أو يجف النبات.

(١٧٧)-(١٧٨) سلطة الخليفة ليست مطلقة، ولا يمكن الاستدلال على سلطته المطلقة من أقوال الشعراء، لأن الشعر شعر وليس علما. أما القول بأن الخليفة ظل الله الممدود بينه وبين خلقه فهو مجازي أو استعاري، ويقصد به أن السلطان أو الحاكم العادل يقيم العدل بين الناس وينفذ الشريعة فهو ينفذ حكم الله، أي أنه بمثابة ظل الله يحتمى به الناس من الظلم. عبد الحميد الشافعي: الدرة البهية في فضل العرب ومآثر الدولة العثمانية، الإسكندرية، ١٩٠٢،ص١٥.

(١٧٩) آل بويه في جنوب إيران وفي العراق: ٣٢٠- ٤٤٧هـ (٩٣٢-١٠٥٥م).

(١٨٠) عضد الدولة البويهي: ٣٦٧-٣٧٢هـ(٩٧٨-٩٨٣م).

(١٨١) التقليد معناه:تقليد الولاة الأعمال. انظر القاموس المحيط ج٢ سنة ١٩٨٧ بيروت ص ١/٣٩٩.

(١٨٢) خلط المؤلف هنا بين الإسلام دينا قويا لا يتضعضع وبين المسلمين وما ينتابهم من ضعف أو تضعضع.

(١٨٣) ألف جرجي زيدان مصنفه هذا سنة ١٩١١م.

(١٨٤) حدد الفقهاء شروط الخلافة وتنصيب الإمام بأربعة شروط هي: العدل والكفاية والعلم وسلامة الحواس واختلفوا على شرط خامس وهو النسب القرشي. إلا أن ابن خلدون يقرر أن الهدف والمقصود من هذا الشرط ليس النسب القرشي في حد ذاته بل إن ابن خلدون يرشدنا إلى فائدة هذا الشرط والمقصود منه إنما هو العصبية فيقول " .. إذا الفائدة في النسب إنما هي العصبية.. وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية هي وجود العصبية فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون

من قوم أولي عصبية غالبة على من معها لعصرها ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية" ابن خلدون مقدمة ابن خلدون : المطبعة البهية ص ١٦٩، ١٧٠.

(١٨٥) الطائع بالله الخليفة العباسي: ٣٦٣-٣٨١هـ (٩٧٤- ٩٩١م).

(١٨٦) طغرل بك: مؤسس دولة السلاجقة سنة ٤٣٢هـ (١٠٤٠م).

(١٨٧) القائم بأمر الله: ٤٢٢- ٤٦٧هـ (١٠٣١-١٠٧٥).

وكان طغرل بك قد دخل بغداد سنة ٤٤٧هـ(١٠٥٦م)، وأقيمت له الخطبة بها، وقد عقد للقائم بأمر الله عقد نكاحه على أرسلان خاتون ابنه داود أخي السلطان طغرل بك . وفي سنة ٤٥٠هت (١٠٥٨هـ) تمرد الأمير أرسلان البساسيري قائد جيش الخليفة في بغداد ورفع العلم الفاطمي ودعا للمستنصر، ولكن طغرل بك أعاد الخليفة إلى منصبه سنة ٤٥١هـ(١٠٥٩م) وقطعت رأس البساسيري. انظر : صدر الدين على الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م، ص ١٥-٢٠، عماد الدين محمد بن محمد حامد الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الفتح بن علي محمد البنداري الأصفهاني، القاهرة ، مطبعة الموسوعات، ١٣١٨هـ-١٩٠٠م، ص ١٣-٢٠، محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية، ص ٢٢٤- ٢٢٦.

(١٨٨) يبدو أن الخيال الروائي قد لعب دورا في هذه الحكاية، فلقد تزوج طغرل بك ابنة القائم بأمر الله على صداق مائة ألف دينار، وذلك في الخامس عشر من صفر سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م)، وتوفي في الثامن من رمضان سنة ٤٥٥هـ (١٠٦٣م) وعمره سبعون سنة. صدر الدين علي بن علي الحسيني: المصدر السابق، ص ٢١،٢٢.

(١٨٩) سنة تأليف هذا المخطوط ١٩١١م.

(١٩٠) هذه نظرة المؤلف إلى مفهوم الحكم العثماني.

(١٩١) تولى خاير بك نيابة مصر في ١٢ من شعبان سنة ٩٢٣هـ (٣٠ من أغسطس سنة ١٥١٧م). ابن إياس : المصدر السابق، ج٥، ص ٢٠٣.

(١٩٢) أوجاق المتفرقة: لم يتكون إلا في عام ٩٦٢ (١٥٥٤م) وهو يختص أساسا بخدمة الباشا والديوان؛ لذا عرف في الوثائق باسم متفرقة ديوان مصر، وكان خليطا من المشاة والفرسان. ولم يكن ينقسم إلى بلوكات، بل كانت إدارته تجري بواسطة كتبه المتفرقة تحت الإشراف المباشر لأمير أمراء مصر. وكان عدد أفراد هذا الأوجاق في أواسط القرن١٠هـ/١٦م خمسون فردا. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢٠٣،٢٠٤، سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني في القرن ١٦، دراسة وثائقية في النظم الإدارية والعسكرية والمالية والقضائية، القاهرة، مكتبة مدبولي ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٣٢٢.

(١٩٣) أوجاق الجاويشية: تشكل بموجب قانون نامة مصر سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م) من المماليك الذين أثبتوا إخلاصهم للسلطان العثماني، وكان يختص بخدمة الباشا والديوان لذا عرفوا باسم " جاوشان ديوان مصر" أو " جاويشية الديوان" . وفي أواخر القرن ١٠هـ/١٦م شكلت جماعة أخرى عرفت باسم " جاويشية مصر" كانوا يرقون وينتسبون لجماعة جاويشية الديوان". انظر أحمد فؤاد متولي،

قانون نامه مصر ص ٢٧، الأنجلو /١٩٨٦. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٢١٧؛ سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٣١٦- ٣١٨.

(١٩٤) ضابطان: جمع كلمة ضابط وتعنى ضباط، وهي صيغة جمع تركية على الطريقة الفارسية.

(١٩٥) لم يعرف أوجاق بهذا الاسم، وإنما هناك أوجاق كوكلويان وتنطق " جونولويان" بالجيم المصرية أي المتطوعون، وكانوا من الفرسان، وكانوا يتولون حراسة أمن القاهرة والولايات بجوار الكشاف بطريقة المناوبة.وكان عددهم في أواسط القرن١٠ هـ/ ١٦م (حوالي ٢٠٠٠فردا). أحمد فؤاد، مصدر سبق ذكره ص ٩. سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٢٨٧-٢٩١.

(١٩٦) أوجاق توفنكجيان: وتنطق " تفنكشيان" وهم الفرسان المسلحون بالبنادق، وقد تركزت مهامهم على حراسة وحماية الولايات القريبة من مصر، وأحيانا كانوا يستعملون في تحصيل الأموال الميرية في الولايات. وقد وصل عددهم إلى ١٤٠٠ فردا في أواسط القرن ١٠هـ/١٦م. أحمد فؤاد، المصدر السابق، ص ١٣. سيد محمد السيد: المرجع السابق، ٢٩٣.

(١٩٧) أوجاق العزبان: وقد تشكل بموجب قانون نامة ٩٣١هـ (١٥٢٥م)، وهي من الجنود المشاة غير المتزوج. وقد أسند للعزبان مهمة حراسة القلعة وضواحي القاهرة، لذا أشير إليها في الوثائق باسم " عزبان قلعة مصر". وكان على العزبان الدفاع عن مصر والاشتراك في الإمدادات الحربية التي يطلبها السلطان، واختص بمهمة إمداد ترسانة الإسكندرية والسويس بالتجارة من رجاله، كما كان عليه تقديم الرجال للقلاع الصغيرة في الأقاليم لحراسة الأراضي الزراعية ضد غارات الاعراب. وقد وصل عدد أفراد هذا الأوجاق ٧٠فردا في أواسط القرن ١٠هـ/١٦م. أحمد فؤاد ، المصدر السابق ص ٢١. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٩٥،١٩٦، سيد محمد السيد: المرجع السابق، ص ٣١٤-٣١٦.

(١٩٨) الصنجقية : من كلمة " سنجاق" التركية، وتعنى العلم أو القسم من ولاية كبيرة أو الحاكم على قسم من ولاية ، وقد تكون الصنجقية مجرد رتبة. وكانت الصنجقية أسمى الرتب في مصر العثمانية. وعرف الصناجق في الوثائق باسم " جماعت أمراء محافظين ولاية مصر". حسين أفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، تحقيق محمد شفيق غربال، بعنوان مصر في مفرق الطرق(١٧٩٨- ١٨٠١م)، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦. المصدر السابق، حاشية (٢) ص ١٤، ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ٣٩١،٣٩٢.

والجدول التالي يبين الأوجاقات العثمانية في مصر ، وتعدادها. بما يمثله من قوة، عام ١٦٦٤ وتطورها في قرن تقريبا حتى آخر سنة قبل وصول الحملة الفرنسية:

الأوجاق	١٦٦٤	١٧٨٩
١- المستحفظان	٤٨٩٩	٦٨٩٣
٢- للغربان	١٣٥٦	٣٢٧٤
٣- المتفرقة	٣٢٦٥	١٥١٩
٤- الجاووشان	١٢٥٩	٢٤١٥
٥- الكونوليان	١١٥٤	٢٠٣٧

الأوجاق	١٦٦٤	١٧٨٩
٦- التفنكجيان	٩٠٧	١١٠٠
٧- الجراكسة	٨٣٣	١٠١٧
المجموع	١٣٦٧٣	١٨٣٠٣

الأمير أحمد الدمرداش كتخدا غربان، مخطوطة الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق دانيال كريسيليوس وعبد الوهاب بكر، دار الزهراء للنشر، القاهرة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. المقدمة ص ٣٠، وليلى عبد اللطيف أحمد، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨.

(١٩٩) توفي السلطان سليمان القانوني في ٢٠من صفر سنة ٩٧٤هـ(٥ من سبتمبر سن ١٥٦٦م). وكان عمره ٧٤سنة، ومدة حكمه ٤٨سنة. سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٤،سليم فارس: أبدع ما كان في صور سلاطين آل عثمان الآستانة، مطبعة الجوائب، ص ١٠، محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٢٠٠) فتح بلغراد في ٢٥من رمضان سنة ٩٢٧هـ (٢٩من أغسطس سنة ١٥٢١م). محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٠٢، إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص ٨٦، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٩.

(٢٠١) فتح رودس في ٢من صفر سنة ٩٢٩هـ -٢١من ديسمبر سنة ١٥٢٢م. محمد فريد "المرجع السابق، ص ٢-٦، إبراهيم حليم : المرجع السابق، ص ٨٦، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧٢.

(٢٠٢) حوصرت فيينا للمرة الأولى سنة ١٥٢٩م لمدة ١٩يوما، وفي سنة ١٥٣٢م لمدة سبعة أشهر حتى توقيع الصلح بين الدولة العثمانية والنمسا في ٢٢ من يونيو سنة ١٥٣٣م. محمد فريد : المرجع السابق، ص ٢١٦-٢١٩، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ١٧٧-١٨٤.

(٢٠٣) دخل الصدر الأعظم إبراهيم باشا تبريز سنة ١٥٣٤م؛ ودخلها السلطان سليمان في أوائل سنة ١٥٤٨م. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٢٢، ٢٤٠، د. محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٠٠،٢٠٦.

(٢٠٤) عرف السلطان سليمان بالقانوني، لازدياد حركة الفتوح الإسلامية في عهده وبالتالي ازدياد حركة التقنين.

(٢٠٥) الصحيح أن إدارة مصر قد رسمت بمقتضى قانون نامة مصر، وتم العمل به .إلا أن ثورة أحمد باشا الخائن في مصر، جعلت الدولة العثمانية تعيد النظر في قانون نامة مصر، وتعدله وترجع به إلى قانون قايتباي لاتخاذه أساسا للتعديل.انظر، أحمد فؤاد قانون نامه مصر، المقدمة ص ٤-٥.

(٢٠٦) في المخطوط صورة للسلطان سليمان القانوني.

(٢٠٧) الصحيح أنه الديوان الكبير، فلقد نص قانون نامة مصر على إنشاء ديوانين، أشار إلى أولهما باسم" الديوان" فقط، وأشار إلى الثاني باسم ديوان ناظر الأقوال (الدفتردار) وهو الديوان الصغير. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٣٢-١٣٥.

(٢٠٨) لم يثبت من خلال الوثائق والمصادر المعاصرة أن الباشا كان يحضر الجلسات من وراء ستار، وإنما كان يحضر الجلسات ويشترك في المناقشات بصورة ظاهرة. ليلى عبد اللطيف، ص ١٣٩- ١٤٠.

(٢٠٩) لم يحدد قانون نامة أعضاء الديوان الكبير ولا اختصاصاته وإنما حدد مواعيد عقده بأربع مرات في الأسبوع. ويتضح من سجلات الديوان والمصادر المعاصرة أن عضوية الديوان عضوية وظائف وليست أشخاص وهم: كتخدا الباشا وقاضي عسكر أفندي والدفتردار والروزنامجي والأمراء الصناجق وأغاوات واختيارية الأوجاقات. وفي الجلسات ذات الطابع الخاص كان يحضرها أشخاص ليسوا من أعضاء الديوان وإنما يحضرون بوصفهم أطراف في نزاع أو شهود، وربما أوحى حضور هذه الشخصيات إلى بعض المؤرخين أن التجار والعلماء والأشراف وغيرهم كانوا أعضاء في الديوان. انظر: ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ١٣٧؛ عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث ١٥١٧-١٩١٩م الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م، ص ١٣١-١٣٢.

(٢١٠) كان في القلعة، وفي القاعة التي عرفت " بديوان قايتباي".

(٢١١) الدفتردار: رئيس الديوان الدفتري،وله الإشراف العام على مالية مصر، وتحصيل الأموال، وإنجاز مهام الحرمين وصرة أهالي مكة والمدينة، وتشهيل خزينة السلطان ومعتادات الأستانة، ومحاسبة الباشا في آخر عهده بالولاية.وكان يطرح مقاطعات الالتزامات في المزاد. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق. ص ١٦، حسن عثمان ومحمد محمد توفيق : تاريخ مصر في العهد العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م) في: بعض أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول،القاهرة ١٣٦١هـ- ١٩٤٢م، ص ٢٦٠.

(٢١٢) الروزنامجي: رئيس ديوان الروزنامة وكبير الأفندية، وكان مختصا بجمع الأموال الأميرية، أي إيرادات مصر من الأرض والجمارك والمناصب، وصرفها في الوجوه المقررة لها تحت إشراف الديوان الدفتري. وكان يعرض الأوامر الصادرة إليه من الباشا على الأقلام المختصة، ويرفع البيانات إلىالديوان الدفترى. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق ص ٢٥، ٢٦؛ ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٠١،٣٠٢.

(٢١٣) الصحيح أن هذه الأوجاقات السبع كانت تكّون الحامية العسكرية في مصر. وتفصيلها أن: انقسمت الحامية العسكرية العثمانية في مصر إلى سبعة فرق تسمى أوجاقات (مفردها أوجاق). وانقسم كل أوجاق إلى أقسام تسمى (بلوكات) مفردها (بلوك) يقود كل منها (بلوك باشي). وكان كل أوجاق تحت قيادة (أغا) يعاونه (كتخدا) ويعاون الاثنين ضباط الاختيارية. وكانت (الانكشارية) التي يشار إليها في مصر باسم المستحفظان (الحراس) و(العزبان) وهما الأوجاقان اللذان يعسكران داخل أسوار القلعة، هما الأوجاقان المهيمنان. أما باقي الأوجاقات فكانت المتفرقة (الحرس الشخصي للحاكم)، والجاوشان (المراسلات)، والجونوليان (المتطوعون) و التفنجيان (حملة البنادق) والجراكسة. بالنص من " أحمد الدامرداش كتخدا عزبان ، مخطوطة الدرة المصانة في أخبار الكنانة، مرجع سبق ذكره، ص ٤/٣٠.

(٢١٤) لم يحدد قانون نامة عدد رجال الأوجاقات، وهذا الرقم لم يذكر زيدان مصدره، ولم يثبت في الدراسات الوثائقية، وبخاصة في : ليلى عبد اللطيف وسيد محمد السيد.

(٢١٥) كان السلطان سليم الأول قد أمر بأن يكون لمصر ٢٤صنجقا أمراء طبلخانة أي تدق لهم الطبول وغيرها تعبيرا عن مكانتهم العالية. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق ، حاشية (٢) ، ص ١٤؛ ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص٣٩١. ونص ما جاء في أحمد الدمرداش، (في أعقاب فتحه لمصر عام ١٥١٧م أنشأ السلطان سليم (١٥١٢-١٥٢٠) أربعة وعشرون منصب (سنجق بك) في الولاية لمساعدة الحاكم (الباشا أو الوالي). وكان واحد وعشرون من هؤلاء السناجق البكوات الذين شغلوا وظائف (الدفتردار) و (أمير الحج) إلخ، يتمتعون بحق مصاحبة الطبول لهم في مواكبهم، ولذلك فإنهم عرفوا باسم (سناجق طبلخاناه).. عبد الوهاب بكر ودانيال كريسيليوس، مخطوطه الدرة المصانة في أخبار الكنانة، مصدر سبق ذكره، ص ١/٢٩.

(٢١٦) بيك أوبك : بمعنى كبير.ثري، وقد استخدمت في تاريخ مصر العثمانية كرتبة لأمراء المماليك الصناجق.

(٢١٧) القباطين.

(٢١٨) هم "القبودانات": و" القبودان" تعني قائد بحري، وكان لموانئ الإسكندرية، دمياط ، والسويس، ثلاث قبودانات يرسلون من قبل الباب العالي، ويعتبرون من صناجق مصر الأربعة والعشرون. حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق، ص ٢/١٤؛ ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٨٥.

(٢١٩) الصحيح" والدفتردار".

(٢٢٠) شيخ البلد كبير الأمراء المماليك: وهومنصب استحدث في القرن الثامن عشر، وكان شيخ البلد الشخص الثاني في الأهمية بعد الباشا. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٤٤٩.

(٢٢١) كُشاف: ومفردها، كاشف، وهوالذي يتولى إدارة كاشفية، وهي إقليم أقل في الولاية.وقد حدد قانون نامة أربعة عشر إقليما يديرها الكشاف؛ ثلاثة عشر منها في مصر السفلي والوسطى، والرابع عشر يكون في واحة الخارجة في الصحراء الغربية ووجدت بمصر في العصر العثماني خمسة أقاليم إدارية كبرى هي: الغربية والمنوفية والشرقية والبحيرة وجرجا. كما وجد بمصر ٢٤ قسما أصغر عرف بالكاشفيات، ثلاثة بمصر السفلى، وسبع في مصر الوسطى، وأربعة عشر كاشفية في مصر العليا. وقد تناول التعديل أكثر من مرة أقسام مصر الإدارية من حيث العدد والمساحة واعتبارها ولايات أو كاشفيات. ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٩، ٣٨٠،٣٨١،٤٥٣.

(٢٢٢) أعدنا تنظيم كتابة الفقرة من جديد نظرا لسقوط كلمات كثيرة منها، فأصبحت على النحو التالي:

" هذا من قبيل الإدارة،أما من قبيل محصولات البلاد فإن السلطان سليمان صرح بأنه المالك الحر لجميع أرض مصر، فكانت له ملكا وكان يفرقها إقطاعات على مزارعين كان يدعوهم الملتزمين. على أنه لم يكن له أن يمنع إقطاعها أو يوقفه. فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الإقطاعات والملك الحقيقي. والفلاحون الذين كانوا يحرثون تلك الأراضي كانوا يتمتعون بنصيبهم منها ويورثونها لأعقابهم ولكنهم كانوا مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها. وعليهم خراج لا مناص من دفعه للملتزمين. فإذا توفي فلاح عن غير وريث تعطي أرضه للملتزم وهو يعهد حراثتها إلى من يشاء ن وإذا مات

الملتزم عن غير وريث تعود الأرض للسلطان. وكان على كل من الملتزمين والفلاحين خراج يدفعونه إما نقدا وإما عينا، فإذا تأخر الفلاح عن الدفع يمنع من نوال نصيبه، وإذا تأخر الملتزم يؤخذ الأرض منه". جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث، ج٢، ص ٧١.

(٢٢٣) سقطت كلمة "ممكنا" كذلك في هذا الوضع في المخطوط.

(٢٢٤) أجريت مساحة جديدة للأراضي المصرية في سنة ٩٣٣هـ(١٥٢٦) في ولاية سليمان باشا الخادم على مصر: ٩٣١هـ - ٩٤١هـ (١٥٢٥-١٥٣٥م). ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٧٩.

(٢٢٥) الصحيح " خان". وقد سقطت من الطبعة الأولى.

(٢٢٦) توفي " خاير بك" في ١٤ من ذي القعدة سنة ٩٢٨هـ(٥ من أكتوبر سنة ١٥٢٢م)، ودفن في مدرسته التي أنشأها عند باب الوزير. ابن إياس: المصدر السابق، ج٥، ص ٤٨١، ٤٨٢.

(٢٢٧) تولى "مصطفى باشا" في ٥ من ذي الحجة سنة ٩٢٨هـ(٢٤ من أكتوبر سنة ١٥٢٢م). ابن إياس المصدر نفسه، ص ٤٩٠ .ومصطفى باشا وتسميه المصادر العثمانية إيلاق مصطفى باشا، وصل إلى القاهرة في ٢٨ذي الحجة ٩٢٨هـ وظل بها تسعة أشهر وخمس وعشرين يوما وتولى بعده أحمد باشا الذي تصفه المصادر العثمانية بصفة خائن أحمد باشا. كذلك تعتبر هذه المصادر أن مصطفى باشا" الفاتح الجديد للديار المصرية" لأنه قضى على عصيان جانم السيفي كاشف البهنسا واينال الطويل كاشف الغربية ، وأرسل رأس جانم إلى استانبول لإعلان انتهاء العصيان. انظر عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصرده عثمانلي واليلري، مخطوط تركي عثماني، مكتبة حكيم أوغلو علي باشا تحت رقم ٧٠٥، ورقة ٤ب، وهو تاريخ عثماني تناول الولاة العثمانيين في مصر من البداية حتى عهد عبدي باشا، ١٩صفر١١٢٨هـ.

(٢٢٨) الصحيح : ".. أبدل أحمد باشا به" لأن الباء تدخل على المتروك.وأحمد باشا: تولى في مصر بعد أيلاق مصطفى باشا. ألباني ، قدم إلى مصر في ٢٨شوال سنة ٩٢٩هـ وقُتل في ٢٠ربيع الأول عام ٩٣٠هـ. تصفه المصادر العثمانية بالخائن وكذلك " لجوج وعنيد ، باطل ومغرور، لا يعقل". تمرد على السلطة العثمانية وأراد الاستقلال بمصر، في ٦ ربيع الآخر من عام ٩٣٠هـ وكان يوم خميس، وفي اليوم التالي أمر إمام جامع القلعة بأن يقرأ الخطبة باسمه على أنه " الملك المنصور أحمد" . أخمدت فتنته وقطعت رأسه وعلقت على باب زويلة ثم أرسلت إلى الآستانة إعلاما بقطع دابر الفتنة وعقب هذا الإعلام أسندت الولاية إلى كوزلجه قاسم باشا، عبد الكريم بن عبد الرحمن، نفس المصدر السابق ورقة ٧أ.

(٢٢٩) الصحيح " طمع في الاستقلال" .

(٢٣٠) ذكره الإسحاقي " وهب جانم الحمزاوي". الإسحاقي، محمد عبد المعطي: أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، القاهرة، ١٣٠٣هـ ، ١٦٥. (وسوف يذكر فيما بعد مختصرا بأخبار الأول..).

(٢٣١) ذكر أحمد شلبي عبد الغني أن " قاسم باشا" قدم إلى مصر في غرة جمادي الآخر سنة ٩٣١هـ (٢٦مارس سنة ١٥٢٥م)، وعزل بعد سنة . أما الإسحاقي فيذكر ولاية " قاسم باشا " في الترتيب قبل

أحمد باشا (٩٢٩-٩٣٠هـ)، وهو ترتيب يختلف عن كل المصادر الأخرى في ترتيب الولاة. والسبب في هذا التضارب، أن قاسم باشا تولى مرتان الأولى عقب خروج مصطفي باشا وعودته إلى استانبول، والأخرى بعد إعدام أحمد باشا. والجدول الآتي يوضح هذه المسألة:

مسلسل	اسم الوالي	بداية ولايته	نهاية ولايته	مدة ولايته		
				يوم	شهر	سنة
١	يونس باشا	١٥١٧/١/٢٤	١٥١٧/٨/٢٥	٢	٧	-
٢	محمد خير بك باشا	١٥١٧/٨/٢٥	١٥٢٢/٩/٢٩	٥	١	٥
٣	مصطفى باشا: جوبان، داماد	١٥٢٢/٩/٢٩	١٥٢٣/٥/٢٧	٢ ٨	٧	-
٤	قاسم باشا:/ كوزلجه	١٥٢٣/٥/٢٧	١٥٢٣/٧/١	. ٥	١	-
٥	أحمد باشا:/ الخائن	١٥٢٣/٧/١	١٥٢٤/٨/١	-	١	١
٦	قاسم باشا: / كوزلجه (للمرة الثانية)	١٥٢٤/٨/١	١٥٢٥/٤/١٤	-	١٠	-

YILMAZ OZTUNA,BUYUK TURKIYE TARIHI, C.14,S.SI, OTUKEN YAYIN EVI, IST.1979.

انظر أيضا: أخبار الأول..، ص ١٦٥، أحمد شلبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن ولي مصر القاهرة من الوزراء والباشات، تقديم وتحقيق وضبط وتحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٠٤. (وسوف يذكر فيما بعد مختصرا بأوضح الإشارات..). وانظر أيضا عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ٥أو٧أ. الذي يتفق مع أحمد شلبي عبد الغني في قدوم قاسم باشا في غرة جمادي الآخر سنة ٩٣٠هـ

(٢٣٢) الصواب " استبدل إبراهيم باشا به" لأن " الباء" تدخل على المتروك.

(٢٣٣) كانت مدة ولايته سبعة أشهر في سنة ٩٣١هـ (١٥٢٤-١٥٢٥م). أخبار الأول.. ، ص ١٦٥، أوضح الإشارات، ص ١٠٦.

(٢٣٤) الصحيح أن " سليمان باشا الخادم" تولى سنة ٩٣١هـ (١٥٢٥م). نفس المصدرين والصفحة ويوجز عبد الكريم بن عبد الرحمن في استهلاله لولاية سليمان باشا الخادم، بالتالي : " كانت توليته في اليوم الثاني والعشرين من شعبان عام ٩٤١ وعودته (يقصد من مصر إلى استانبول، في السابع عشر من شعبان عام ٩٣١ ومدة ولايته عشر سنوات. عبد الكريم عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره ورقة ٨أ.

(٢٣٥) كانت الحملة إلى اليمن والهند لمحاربة البرتغاليين، انظر : انظر إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، ج٢،القاهرة، ١٣١٤هـ، ص ١٩٥.

(٢٣٦) لم ينشئ " سليمان باشا الخادم" جامع سارية، وإنما قام بتجديده. أخبار الأول.. ، ص ١٦٥، أوضح الإشارات ، حاشية ٥١، ص ١٠٧. وبنص قول عبد الكريم بن عبد الرحمن : " وقلعه عامره ده أولان شيخ ساريه نك مقامي وجامعنى انشا وتعمير ايلدي " بمعنى انشأ وجدد مقام وجامع الشيخ سارية الكائن في القلعة العامرة. عبد الكريم مصدر سبق ذكره ، ورقة ٨(أ). ومما ينبغي ذكره أن سليمان باشا الخادم أنشأ في بولاق جامعا حمل اسم هذا الجامع وأخذ شارع سليمان باشا الخادم في بولاق اسمه – حتى الآن–من اسم هذا الجامع ، وقد سمى عبد الكريم ابن عبد الرحمن هذا الجامع باسم السليمانية.

(٢٣٧) وقد تولى سليمان باشا الخادم الصدارة العظمى من سنة ٩٤٧هـ إلى سنة ٩٥١هـ (١٥٤٠-١٥٤٤م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣١.

(٢٣٨) بنى داود باشا مدرسة بسويقة صفية اللاله، وكانت لها أوقافا. انظر بتفصيل : أمال أحمد العمري: دراسات في وثائق داود باشا والي مصر، القاهرة ، ١٩٨٦م).

(٢٣٩) ذكر الإسحاقي أن " داود باشا" توفي في ربيع الأول سنة ٩٥٥هـ (مايو ١٥٤٨م)، أما أحمد شلبي فيذكر سنة وفاته خطأ ٩٤٦هـ - ١٥٣٩م)، والصحيح أنه توفي سنة ٩٥٦هـ (١٥٤٩م) كما هو واضح من السياق التاريخي.

(٢٤٠) وقد تولى الصدارة العظمى من سنة ٩٦٨هـ إلى ٩٧٢هـ (١٥٦٠-١٥٦٤م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، ص ٣١.

(٢٤١) الشهير " بدوقتركين زاده" في "أخبار الأول.." ، والشهير" بدوقيه كين" في " أوضح الإشارات.." ويرد اسمه في المصادر العثمانية على شكل " دُوقه كين زاده وهو الصحيح، والكاف فيه فارسية.

(٢٤٢) تولى اسكندر باشا من سنة ٩٦٣هـ إلى سنة ٩٦٦هـ (١٥٥٦م- ١٥٥٩م).

(٢٤٣) الصحيح أن " على باشا الخادم" تولى من سنة ٩٦٦هـ إلى سنة ٩٦٨هـ (١٥٥٩-١٥٦٠م). أخبار الأول..، ص ١٦٦؛ أوضح الإشارات..، ص ١١٣.

(٢٤٤) ولي " مصطفى باشا" في ربيع الأول سنة ٩٦٨هـ (نوفمبر سنة ١٥٦٠م). أخبار الأول..، ص ١٦٦؛ أوضح الإشارات.. ، ص ١١٤.

(٢٤٥) ويعرف " بكيلون" في "أوضح الإشارات.." . وكذلك في عبد الكريم بن عبد الرحمن.

(٢٤٦) الصحيح " أبدل محمود باشا بعلى باشا الصوفي".

(٢٤٧) الصواب " فجاء من الأستانة بموكب عظيم".

(٢٤٨) صحة الكلمة " صوباشي" ، ومعناها: منبع ، شحنة، من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان، وكليل المزرعة. الدراري اللامعات، ص ٢/٣٣٩.

والصوباشي ليس رئيس الجلادين كما يذكر المؤلف ، وإنما هو الضابط الذي يقوم بمتابعة المخالفين للشرع والقانون والقبض عليهم، والكلمة في معناها الأصلي تعنى" رئيس الجند" ، وهي مكونة من " صو" في اللغة القديمة بمعنى الجند، و" باش" بمعنى الرئيس ، و" الياء" أداة الإضافة، ثم أصبحت

الكلمة علما على المحتسب والشرطي، ويسمى بالعربية " الشحنة". علي همت بركي الآقسكي: المرجع السابق. حاشية ١،ص ١٤٥.

(٢٤٩) هكذا في الأصل.

(٢٥٠) وهو أول باشا يقتل في مصر على يد مجهول. وقد ذكر الإسحاقي أنه قتل يوم الأحد ١٩من جمادي الآخرة سنة ٩٧٥هـ (٢١من ديسمبر ١٥٦٧م)، بينما يحدد أحمد شلبي عبد الغني يوم الأربعاء ٢٠من جمادي الآخرة سنة ٩٧٤هـ (٢من يناير ١٥٦٧م). أخبار الأول.. ، ص١٦٦، أوضح الإشارات..، ص ١١٥.

(٢٥١) وضع المؤلف صورة (نقود سليمان القانوني).

(٢٥٢) الصحيح أن سليم الثاني كان في الرابعة والأربعين من عمره عندما تولى السلطنة، وهذا واضح من الفرق بين تاريخ الميلاد (٩٣٠هـ) وتاريخ التولية (٩٧٤هـ).

(٢٥٣) هي روكسلانا الروسية ، وعرفت باسم خُرَّم سلطان بعد إسلامها، وكانت عظيمة الحظوة عند السلطان سليمان القانوني، وهي تعد مثالا لقوة نفوذ الحريم في الدولة العثمانية ، وقد تأتي لها أن تصبح زوجة سليمان القانوني الشرعية، فاستطاعت أن تجعل العرش لولدها سليم بدلا من الأمير مصطفي الابن الأكبر للسلطان. وقد توفيت سنة ١٥٥٨م. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ٩٦-٩٧.

(٢٥٤) تولى " صوقللي محمد باشا" الصدارة في سلطنة سليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث من سنة ٩٧٢هـ إلى ٩٨٧هـ (١٥٦٥-١٥٧٩م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص٣١،٣٢.

(٢٥٥) الصحيح : " إنما تتقدم بشخص ملكها وتكون كما يكون".

(٢٥٦) هي الأفلاق والبغدان في رومانيا حاليا.

(٢٥٧) واقعة ليبانتو: حدثت في ١٧جمادي الأولى سنة ٩٧٩هـ (٧أكتوبر سنة ١٥٧١م) في خليج ليبانتو بين الأسطول العثماني (٢٥٠ سفينة)، وأسطول التحالف المسيحي (٢٣١ سفينة)، المكون من إسبانيا والبندقية ونابولي ومالطة وفرنسا والبابا. وقد خسر العثمانيون مائتي سفينة، وقتل من الجنود العثمانيين نحو ٢٠,٠٠٠، وكانت خسائر التحالف ١٥سفينة ، و٨٠٠٠جندي. إسماعيل سرهنك: المرجع السابق، ج١، ص ٥٥٨-٥٦٠.

(٢٥٨) وذلك في ١٣من شعبان سنة ٩٧٥هـ (١٢من فبراير سنة ١٥٦٨م). أخبار الأول..، ص ١٦٦.

(٢٥٩) طبقا للإسحاقي ولي اسكندر باشا الجركسي في ٤ من جمادي الآخرة ٩٧٦هـ (٢٥من أكتوبر سنة ١٥٦٨م)، بينما ذكر أحمد شلبي عبد الغني يوم ١٤من جمادي الآخرة سنة ٩٧٦هـ (٤من ديسمبر سنة ١٥٦٨م). أخبار الأول .. ، ص ١٦٧، أوضح الإشارات ..، ص ١١٧.

(٢٦٠) لم يذكر المؤلف مصدره في صفات " اسكندر باشا الجركسي" ، فقد وصفه أحمد شلبي عبد الغني بأنه " كان ظالما جبارا، عارض الفقرا في أرزاقهم وأموالهم، ووضايقهم وما في أيديهم، وزاد ظلمه وجوره، فاتصلت أخباره إلى الدولة العلية، فأرسل مولانا السلطان بعزلانه فدعوا عليه في الجامع الأزهر فوق المآذن".انظر : أوضح الإشارات ..، ص ١١٧.

(٢٦١) وقد تولى " سنان باشا" الصدارة العظمي في سلطنة مراد الثاني ومحمد الثالث. سالنامة سنة ١٢٩٤هـ،ص ٣٢،٣٣.

(٢٦٢) الصحيح " ولا يعاب إلا على كثرة حلمه".

(٢٦٣) وضع المؤلف صورة نقود السلطان سليم الثاني.

(٢٦٤) توفي السلطان مراد الثالث في ٨من جمادي الأولى سنة ١٠٠٣هـ (١٩من يناير سنة ١٥٩٥م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، ص ٢٤، محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٦٦.

(٢٦٥) الصحيح أن يقال: " ولم يبلغ الثلاثين من عمره". وهذا واضح من سنة الميلاد (٩٥٣هـ) وسنة التولية (٩٨٢هـ).

(٢٦٦) تولى السلطان بايزيد بن مراد في ٤من رمضان سنة ٧٩٢هـ (١٦من أغسطس سنة ١٣٩٠م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ،ص ٢٣.

(٢٦٧) نص الآية الكريمة: " واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين" سورة البقرة– ١٩١.

(٢٦٨) صحة الاسم قورقود.

(٢٦٩) هي بولندا، وقد دخلت في حماية الدولة العثمانية في ٣٠من يوليو سنة ١٥٧٧م. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٢٧٠) المقصود " فكان"

(٢٧١) ولي مسيح باشا من سنة ٩٨٢هـ إلى سنة ٩٨٨هـ (١٥٧٤- ١٥٨٠م). أخبار الأول..، ص ١٦٧، ١٦٨، أوضح الإشارات..، ص ١١٩. وعبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره ورقة ١٤ب .

(٢٧٢) لم يذكر المؤلف مصدره في هذا العدد.

(٢٧٣) الشيخ نور الدين القرافي: كان أحد علماء عصره، وكان " مسيح باشا" يعتقد فيه اعتقادا زائدا، واختص بصحبته، وبنى له الجامع، وجعل نظر أوقافه له ثم لذريته من بعده. أوضح الإشارات..، حاشية ١٠٦،ص ١١٩.

(٢٧٤) يتفق الإسحاقي وأحمد شلبي عبد الغني في تاريخ ولاية حسن باشا الخادم(جماد أول ٩٨٨هـ - يونية ١٥٨٠م)، ويختلفان في تاريخ العزل. يحدد الإسحاقي يوم ١٣من ربيع الآخر سنة ٩٩١هـ (٦من مايو سنة ١٥٨٣م)، بينما يذكر شلبي سنة ٩٩٠ هـ (١٥٨٢م). أخبار الأول.. ، ص ١٦٨، أوضح الإشارات . ، ص ١٢٠. في حين يذكر عبد الكريم بن عبد الرحمن تاريخ ولاية حسن باشا الخادم ١٦جمادي الآخر ٩٨٨وعزله ١٣ربيع الآخر ٩٩١هـ، المصدر ورقة ١٥ب.

(٢٧٥) ١٠من رجب سنة ٩٩١هـ (٣٠من يوليو سنة ١٥٨٣م)- ٣٠من رمضان سنة ٩٩١هـ (١٧من أكتوبر سنة ١٥٨٣م).

(٢٧٦) تولى "حسن باشا الخادم" الصدارة العظمى سنة ١٠٠٦هـ (١٥٩٧م)، لمدة ستة أشهر قبل أن يعدم. سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٣.

(٢٧٧) يتفق الإسحاقي وأحمد شلبي عبد الغني في سنة تولية إبراهيم باشا(٩٩١هـ -١٥٨٣م). ولكنهما يختلفان في سنة العزل. يحدد الإسحاقي شهر شوال سنة ٩٩٢هـ (أكتوبر سنة ١٥٨٤م)، ويذكر شلبي عبد الغني العاشر من شوال سنة ٩٩٣هـ (٥من أكتوبر سنة ١٥٨٥م). أخبار الأول..، ص ١٦٨، ١٦٩، أوضح الإشارات..، ص ١٢٠. أما عبد الكريم فيذكر: قدومه إلى مصر في ٢٤ ربيع الآخر سنة ٩٩١وعزله في ١٢شوال ٩٩٢، عبد الكريم بن عبد الرحمن ١٥ب.

(٢٧٨) يختلف الإسحاقي وشلبي عبد الغني في تاريخ ولاية وعزل " سنان باشا" ، وربما يرجع ذلك إلى هروب" سنان باشا" عند مجئ " أويس باشا" للتحقيق في مالية مصر. يحدد الإسحاقي تاريخ التولية في شوال سنة ٩٩٢هـ (اكتوبر سنة ١٥٨٤م)، والعزل في ١٣من ربيع الآخر سنة ٩٩٥هـ (١٣من مارس سنة ١٥٨٧م). أما شلبي عبد الغني فيذكر تاريخ التولية في ١٣من شوال سنة ٩٩٣هـ (٨من أكتوبر سنة ١٥٨٥م)، والعزل في ١٤من ربيع الآخر سنة ٩٩٤هـ (٤ من أبريل سنة ١٥٨٦م). أخبار الأول..، ص ١٦٩؛ أوضح الإشارات..، ص ١٢١.

(٢٧٩) نتيجة للاختلاف السابق، اختلف الإسحاقي وشلبي عبد الغني في سنة تولية " أويس باشا" ، فيحدد الإسحاقي يوم الثالث عشر من جمادي الآخرة سنة ٩٩٥هـ (٢١من مايو سنة ١٥٨٧م)، بينما يذكر شلبي عبد الغني يوم الثاني عشر من جمادي الآخرة سنة ٩٩٤هـ (٣١من مايو سنة ١٥٨٦م). أخبار الأول...، ص ١٦٩، ١٧٢، أوضح الإشارات..، ص ١٢١.

(٢٨٠) الصحيح " رهنا".

(٢٨١) انظر تفاصيل ثورة الجند السباهية ضد " أويس باشا" في : عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره ورقة ١٧أوب. وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر، ١٥٦٤-١٦٠٩م (٩٧١-١٠١٧هـ) رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ١٧٢-١٨٣.

(٢٨٢) توفي بالسكتة فجأة في رجب سنة ٩٩٩هـ (أبريل ١٥٩١م) أخبار الأول.. ، ص ١٧٢؛ أوضح الإشارات..، ص ١٢١.

(٢٨٣) وقد تولى" حافظ أحمد باشا" الصدارة العظمى في سلطنة مراد الرابع لمدة ١١شهرا (١٠٣٤-١٠٣٥هـ). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.

(٢٨٤) في المخطوط صورة نقود السلطان مراد بن سليم.

(٢٨٥) الصحيح أن السلطان محمد الثالث تولى في ١٦من جمادي الأولى سنة ١٠٠٣هـ (٢٧من يناير سنة ١٥٩٥م) وتوفي في ١٢من رجب سنة ١٠١٢هـ (١٦من ديسمبر سنة ١٦٠٣م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٤؛ سليم فارس : المرجع السابق ، ص ١٣.

(٢٨٦) الصحيح أنه تولى السلطنة وهو في التاسعة والعشرين، وهذا واضح من الفرق بين تاريخ الميلاد (٩٧٤هـ) وتاريخ التولية ١٠٠٣هـ).

(٢٨٧) الصحيح في كتابتها: " ومما يذكر له أن السلطانين السابقين (مراد وسليم الثاني)، كانا قد تقاعدا عن قيادة الجند في ساحة الوغي".

(٢٨٨) في المخطوط صورة نقود السلطان مراد بن سليم .

(٢٨٩) هو" قودر باشا " في "أخبار الأول.." ، و"قرط باشا" في " أوضح الإشارات..". وقد تولى في رمضان سنة ١٠٠٣هـ (مايو سنة ١٥٩٥م)، وعزل في رجب سنة ١٠٠٤هـ (مارس سنة ١٥٩٦م). أخبار الأول..، ص ١٧٣، أوضح الإشارات..، ص ١٢٣.

(٢٩٠) أما صحة اسمه بالعثمانية فيكتب على قورد كما كتبها عبد الكريم بن عبد الرحمن، ورقة ١٨ب.

(٢٩١) شوال سنة ١٠٠٤هـ (مايو سنة ١٥٩٦م).

(٢٩٢) انظر تفاصيل فتنة الجند السباهية في عهد " محمد باشا" في : عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ١٩بو ٢٠أ-ب. وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٨٤-١٩٢.

(٢٩٣) الصحيح: " إلا بشق الأنفس".

(٢٩٤) أصلها ولِي: ومعناها: مجنون. معتوه. مجذوب. أهوج. أرعن. الداراري اللامعات، ص ١/٢٥٥. وقد أطلقت هذه الصفة على " الدلاة" أو " الأدلاء"، وهي فرقة من الخيالة الخفيفة تعمل في مقدمة الجيوش العثمانية، استحدثت في الروملي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. ولما كان هؤلاء من الشجاعة والجسارة بحيث كانوا يحملون على الأعداء بتهور غير مبالين بالموت ليمهدوا الطريق للجيش، فقد حرف اسمهم من ' دليللر" إلى " دليلر"، أي " المجانين".انظر:- الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني: مخطوطة" ضيانامه" للدارندلي، دراسة وترجمة جمال سعيد عبد الغني رسالة ماجستير من كلية الآداب جامعة عين شمس ، بإشراف الدكتور محمد حرب، طبعت في سلسلة تاريخ المصريين- ١٣٤، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ٤٧٤.

(٢٩٥) الأصل: صوباشي.

(٢٩٦) في المخطوط صورة والي مصر في موكبه بالقرن العاشر للهجرة.

(٢٩٧) ١٧من ذي الحجة سنة ١٠٠٦هـ (٢١من يوليو سنة ١٥٩٨م).

(٢٩٨) الصحيح " استبدل خضر باشا بمحمد باشا".

(٢٩٩) ٢٠من رمضان سنة ١٠٠٩هـ (٢٥من مارس سنة ١٦٠١م).

(٣٠٠) انظر تفاصيل فتنة الجند السباهية في عهد " خضر باشا" في: عبد الكريم بن عبد الرحمن ، مصدر سبق ذكره، ورقة ٢١ب، وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٩٢-١٩٦.

(٣٠١) عُزِل " خضر باشا" في المحرم سنة ١٠١٠هـ (يولية سنة ١٦٠١م). أخبار الأول..، ص ١٧٤، أوضح الإشارات..، ص ١٢٦.

(٣٠٢) ذكر الإسحاقي أن " على باشا" أرسل إلى الآستانة طالبا أن يستعفي بسبب المرض، فأذن له في ٦من ربيع الأول سنة ١٠١٢هـ (١٤من أغسطس سنة ١٦٠٣م)، وقد تقلد " على باشا" الصدارة

العظمى لمدة سبعة أشهر في سلطنة أحمد بن محمد. أخبار الأول..، ص ١٧٥؛ سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٤.

(٣٠٣)، (٣٠٤) بيرى بك:أمير الحج، تولى في ١٠من ربيع الأول سنة ١٠١٢هـ (١٨من أغسطس ١٦٠٣م). وتوفي في ١٦من شعبان سنة ١٠١٢هـ (١٩من يناير سنة ١٦٠٤). عثمان بك : أمير اللواء ، تولى لمدة ثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوما. أخبار الأول..، ص ١٧٨.

(٣٠٥) ١٦من رجب سنة ١٠١٢هـ (٢٠من ديسمبر سنة ١٦٠٣م). (في المخطوط صورة نقود السلطان محمد بن مراد، وكتب المؤلف تحتها عبارة مطبوعة هي نقود السلطان محمد بن مراد ضربت في القاهرة سنة ١٠٠٢.

(٣٠٦) هناك ردّ على هذا الأمر في المقدمة.

(٣٠٧) كانت مدة ولايته أربعة أشهر وثمانية أيام (وعشرة أيام في احمد شلبي). أخبار الأول.. ، ص ١٨١، أوضح الإشارات ...، ص ١٢٩.

(٣٠٨) ربيع آخر سنة ١٠١٣هـ (أغسطس ١٦٠٤م).

(٣٠٩) لم يحدد المؤلف تاريخ اليوم السابق في الفقرة السابقة.

(٣١٠) وهو أول" باشا" يقتله الجند في مصر. ويختلف الإسحاقي وأحمد شلبي في تحديد تاريخ مقتله، ففي أخبار الأول.." قتل يوم السبت الأول من جمادي الأولى سنة ١٠١٣هـ (٢٥من سبتمبر سنة ١٦٠٤م)، بينما في أوضح الإشارات.." يوم ١٣من ربيع الآخر سنة ١٠١٣هـ (٨من سبتمبر سنة ١٦٠٤م). أخبار الأول .. ، ص ١٨٠؛ أوضح الإشارات..، ص ١٢٩. وعن تفاصيل فتنة الجند السباهية وقتلهم " إبراهيم باشا" ، انظر: عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ١٩٧-٢٠٦.

(٣١١) خُسْرَوْ: بضم الخاء وسكون السين وفتح الراء وسكون الواو، هي كلمة فارسية الأصل واستخدمها الأتراك ، وهي اسم علم ، ولها معان.

(٣١٢) الصحيح" هذه "

(٣١٣) هكذا في الأصل.

(٣١٤) في " أخبار الأول.." هو قاضي العسكر مصطفي أفندي عزمي زاده، وفي " أوضح الإشارات.. " هو عرب زاده.

(٣١٥) يختلف الإسحاقي وأحمد شلبي في أيام وشهور التولية والعزل : في الإسحاقي: من ١٧من رجب سنة ١٠١٣هـ (٩من ديسمبر سنة ١٦٠٤م)إلى ١٢من ربيع الأول سنة ١٠١٤هـ(٢٨ من يوليو سنة ١٦٠٥م) وفي أحمد شلبي: من ٢٥من رجب سنة ١٠١٣هـ (١٧من ديسمبر سنة ١٦٠٤م) إلى غرة جماد أول سنة ١٠١٤هـ (١٤من أكتوبر سنة ١٦٠٥م) أخبار الأول..، ص ١٨١، أوضح الإشارات..، ص ١٣٠.

(٣١٦) قرا ميدان: وهو الميدان الممتد أسفل سور القلعة وكان يطلق عليه ميدان الرميلة، ومكانه الحالي منطقة المنشية وميدان صلاح الدين. أوضح الإشارات.. ،حاشية ١٧٤ص ١٣٢. في المخطوط صورة لجامع السلطان أحمد بالأستانة.

(٣١٧) الصحيح عنقيهما.

(٣١٨) وقد ولي " كرجي محمد باشا" الصدارة العظمى في سلطنة مصطفى خان لمدة أربعة أشهر سنة ١٠٣١-١٠٣٢هـ ١٦٢٢م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٥.

(٣١٩) بكلر بكي أو بيلربي: أمير الأمراء أو الأمير على الصناجق. انظر: كريسليوس وبكر، مقدمة الدرة المصانة، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.

(٣٢٠) عزل " حسن باشا" في صفر سنة ١٠١٦هـ (يونيو١٦٠٧م). أخبار الأول..، ص ١٨١؛ أوضح الإشارات ..، ص ١٣٠.

(٣٢١) وهو المعروف" بقول قران" أوضح الإشارات..، ١٣١.

(٣٢٢) ٧من صفر سنة ١٠١٦هـ (٣من يونية سنة ١٦٠٧م)

(٣٢٣) المتفرقة هنا لقب ولا تعنى ما تعنيه في العربية. وهي من كلمة فرق العربية، والكلمة تعني المنفصلين، وهم حرس كانوا يستخدمون في مهام " خاصة " أو مختلفة. وكان الكتاب الأجانب يشيرون إليهم على أنهم " حرس الشرف " ... انظر هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى ص ١٢٧-١٢٨من الجزء الأول، القاهرة ١٩٧١.

(٣٢٤) ٩من ذي الحجة سنة ١٠١٧هـ (١٦من مارس سنة ١٦٠٩م)

(٣٢٥) يذكر أحمد شلبي عبد الغني أن جملة من استسلموا ثلاثة عشر جربجيا ومائة من الجند، وتم نفي نحو ٤٠٠من الجند إلى اليمن. أوضح الإشارات..، ص ١٣٢. انظر تفاصيل هذه الفتنة والعصيان ضد " محمد باشا" في : عبد الكريم بن عبد الرحمن، مصدر سبق ذكره، ورقة ٣٠ب-٣٢أ. وكذلك عفاف مسعد السيد العبد: المرجع السابق، ص ٢٠٧-٢٢٥.

(٣٢٦) وقد عُرف " محمد باشا" بمبطل مظلمة ضريبة الطلبة. وكان إبطال هذه المظلمة "تنبيه وتأكيد من السلطان وجهه إلى محمد باشا قبيل توجهه إلى مصر، لذلك كان إبطالها أول عمل له. انظر عبد الكريم بن عبد الرحمن، ورقة ٢٩أ-ب.

(٣٢٧) برح" محمد باشا" مصر في جمادي الآخرة سنة ١٠٢٠هـ(أغسطس سنة ١٦١١م) وكانت مدة ولايته أربع سنوات وأربعة أشهر (وإثنى عشر يوما في الإسحاقي). وقد ولي الصدارة العظمي مدة سنة (١٠٢٨-١٠٢٩هـ) في سلطنة عثمان الثاني. أخبار الأول.. ، ص ١٨١-١٨٣؛ أوضح الإشارات ..، ص ١٣١، سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، ص ٣٥.

(٣٢٨) شرح أحمد شلبي عبد الغني هذه العلاقة فقال: " كان له رجلا يقال له يوسف أغا، وكان شهر حوالته (جامع الاموال الأميرية)، وكان قد ألقي الله محبة ذلك الأغا في قلب الوزير. وكان يدلس عليه. وكان كل شئ شرع فيه الوزير يخالفه فيه ، ويدخل عيه بأمور لم يسع الوزير مخالفته. وكانت جميع الأمور مقاليدها بيده.." . أوضح الإشارات..، ص ١٣٣.

(٣٢٩) لم يذكر المؤلف مصدره في ذلك، فلم يكن هؤلاء الجند حملة لإخماد ثورة شعبية في اليمن، وإنما هم مائة من جند الحرس السلطاني مع أتباعهم. وقع منهم طغيان فاحش وفساد كبير،فجهزهم الصدر الأعظم إلى مصر، ثم أرسل خطا شريفا بنفيهم إلى اليمن، وعندما علم الجند بهذا الأمر ثاروا وأظهروا العصيان وطلبوا الإقامة في مصر ، حتى أحرجوا على الرحيل بعد أن تسلموا المؤنة والذخيرة. انظر: أوضح الإشارات..، ص ١٣٣، ١٣٤.

(٣٣٠) عزل محمد باشا الصوفي في ربيع الأول سنة ١٠٢٤هـ(إبريل ١٦١٥م). أخبار الأول..، ص ١٨٥؛ أوضح الإشارات ...، ص ١٣٣.

(٣٣١) في المخطوط توجد صررة لسبيل السلطان أحمد بالآستانة .

(٣٣٢) محرم سنة ١٠٢٥هـ (يناير سن ١٦١٦م).

(٣٣٣) ذكر أحمد شلبي عبد الغني ثلاث حملات أخرى جهزها أحمد باشا، وكانت لليمن والحبشة وأوجلة (ولحة في طرابلس الغرب).أوضح الإشارات..، ص١٣٥.

(٣٣٤) ولي" أحمد باشا" في ربيع الأول سنة ١٠٢٤هـ (إبريل سنة ١٦١٥م)، وعزل في صفر سنة ١٠٢٧هـ(يناير سنة ١٦١٨). أخبار الأول ...، ص ١٨٥؛ أوضح الإشارات..، ص ١٣٤.

(٣٣٥) في المخطوط سلطنة.

(٣٣٦) ولد السلطان مصطفى بن محمد في سنة ١٠٠١هـ(١٥٩٣م).

(٣٣٧) خلع في ١٢من ربيع الأول سنة ١٠٢٧هـ (٩من مارس سنة ١٦١٨م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٤.

(٣٣٨) قتل السلطان عثمان الثاني في ٩من رجب سنة ١٠٣١هـ (٢٠من مايو سنة ١٦٢٢).

(٣٣٩) الصحيح: " فاستبدل مصطفي كفكللي بواليها أحمد باشا".

(٣٤٠) ٧من شوال سنة ١٠٢٧هـ (٢٧من سبتمبر سنة ١٦١٨م).

(٣٤١) عُزل " مصطفى باشا" في صفر سنة ١٠٢٨هـ(فبراير سنة ١٦١٩م).أخبار الأول..، ص ١٨٥.

(٣٤٢) قدم" جعفر باشا" إلى مصر في ٩ من ربيع الأول سنة ١٠٢٨هـ(٢٤من فبراير سنة ١٦١٩م) وعزل في ١٤ من شعبان سنة ١٠٢٨هـ (٢٧من يوليو سنة ١٦١٩م). أوضح الإشارات..، ص ١٣٧.

(٣٤٣) تولى مصطفى باشا في ١٠من رمضان سنة ١٠٢٨هـ (٢١من أغسطس سنة ١٦١٩م).أخبار الأول ...، ص ١٨٦.

(٣٤٤) هو " كفكلي مصطفي باشا" في " أوضح الإشارات..".

(٣٤٥) تأثر المؤلف بأساليب الترجمة واضح، وفي الجملة خطأ في الاستبدال.

(٣٤٦) عزل مصطفى باشا في ٣ من رمضان سنة ١٠٢٩هـ(٢من أغسطس سنة ١٦٢٠م). أخبار الأول.. ص ١٨٦؛ أوضح الإشارات ...، ص ١٣٧.

(٣٤٧) طبقا ل" أخبار الأول.." عُزل حسين باشا في ١٠من ربيع الآخر سنة ١٠٣١هـ (٢٢من فبراير ١٦٢٢م). وفي " أوضح الإشارات.." عزل في ٩ من ربيع الأول سنة ١٠٣١هـ (٢٢من يناير ١٦٢٢م). أخبار الأول ...، ص ١٨٦؛ أوضح الإشارات..، ص ١٣٨.

(٣٤٨) تولى" حسين باشا" الصدارة العظمى مرتان في سلطة مصطفى الأول، الأولى سنة ١٠٣١هـ(١٦٢٢م) لمدة ٢٤يوما، والأخيرة سنة ١٠٣٢هـ (١٦٢٣م) لمدة سبعة أشهر. سالنامة ١٢٩٤هـ، ص ٣٥.

(٣٤٩) الصحيح " أنبا".

(٣٥٠) تولى " إبراهيم باشا" في شعبان سنة ١٠٣١هـ (يونية سنة ١٦٢٢م)، وعزل في ٧من رمضان سنة ١٠٣٢هـ (٥من يوليو سنة ١٦٢٣م). أخبار الأول..، ص ١٨٨.

(٣٥١) ٢٢من رمضان سنة ١٠٣٢هـ(٢٠من يوليو سنة ١٦٢٣م) ويذكر شلبي عبد الغني أن " مصطفى باشا" قدم إلى مصرفي ٢٨ من رمضان سنة ١٠٣٢هـ (٢٦من يولية سنة ١٦٢٣م)، وعزل في سنة ١٠٣٥هـ(١٦٢٦م). أوضح الإشارات..، ص ١٣٩.

(٣٥٢) يسرف المؤلف في استخدام حرف العطف" الفاء" داخل الفقرات، وكذلك في بداياتها، وهذه الفقرة خير مثال على ذلك.

(٣٥٣) تولى مراد الرابع السلطنة سنة ١٠٣٢هـ التي توافق سنة (١٦٢٣م).

(٣٥٤) كان مراد الرابع في الرابعة عشر عندما تولى السلطنة.

(٣٥٥) سنة ١٠٤٨هـ (١٦٣٨م).

(٣٥٦) هكذا في الأصل، والصحيح: "أريوان"، وهو عاصمة أرمينيا وكان فتحها سنة ١٠٤٥هـ(١٦٣٥م).

(٣٥٧) استرد الفرس أريوان في سنة ١٠٤٦هـ(١٦٣٦م). انظر: محمد فريد: المرجع السابق، ص ٢٨٤.

(٣٥٨) وصحة كتابتها بلطجي وهي من التركية بلطة جي وتعنى: ناقل الفأس أو صاحبه. الدراري ١/١٠٦.

(٣٥٩) ٢٠من ربيع الآخر سنة ١٠٣٣هـ(١٠من فبراير سنة ١٦٢٤م).

(٣٦٠) أوائل ربيع أول سنة ١٠٣٥هـ (أوائل ديسمبر سنة ١٦٢٥م).

(٣٦١) ومعناها اللغوي: عيد. قدم" بيرام باشا" إلى مصر في ٩من شعبان سنة ١٠٣٥هـ(٦من مايو سنة ١٦٢٦م)، وعزل في ٩من المحرم سنة ١٠٣٨هـ(٨ من سبتمبر سنة ١٦٢٨م). أوضح الإشارات..، ص ١٤١.

(٣٦٢) وقد تولى " بيرام باشا " الصدارة العظمى بين عامي ١٠٤٦-١٠٤٨هـ، لمدة سنة ونصف. سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.

(٣٦٣) قدم " محمد باشا طبان" إلى مصر في ١٤م صفر سنة ١٠٣٨هـ (١٣من أكتوبر سنة ١٦٢٨م) وعزل في آخر بيع الآخر سنة ١٠٤٠هـ(٥من ديسمبر سنة ١٦٣٠م). أوضح الإشارات ..، ص ١٤٢. واسم ولقب الوالي في المصادر العثمانية: طباني ياسي محمد باشا، عبد الكريم بن عبد الرحمن، ٤٢ب.

(٣٦٤) الروملي: أصلها روم ايلي ، وتعنى لغويا ، منطقة الروم، واصطلاحا، البلقان.

(٣٦٥) محرم سنة ١٠٣٩هـ(أغسطس سنة ١٦٢٩م).

(٣٦٦) ١٩من شعبان سنة ١٠٣٩هـ (٣من إبريل سنة ١٦٣٠م).

(٣٦٧) هو الركن اليماني.

(٣٦٨) من المؤلفات التي تناولت هذا الحدث:

- إعلام سائر الأنام بقصة السيل الذي سقطت من بيت الله الحرام" لابن علان المكي المتوفي سنة ١٠٥٧هـ(١٦٤٧م).
- تهنئة الإسلام ببناء بيت الله الحرام" لبرهان الدين الميموني المتوفي سنة ١٠٧٩هـ (١٦٦٩م).
- "رسالة في إسعاد آل عثمان المكرم ببناء بيت الله الحرام" لأبي الإخلاص الشرنبلالي الحنفي المتوفي سنة ١٠٦٩هـ(١٦٥٨م).

(٣٦٩) تولى " محمد باشا" الصدارة العظمى من سنة ١٠٤١هـ إلى ١٠٤٦هـ(١٦٣١-١٦٣٦م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٣٦.

(٣٧٠) تولى "موسى باشا" في جماد الآخر سنة ١٠٤٠هـ(يناير ١٦٣١م) وعزل بعد سبعة أشهر. أوضح الإشارات ..، ص ١٤٢.

(٣٧١) شعبان سنة ١٠٤٠هـ(مارس سنة ١٦٣١م).

(٣٧٢) ٩من ذي الحجة سنة ١٠٤٠هـ (٩من يولية سنة ١٦٣١).

(٣٧٣) وهو أول"باشا" يعزله الجند والصناجق. وقد عزل في ذي الحجة سنة ١٠٤٠هـ (يولية سنة ١٦٣١).أوضح الإشارات..، حاشية ٢٢١،ص ١٤٢.

(٣٧٤) ربيع أول سنة ١٠٤١هـ (سبتمبر سنة ١٦٣١م).

(٣٧٥) هو الشريف نامي بن عبد المطلب، وقد تولى الشرافة مائة يوما بعد قتل شريف مكة. أوضح الإشارات، حاشية ٢٢٥،ص ١٤٣.

(٣٧٦) صفر سنة ١٠٤٢هـ (أغسطس سنة ١٦٣٢م).

(٣٧٧) عُزل " خليل باشا" في ٢٢من رمضان سنة ١٠٤٢هـ (٢من إبريل سنة ١٦٣٣م). أوضح الإشارات..، ص ١٤٣.

(٣٧٨) المقصود " يصدر" .

(٣٧٩) قدم " جرجي أحمد باشا" إلى مصر في سنة ١٠٤٢هـ (١٦٣٣م)، وعزل في ١٥من جماد الأول سنة ١٠٤٥هـ (٢٧من أكتوبر سنة ١٦٣٥م). أوضح الإشارات ..، ص ١٤٥. وأصل لقبه باقيرجي بمعنى النحّاس وهو ما عرف به حتى بين الوزراء، عبد الكريم بن عبد الرحمن، ٤٦ب.

(٣٨٠) صفر سنة ١٠٤٣هـ (أغسطس سنة ١٦٣٣م).

(٣٨١) كان الدروز في لبنان قد خرجوا عن طاعة الدولة تحت قيادة الأمير فخر الدين المعنى، فتمكن الصدر الأعظم محمد باشا من إخضاعه وأسره ، وقتل بعد ذلك إبراهيم حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ص ١٢٩.

(٣٨٢) القنطار= ٤٤،٩٢٨ كيلو جرام.

(٣٨٣) الدرهم: الاسم مشتق من الدراخمة اليونانية، وكان الوزن الشرعي للدرهم ٢،٩٧ جم. وقد خضع وزنه وقيمته بالنسبة للدينار لتغييرات كثيرة خلال العصور المختلفة. محمد شفيق غربال الموسوعة العربية الميسرة بيروت، دار إحياء التراث، صورة طبعه ١٩٦٥، ص ٧٩١.

(٣٨٤) الدينار: من اللفظ اليوناني اللاتيني" ديناريوس أوريوس" ، وكان الوزن الشرعي للدينار الذهبي الإسلامي ٤,٢٥ جم، وقد ظل الدينار يضرب في مصر إلى عهد الأشرف برسباي (١٤٢٢-١٤٣٨م) حين أطلق على العملة الذهبية اسم الأشرفي. محمد شفيق غربال، المرجع نفسه، ص ٨٣٩.

(٣٨٥) بندقي : نقد ذهب ينسب إلى مدينة البندقية، وتغلغل في مصر في العصر العثماني كوسيط للمبادلة في كل الأقاليم. وقد بلغ سعره ٨٨٠نصف فضة (بارة). عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة أيام الجبرتي بحث في دراسات وبحوث، إشراف أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص ٥٧٧.

(٣٨٦) المجر: نقد ذهب ذكره الجبرتي في حوادث سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٣م، وقد بلغ سعره في عصر محمد على ٨٠٠نصف فضة (بارة). المرجع نفسه، ص ٥٧٩.

(٣٨٧) البنتو: نقد فرنسي ذهبي وكان يسمى نابليون، وقد حددت الحكومة المصرية سعره ب٤٠/٦ ٧٧ قرشا سنة ١٨٨٨م. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، ص ٤٠٨.

(٣٨٨) زر محبوب: نقد ذهب ذو عيار مرتفع، ضرب، في عهد السلطان مصطفي الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م) بوزن ٢,٦ جم، وقد انقص وزنه إلى ١,٦٢ جم في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م). وبطل ضربه سنة ١٨٤٤م، فاستعمل في حلي النساء. المرجع نفسه، ص ٩٢١، عبد الرحمن فهمي : المرجع السابق، ص ٥٧٥، ٥٧٦.

(٣٨٩) الصحيح " فأبدلت الأنصاف بالدراهم".

(٣٩٠) انظر التعريف بالبارة في نهاية المخطوط في مبحث النقود المصرية.

(٣٩١) ١٦ من ذي الحجة سنة ١٠٤٣هـ (١٣من يونيو سنة ١٦٣٤م).

(٣٩٢) ولهذا أطلق على أحمد باشا" رامي النحاس". أوضح الإشارات..، ص ١٤٥،١٤٦.

(٣٩٣) تولى " حسين باشا الدالي" في ١٥ من رجب سنة ١٠٤٥هـ(٢٥من ديسمبر ١٦٣٥م) وعزل في ١٥ جمادي الآخرة سنة ١٠٤٧هـ (٤من نوفمبر سنة ١٦٣٧م). نفس المصدر، ص ١٤٦.

(٣٩٤) هو ابن أخت السلطان سليم الثاني، قدم إلى مصر في الثاني من رجب سنة ١٠٤٧هـ (٢٠من نوفمبر سنة ١٦٣٧م)، وعزل في١٢من جماد الاول سنة ١٠٥٠هـ (٣٠من أغسطس سنة ١٦٤٠م). أوضح الإشارات ..، ص ١٤٧.

(٣٩٥) شوال سنة ١٠٤٧هـ (فبراير سنة ١٦٣٨م).

(٣٩٦) وهي الحملة التي قادها السلطان مراد الرابع، وتمكن من استرداد بغداد من أيدي الفرس في ٢٠من شعبان سنة ١٠٤٨هـ (٢٧من ديسمبر سنة ١٦٣٨م) محمد فريد : المرجع السابق، ص ٢٨٤، محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٣٩٧) ذكر أحمد شلبي عبد الغني ان القيادة كانت لرضوان بك الشواربي. أوضح الإشارات..، ص ١٤٧.

(٣٩٨) محرم سنة ١٠٤٨هـ(مايو سنة ١٦٣٨م).

(٣٩٩) صفر سنة ١٠٤٩هـ(يونية سنة ١٦٣٩م). ويلاحظ أن التاريخ الذي يذكره هو تاريخ عودة الفرقة المصرية، فأسلوب الكاتب في تحديد التاريخ قد يفهم منه أن بغداد قد استردت في صفر سنة ١٠٤٩هـ.

(٤٠٠) الخميس ١٦ من شوال سنة ١٠٤٩هـ (٩من فبراير سنة ١٦٤٠م).

(٤٠١) في المخطوط صورة نقود السلطان مراد الرابع بن أحمد.

(٤٠٢) فتحت سنة ١٠٥٥هـ(١٦٤٥م).

(٤٠٣) خلع السلطان إبراهيم بن أحمد في ١٧من رجب سنة ١٠٥٨هـ (٧ من أغسطس ١٦٤٨م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥.

(٤٠٤) جند السباه: هم جند الفرسان.

(٤٠٥) قتل السلطان إبراهيم بن أحمد في٢٩ من رجب سنة ١٠٥٨هـ (١٩من أغسطس سنة ١٦٤٨م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ،ص ٢٥.

(٤٠٦) قتل عثمان الثاني في ٩من رجب سنة ١٠٣١هـ(٢٠من مايو سنة ١٦٢٢م).

(٤٠٧) الصحيح" ثم استبدل مصطفى باشا الملقب بالبستانجي بمحمد باشا". وقد تولى مصطفى باشا ١٠ من جماد الآخر سنة ١٠٥٠هـ(٢٧م سبتمبر سنة ١٦٤٠م) وعزل في ١٧ من رجب سنة ١٠٥٢هـ (١١من أكتوبر سنة ١٦٤٢م). أوضح الإشارات ..، ص ١٤٨.

(٤٠٨) شوال سنة ١٠٥١هـ(يناير سنة١٦٤٢ م).

(٤٠٩) يذكر أحمد شلبي عبد الغني أن مقصود باشا قدم إلى مصر في ٨ من شعبان سنة ١٠٥٢هـ(الأول من نوفمبر سنة ١٦٤٢م) وعزل في ١٣من صفر سنة ١٠٥٣هـ. ويلاحظ انه يروي أحداثا بعد التاريخ المذكور على أنها وقعت في عهد مقصود باشا، ويبدو أن هناك خلط في أحداث فترة " مقصود باشا" لدى أحمد شلبي عبد الغني. أوضح الإشارات..، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٤١٠) وهي آمد.

(٤١١) أوائل شعبان سنة ١٠٥٢هـ(أواخر أكتوبر سنة ١٦٤٢م).

(٤١٢) غاية صفر سنة ١٠٥٣هـ(١٩من مايو سنة ١٦٤٣م).

(٤١٣) الصحيح فيها " نفسا" لوقوعها تمييزا.

(٤١٤) الكنثة : نوردجة [معربة : نورده بفتح النون والواو وسكون الراء والمقصود منها : باقة الرياحين] تتخذ من آس وأغصان خلاف، ينضد عليها الرياحين ثم تطوي. القاموس المحيط ٢٢٤.

(٤١٥) ٢٠ من ذي القعدة سنة ١٠٥٣هـ (٣٠م يناير سنة ١٦٤٤م).

(٤١٦) أسباب وأحداث تلك الواقعة كما وردت في " أوضح الإشارات": أن قبطانا عمر مركبا في البحر وأراد أن ينزلها البحر، فجمع النصاري الذين في المراكب- وكانوا نحو الستمائة- وفك جميع قيودهم لتنزيل الغليون (سفينة شراعية)، فانفرد منهم ثلاثمائة وكسروا باب الترسانة واخذوا السلاح، وبينما كان الناس في صلاة الجمعة، نهبوا البيوت والأسواق، ثم توجهوا إلى البحر وأقلعوا. أوضح الإشارات..، ص ١٥٠.

(٤١٧) هكذا في الأصل، والمقصود سنة ١٠٥٤هـ(١٦٤٤م).

(٤١٨) ٢٣من ذي الحجة سنة ١٠٥٤هـ(٢٠ من فبراير سنة ١٦٤٥م).

(٤١٩) قدم " أيوب باشا" إلى مصر في ٨ من ربيع الأول سنة ١٠٥٤هـ (١٥ من مايو سنة ١٦٤٤م)، وعزل في غرة ربيع الأول سنة ١٠٥٦هـ (١٧من إبريل سنة ١٦٤٦م). أوضح الإشارات..، ص ١٥١.

(٤٢٠) المابين: كلمة عربية استخدمها العثمانيون للدلالة على البلاط السلطاني. وتطلق على جناح في القصر السلطاني بين جناح الحريم والإدارات الخارجية. وكان السلاطين إذا لم يغادروا قصورهم، قضوا وقتا فيه بعد الظهر، وبعد عهد السلطان محمود الثاني، كان ينظر في كل الشئون في (المابين). وقد أقام رجال الدولة العثمانية في قصورهم ال(مابين) ويسمى الحرملك والسلاملك. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية مرجع سبق ذكره، ص ١٨١.

(٤٢١) لا توجد معابد في الإسلام، فأماكن العبادة هي المساجد.

(٤٢٢) قدم" محمد باشا حيدر إلى مصر في ٦من جمادي الاولى سنة ١٠٥٦هـ(٢٠ من يونية سنة ١٦٤٦م)، وعزل في غرة ذي القعدة سنة ١٠٥٧هـ(٢٨من نوفمبر سنة ١٦٤٧م). أوضح الإشارات..، ص ١٥١.

(٤٢٣) ١٠م رجب سنة ١٠٥٧هـ (١١من أغسطس سنة ١٦٤٧م).

(٤٢٤) " رضوان بك " و" على بك" من الفقارية.

(٤٢٥) "قنصو بك " و" ماماي بك " من القاسمية. وقد مال " محمد باشا حيدر" إلى القاسمية، فكان يعمل بمشورة " قنصوبك " لأنه كان قائمقاما بعد عزل " أيوب باشا" ، وقبل مجئ " محمد باشا". أوضح الإشارات..، ص ١٥١.

(٤٢٦) ٢١ من جمادي الأولى سنة ١٠٥٧هـ(٢٤من يونية سنة ١٦٤٧م).

(٤٢٧) ٢٧ من جمادي الاولى سنة ١٠٥٧هـ (٣٠من يونية سنة ١٦٤٧م).

(٤٢٨) ٨ من رمضان سنة ١٠٥٧هـ(٧ من أكتوبر سنة ١٦٤٧م).

(٤٢٩) ١٩ من رمضان سنة ١٠٥٧هـ(١٨ من سبتمبر سنة ١٦٤٧هـ).

(٤٣٠) هكذا في الأصل ، والصحيح " مصالحتهما".

(٤٣١) ٦ من ذي الحجة سنة ١٠٥٧هـ (٢من يناير سنة ١٦٤٨م).

(٤٣٢) ٢٦من ذي الحجة سنة ١٠٥٧هـ(٢٢من يناير سنة ١٦٤٨م).

(٤٣٣) هو" محمد باشا الشريف"، قدم إلى مصر في غرة صفر سنة ١٠٥٨هـ(٢٦من فبراير سنة ١٦٤٨م)، وعزل في صفر سنة ١٠٥٩هـ (فبراير سنة ١٦٤٩م). أوضح الإشارات..، ص ١٥٢.

(٤٣٤) صورة نقود السلطان إبراهيم بن محمد.

(٤٣٥) تولى " محمد باشا كوبريلي" الصدارة العظمى من سنة ١٠٦٧هـ إلى سنة ١٠٧٢هـ (١٦٥٧- ١٦٦٢م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، ص ١٨.

(٤٣٦) تولى " أحمد باشا" في غرة ربيع الأول سنة ١٠٥٩هـ(١٥من مارس سنة ١٦٤٩م) إلى غرة صفر سنة ١٠٦١هـ(٢٤ من يناير سنة ١٦٥١م). أوضح الإشارات..، ١٥٣.

(٤٣٧)٦من صفر سنة ١٠٦١هـ(٢٩ من يناير سنة ١٦٥١م).

(٤٣٨) الأول من شوال سنة ١٠٦٢هـ(٥من سبتمبر ١٦٥٢م).

(٤٣٩) وهو الملقب بأبي النور، لأنه أمر نظار المساجد بطلاء الزوايا والمساجد والربط والمشاهد. قدم إلى مصر في ٢٠ من جمادي الاولى سنة ١٠٦٣هـ (١٨ من إبريل سنة ١٠٥٢م)، وعزل في ٨ من شعبان سنة ١٠٦٦هـ(الأول من يونية ١٦٥٦م). أوضح الإشارات..، ص ١٥٤.

(٤٤٠) ٥ من شوال سنة ١٠٦٢هـ (١٠ من سبتمبرسنة ١٦٥٢م).

(٤٤١) ٨ من المحرم سنة ١٠٦٣هـ(٨ من ديسمبر سنة ١٦٥٢م).

(٤٤٢) توالى على مصر بعد ذلك ثلاثة عشر واليا حتى بداية سلطنة سليمان الثاني(١٠٩٩هـ-١٦٨٧م)، وهم، " مصطفى باشا" و" محمد باشا غازي" و" مصطفى باشا" و" إبراهيم باشا" و" عمر باشا" و" إبراهيم باشا البستانجي" و" على باشا قره قاش" و" إبراهيم باشا" و"حسين باشا جانبلاط" و" أحمد باشا الدفتردار" و" عبد الرحمن باشا" و" عثمان باشا" و" حمزة باشا". أوضح الإشارات..، ص ١٥٦- ١٨١.

(٤٤٣) الصحيح أن السلطان محمد الرابع عزل في ٢ من المحرم سنة ١٠٩٩هـ (٨ من نوفمبر سنة ١٦٨٧م)، وتوفي في ٨ من ربيع الآخر سنة ١١٠٤هـ(١٧ من ديسمبر ١٦٩٢م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ، ص ٢٥، سليم فارس: المرجع السابق، ص ١٩؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص ٤٠٤.

(٤٤٤) توفي السلطان سليمان الثاني في ٢٦ من رمضان سنة ١١٠٢هـ (٢٣من يونية سنة ١٦٩١م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص٢٥؛ محمد فريد : المرجع السابق، ص ٣٠٦.

(٤٤٥) توفي السلطان أحمد الثاني في ٢٢ من جمادي الآخرة سنة ١١٠٦هـ(٧ من فبراير سنة ١٦٩٥). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥، محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(٤٤٦) الصحيح أن السلطان مصطفى الثاني توفي في ٢٢ من شعبان سنة ١١١٥هـ(٣١من ديسمبر سنة ١٧٠٣م) بعد خمسة أشهر من عزله. سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٢٥، سليم فارس: المرجع السابق، ص ٢٢، محمد فريد : المرجع السابق، ص ٣١١.

(٤٤٧) الصحيح أنه توالى على مصر في هذه الفترة (١٠٩٩-١١١٥هـ/ ١٦٨٧-١٧٠٣م) ستة ولاة ، هم : " حسن باشا السلحدار" و" أحمد باشا" و" على باشا قلج" و" إسماعيل باشا" و" حسين باشا" و" قره محمد باشا". انظر: أوضح الإشارات ..، ص ١٨٢-٢١٠، الجبرتي : المصدر السابق، ج١، ص ٣٣-٤١.

(٤٤٨) المقصود " السلطنة".

(٤٤٩) هذه نظرة المؤلف للتاريخ الإسلامي، وهي خاصة به.

(٤٥٠) لم يهمل العثمانيون اللغة العربية، بل أكرموا هذه اللغة وأعلوا من قدرها، لأنها لغة الإسلام الذي هو دين العثمانيين. والمرء دوما يتحمس لكل ما هو أساس في عقيدته. بدأت علاقة العثمانيين باللغة العربية- رسميا- مع بدء الدولة العثمانية، إذ أن عثمان المؤسس للدولة العثمانية، أحاط نفسه بمجموعة من العلماء الذين أوكل لهم التخطيط للدولة العثمانية ، وهؤلاء العلماء هم المشايخ حفظة القرآن الكريم ومحفظيه ومفسريه للناس وللطلاب. وأورخان بن عثمان هذا ، أسس أول مدرسة وكلية متكاملة في الدولة العثمانية عام ١٣٢٧م كل مناهجها عربية وتقوم على أساس تدريس مصادر عربية

ليس فيها كتابا تركيا واحدا. من هذه المصادر العربية: " البخاري" ، و" مسلم" ، والترمذي وابن ماجه وابن داود والنسائي ومصابيح السنة للفراء البغوي. هذا في السنة والحديث النبوي، أما في التفسير فكانت المقررات: تفسير الكشاف للزمخشري، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل وهو تفسير القاضي البيضاوي. واستمرت المدارس الدينية في الدولة العثمانية تعتمد اللغة العربية، لغة للعلم والدين حتى نهايتها، ولم يقتصر انتشار اللغة العربية على المدارس الدينية العثمانية فقط بل تعداه إلى المدارس العسكرية والإدارية.

وألف العثمانيون باللغة العربية تأليفات هامة، مثل كشف الظنون على أسماء الكتب والفنون لكاتب جلبي(= حاجي خليفة) ولهذا المؤلف الكبير كتابه القيم أيضا سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ولطاش كوبريلي زاده كتابه المعروف الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب ذيل على ابن بطوطه: الأخية الفتيان التركية لمعلم جودت. ولم يتدخل العثمانيون في شئون الدراسة في العالم العربي أو في البلقان أو في داخل منطقة تركيا نفسها. ولما حكمت الدولة العثمانية أوربا احترمت اللغات المحليةهناك، وكانت تعتمد اللغات البلقانية أساس الدارس واللغتين العربية والتركية اختياريتين. كانت اللغة العربية هي أساس العلم والفقه وتنظيم شئون الناس في الدولة العثمانية من بداية الدولة عام ١٢٩٩م إلى سيطرة حزب الاتحاد والترقي على شئون الدولة بانقلاب ١٩٠٨م وهو حزب علماني قومي، أزاح جزءا هاما من سيطرة اللغة العربية على وجدان العثمانيين ، ولما جاء مصطفى كمال أتاتورك بمبدأ تحويل تركيا إلى اللحاق بالحضارة الأوربية، لفظ تسلط اللغة العربية على الأتراك، آخر أنفاسه، خاصة بعد أوامر أتاتورك بتشكيل المجمع اللغوي التركي الذي كانت مهمته الأولى تنقية اللغة التركية من الألفاظ والمصطلحات العربية التي كانت تعج بها . وأخيرا قامت في البلدان العربية دراسات حديثة تناولت موقع اللغة العربية في الدولة العثمانية، وبالتالي رأي الباحث العربي مدى إكرام العثمانيين للغة العربية: في هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى :

- عبد السلام فهمي، اللغة العربية في الأناضول، نسخة مخطوطة بمركز بحوث العالم التركي بالقاهرة.
- محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة، الطبعة الثانية ، دار القلم دمشق ١٩٩٩.
- ماجدة مخلوف، تأثير فن المقامة العربية في أدب الأتراك، القاهرة ١٩٩٠.
- محمد عزة دروزه: تركيا الحديثة ، مطبعة الكشاف بيروت ١٩٤٦.
- هدى درويش، الإسلاميون وتركيا العلمانية ، نموذج الإمام سليمان حلمي، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٨. وهي في الأصل رسالة ماجستير من جامعة الزقازيق بإشراف الدكتور محمد حرب. أما الأتراك فقد أسهموا في هذا الموضوع مثل:
- أكمل الدين إحسان: (إشراف) الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي ،استانبول ١٩٩٩.
- سليم نزهت، تاريخ الطباعة في تركيا، ترجمة سهيل صابان، مكتبة الملك فهد، الرياض ١٩٩٣.

والغريب أن جورجي زيدان يتحدث عن هذا الإهمال، في حين أورد في كتابه هذا جزءا من حياة اللغة العربية في مصر العثمانية.

(٤٥١) ناقش الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفي هذه الفكرة في كتابه حركات التجديد الإسلامي في العالم العربي الحديث. القاهرة ١٩٧١. وكان يري غير ما يري جرجي زيدان، ضمنا.

(٤٥٢) حياة آداب اللغة العربية في مصر في العهد العثماني لا يصيبها النشاط من حب وال أو أكثر للغة العربية، وإنما كان نشاط اللغة العربية في مصر وفي غيرها من الولايات العثمانية، نظام دولة ، وطالما أن هذا النظام سار، طالما كانت اللغة العربية نشيطة وهو ما حدث طوال عهد الدولة العثمانية، لأن نظامها- كان- الإسلام، ولم يعرف العثمانيون التفريط في العربية، إلا مع دخول النخبة المستغربة واستيلائها على الحكم عام ١٩٠٨. وكان النظام الإداري للدولة يمنع تدخلها في شئون تعليم الولايات، قبل ثورة الاتحاد والترقي ضد الحكم العثماني . وجرجي زيدان مفرط- كأي مثقف نهل من الفكر الغربي- في تصديه لكل ما هو عثماني، بدليل أنه أخذ موقف التأييد المفرط لانقلاب ضباط الاتحاد والترقي- الذين نهلوا من الفكر الغربي- وكان الانقلاب موجها ضد : السلطة العثمانية - الدين الإسلامي- اللغة العربية وحروفها. انظر في هذه الفكرة: محمد حرب، المثقف وتغيير نظام الحكم ، حالة أتاتورك، مركز بحوث آسيا، الزقازيق، ٢٠٠٠.

(٤٥٣) يقصد المؤلف هنا العصر العثماني وليس العباسي كما كتب.

(٤٥٤) هذا العهد الذي عاش فيه المؤلف.

(٤٥٥) ومن آثارها: " فيض الفضل" والمورد الأهنا في المولد الاسنى" و" مولد النبي".

- جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣،ص ٢٧٤، كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، العصر العثماني ،القسم الثامن ، ص ١١، يوسف إلياس سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، ج١، القاهرة ١٩٢٨، ص ٥١٩.

(٤٥٦) وله شعر في مدح ملك الأمراء خير بك- مخطوط بمكتبة برلين .

- كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص ١٢.

(٤٥٧) طبع سنة ١٣١٣هـ(١٨٩٥م).

(٤٥٨) وله كذلك " الكوكب المنير في خصائص البشير".

(٤٥٩) ومن آثاره: " اللآلئ والدرر" وطرح المدر وحل اللآلئ والدرر".بروكلمان ٨،ص ٣٠.

(٤٦٠) مكتبة جوتا.

(٤٦١) " نشق الأزهار في عجائب الأقطار" وهو كتاب في الفلك وتركيب الكون وآثار مصر الفرعونية وملوكها.

(٤٦٢) ولابن إياس كتب أخرى هي:

" عقود الجمان في وقايع الأزمان" و" جواهر السلوك" و" منتظم بدء الدنيا وتاريخ الأمم" و" الجواهر الفريدة والنوادر المفيدة". انظر ببليوجرافيا بأعمال ابن إياس ومخطوطاته في:

- محمد حرب: حملة السلطان سليم الأول علي مصر والشام(باللغة التركية)، دار آسيا ، استانبول، ١٩٨٦م، ص ٥٢. انظر قائمة المراجع التركية في نهاية الكتاب.

(٤٦٣) النسخة الموجودة بمكتبة بلدية الإسكندرية بخط المؤلف برقم ٢٥٩١ تاريخ بعنوان " الفيض المديد في أخبار النيل السعيد".

(٤٦٤) يقصد ميونخ ، في ألمانيا، أما ليدن فالمعروف أنها في هولندا.

(٤٦٥) في بروكلمان: كتب سنة ٩٦٠هـ(١٥٥٣م).

(٤٦٦) ومن آثاره: " مختارات شعرية" و" بسط العذار عن حل العذار" و" الفتح في الصبح" و" الزين في العين". بروكلمان: ٨/٨٧ و٨٨.

(٤٦٧) هكذا في الأصل ، والصحيح " عبد الواحد البرجي". كارل بروكلمان: ٨/٨٨.

(٤٦٨) هكذا في الأصل، والصحيح" لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول". ويسمى كذلك " دوحة الأزهار فيمن ولي الديار المصرية". بروكلمان ٨/٨٩.

(٤٦٩) هناك اختلاف في تاريخ وفاته، فيذكر بعض المؤرخين أنه توفي سنة ١٠٨٧هـ(١٦٧٦م)، انظر:

- محمد أنيس : مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٣؛ جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة ، ١٩٥٨م، ص٦.

(٤٧٠) هو: " درر الأعالي الجلية".

(٤٧١) وللبكري مؤلفات أخرى هي: " التحفة البهية فيتملك آل عثمان الديار المصرية" و" الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة" و" قطف الأزهار من الخطط والآثار" و" سمير الأصحاب ونزهة ذوي الألباب" و" رسالة في ربع المقنطرات". - كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص ٩٤،٩٥.

(٤٧٢) في بروكلمان: أتم في ١٦رجب ١٠٧١هـ (١٦٦١م) كتابه " تراجم الصواعق.." ٨/٩٨.

(٤٧٣) وللعوفي مخطوط آخر بعنوان: " حدائق العيون الباصرة في أحوال الطاعون والآخرة".

(٤٧٤) هو " عبد البر عبد القادر بن محمد الفيومي العوفي الحنفي". المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،القاهرة ، المطبعة الوهبية،١٢٢٤هـ، ٢/٢٩.

(٤٧٥) وله كذلك : " قرة عيون ذوي الأفهام" و"حاشية على أوضح المسالك" و" حاشية على الشافية" و" شرح الأجرومية". كارل بروكلمان: ٨/٥٢.

(٤٧٦) " خبايا الزوايا فيما في الرجال من البقايا". كارل بروكلمان: ٨/٥٦.

(٤٧٧) وقد ألفه بمناسبة ما بلغه عن وجود جامع في جبل الطور استولى عليه الرهبان وسدوا بابه الأصلي وفتحوا إليه بابا من ديرهم. منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية في ٢٢ صفحة. جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣ ،ص ٢٩١.

(٤٧٨) " تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف".

(٤٧٩) للمناوي تصانيف كثيرة، منها: " الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية" و" الجواهر المضية في الأحكام السلطانية" و" شرح خطبة القاموس" و" آداب الأكل والشرب" و" قرة عين الأنسان بذكر أسماء الحيوان" و" غاية الإرشاد إلى معرفة أحكام الحيوان والنبات والجماد" و" الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود" و" بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج" و" بغية الطالبين لمعرفة إصطلاح المحدثين ". انظر، المحبي: خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر، ج٢ ، ص ٤١٣-٤١٥ وجرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص ٣٣٢و٣٣٣؛ بروكلمان: ٨/١١٨-١٢٢.

(٤٨٠) وللحلبي آثار أخرى، منها: " النفحة العلوية من الاجوبة الحلبية" و" اللطـائف من عوارف المعارف" و" رسالة في التصوف"، وله كثير من الشروح والحواشي. المحبي: ٣/١٢٢-١٢٣.

(٤٨١) ومن آثاره: " بيان ما يسقط من الحقوق بالإسقاط" و" بيان المعاصي" و" رسالة في الرشوة وأقسامها" و" في الفرق بين رأس المال والربا" و" في مسألة الجبايات والمرتبات" و" البحر الرائق في شرح كنز الدقائق" و" رسالة في الكنائس المصرية" و" رسالة في بيان طوالع الملوك والسلاطين الماضية". كارل بروكلمان: ٨/١٤١-١٤٩.

(٤٨٢) وللتمرتاشي مؤلفان أخرى، منها : " معين المفتى على جواب المستفتي" و" مسعف الحكام على الأحكام" و" الوصول إلى قواعد الأصول" و" رسالة في النقود" و" رسالة النفائس في أحكام الكنائس" و" رسالة في الدروز والأرفاض". المحبي: ٤/١٨-٢٠.

(٤٨٣) منها: " الفتاوى" و" ذخيرة الناظر" و" الشمعة في أحكام الجمعة" و" ردع الراغب عن صلاة الرغائب" و" بغية المرتاد لتصحيح الضاد" و" شرح نظم الكنز" و" شرح الأشباه والنظائر" ؛ المحبي: ٣/١٨٠-١٨٥، كارل بروكلمان: ٨/١٥٥و ١٥٦.

(٤٨٤) ومن تصانيف الشرنبلالي: " إتحاف ذوي الإتقان بحكم الرهان" و" حاشية على كتاب الغرر والدرر" و" مراقي الفلاح لإمداد الفتاح" و" مراقي السعادات في التوحيد والعبادات" و" نور الإيضاح ونجاة الأرواح" المحبي: ٢، ص ٣٨و ٣٩؛ كارل بروكلمان : ٨ص ١٥٨-١٦٣؛ يوسف اليان سركيس: ٢، ص ١١١٧و ١١١٨.

(٤٨٥) ومن آثاره: " الدرة المنيفة في فقه أبي حنيفة". المحبي: ٣/٢٢٠.

(٤٨٦) ومن هذه المؤلفات " الرسالة المختارة في مناهي الزيارة" و" رحيق الفردوس في حكم الريق والبوس". كارل بروكلمان: ٨/١٦٩و ١٧٠.

(٤٨٧) ذكر بروكلمان تاريخ الوفاة ٩٣٩هـ(١٥٣٢م).

(٤٨٨) ذكر المحبي أنه توفي سنة ١٠١٩هـ(١٦١٠م).

(٤٨٩) ومن آثاره: " الدرر النفائس في شأن الكنائس" و" شرح الموطأ" و" شرح التهذيب " و" توضيح الديباج وحلية الابتهاج" و" القول المأنوس". المحبي: ٤/٢٥٨-٢٦٣؛ كارل بروكلمان: ٨/١٧٥و ١٧٦.

(٤٩٠) هكذا في الأصل، ولم يذكر بروكلمان تاريخ الوفاة، وذكر أنه كتب سنة ١٠١٠هـ(١٦٠١م)، ومن آثاره: " القول المرتضى في أحكام القضاء". بروكلمان : ٨/١٧٦.

(٤٩١) ومن آثاره الأخرى: " قضاء الوطر في نزهة النظر في توضيح نخبة الأثر" و" نصيحة الإخوان باجتناب شرب الدخان" و" إجمال الوسائل وبهجة المحافل" و" عقد الجمان في مسائل الضمان" و" شرح التقريب والتيسير" و" السند في بيان حجج أهل الغي والرشد". المحبي : المصدر السابق، ج١ص ٦-٩؛ كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص ١٧٩و ١٨٠.

(٤٩٢) ومنها: " منظومة في الدين" و" شرح ألفية بن مالك" و" الزهرات الوردية من فتاوي الشيخ الأجهوري" و" رسالة في فضائل القهوة ومنافعها". المحبي : ٣/١٥٧-١٦٠؛ كارل بروكلمان: ٨/١٨٠-١٨٢.

(٤٩٣) مثل: " تسهيل الهداية وتحصيل الكفاية" و" شرح زبدة العلوم" و" فتح الجواد بشرح منظومة ابن عماد" و" شرح الأجرومية" بروكلمان : ٨/١٨٩و١٩٠.

(٤٩٤) في الأصل القاهرة والصحيح " القاهري".

(٤٩٥) منها: " مقدمة في اصول الدين" و" سواطع الحكم" و" الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع" و" المواعظ الصفية على المنابر العلية" و" شرح على كتاب غاية التقريب". كارل بروكلمان ٨/١٩٠و١٩١؛ يوسف إليان سركيس: ١١٠٨/٢و١١٠٩.

(٤٩٦) ومن آثار: " جوامع الإعراب وهوامع الآداب" و"نظم القطر في علم النحو" و" ناشئة الليل ونظم الارتشاف". المحبي: ٢٢١/٣-٢٢٣.

(٤٩٧) نسبة إلى بدة " شبراملس". ومن آثاره: " الدرر البهية في وضع بسائط فضل الدائر بطريق الهندسية" و" حاشية على المواهب اللدنية" و" حاشية على شرح الشمايل" المحبي: ١٧٤/٣-١٧٧. بروكلمان ١٩٨/٨.

(٤٩٨) ومن آثاره: " التحفة السنية بأجوبة الأسئلة المرضية" بروكلمان ١٩٩/٨.

(٤٩٩) لم يذكر المؤلف السنة.

(٥٠٠) وقد أحصى بروكلمان له ٦٧مؤلفا. بروكلمان: ٢٥٥/٨-٢٦٥.

(٥٠١) الصحيح" سبط". والمؤلف كتبها مسبط توفي سنة ٩٣٤هـ(١٥٢٧م). المرجع نفسه، ص ٣٢٤.

(٥٠٢) من هذه المؤلفات: " التحفة المنصورية في معرفة الأوقات الشرعية" و" تعريفات ما يجب في الرياضة" و" المطلب في العمل بالربع المجيب" و" تدريب العامل بالربع الكامل". بروكلمان : ٣٢٤/٨و٣٢٥.

(٥٠٣) في بروكلمان: كتب سنة ٩٨٠هـ (١٥٧٢م).

(٥٠٤) في بروكلمان: نحو سنة ١٠٨٠هـ(١٦٦٩م).

(٥٠٥) القوصوني (بالصاد): وكتبها المؤلف بالسين، كان رئيسا للأطباء في مصر، ومن آثاره أيضا: " ريحان الألباب وريعان الشباب". المحبي: ٣٣٣/٤و٣٣٤.

(٥٠٦) ذكر بروكلمان له ٢٥مؤلفا، منها: " الفوائد الطبية الموافقة لطب البرية" و" الهداية من الضلالة في معرفة الوقت والقبلة بغير آلة" و" المجريات" و" رسالة في فضائل مكة والمدينة والبيت الحرام المقدسي". بروكلمان: ٣٥٤/٨-٣٥٧.

(٥٠٧) " تحفة الراغب في سيرة جماعة من أعيان أهل البيت الأطايب".

(٥٠٨) ومن أهم هذه الآثار: " قلائد العقيان في فضائل سلاطين آل عثمان" و" نزهة الناظرين في تأريخ من ولى مصر من الخلفاء والسلاطين" و" إيقاف العارفين على حكم أوقاف السلاطين" و" بهجة الناظرين في آيات المستدلين" و" ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون" و" نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين" و" مسبوك الذهب في فضل العرب" و" غاية المنتهي في الفقه" و" مقدمة الخصائص في علم الفرائض" و" أقاويل الثقات في تأويل الصفات" و" الآيات المحكمات والمتشابهات".المحبي: ٣٥٨/٤-٣٦١؛ بروكلمان: ٣٧٠/٨-٣٧.

(٥٠٩) لعله نسي حرف " إلى".

(٥١٠) هكذا في الأصل ن والمؤلف يقصد سنة ١١٧٧هـ، وهي السنة التي تمكن فيها على بك الكبير من استلام مشيخة البلد.

(٥١١) الواقع أن العثمانيين قسموا مصر إلى أربعة عشرة ولاية، سبع منها في كل ولاية (بحري- قبلي)، انظر: حسين أفندي الروزنامجي: المصدر السابق، ص ٣٣.

(٥١٢) لعل المؤلف نسي حرف الجر (إلى) فأثبتناها.

(٥١٣) شيخ الإسلام فيض الله أفندي: ١١٠٦-١١١٥هـ(١٦٩٤-١٧٠٣م) في عهد السلطان مصطفى الثاني.

(٥١٤) بطرس الأكبر: ١٦٧٢- ١٧٢٥م.

(٥١٥) هكذا في الأصل والصحيح: شارل الثاني عشر ملك السويد المولود سنة ١٦٨٢م؛ تولى سنة ١٦٩٧م وتوفى سنة ١٧١٨م. وقد انتصر عليه بطرس الأكبر في واقعة " بولتاوا" سنة ١٧٠٩م. واسوج هي السويد. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣١٢-٣١٣.

(٥١٦) محمد باشا البلطجي: تولى الصدارة مرتين في عهد السلطان أحمد الثالث وعزل سنة ١١٢٣هـ(١٧١١م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٤٠،٤١.

(٥١٧) الصحيح لغلبا على أمرهما وسلما.

(٥١٨) كاترينا الأولى: توجت سنة ١٧٢٤م إمبراطورة، وخلفت زوجها سنة ١٧٢٥م، وتوفيت سنة ١٧٢٧م.

(٥١٩) هي معاهدة " فلكزت" في ٩من جمادي الآخرة سنة ١١٢٣هـ(٢٥من يوليو سنة ١٧١١م) وبمقتضاها أخلى قيصر روسيا مدينة آزاق، وتعهد فيها بعدم التدخل في شئون القوزاق، وعدم التعرض لشارل الثاني عشر عند عودته إلى بلاده. محمد فريد : المرجع السابق، ص ٣١٤؛ محمد سهيل طقوش: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٥٢٠) عن تأسيس دار الطباعة في الآستانة سنة ١١٢٩هـ(١٧١٢م) انظر: أحمد جودت : تاريخ جودت، ج١ ترجمة عبد القادر الدنا، بيروت، ١٣٠٨هـ، ص ٨٢. وسليم نزهت، مرجع سابق ص ٢/٤١.

(٥٢١) هو" حسين باشا" في الجبرتي، وهو "حسن باشا السلحدار" والي مصر السابق في " أوضح الإشارات..". قدم إلى مصر في ٢٥ شعبان سنة ١١١٩هـ (٢١من نوفمبر سنة ١٧٠٧م) وعزل في ٩ من رمضان سنة ١١٢١هـ(١٢ من نوفمر ١٧٠٩م). الجبرتي: ٤٥/١؛ أوضح الإشارات..، ص ٢١٤. ويذكر عبد الكريم عبد الرحمن أن السلحدار حسن باشا، تولى حكم مصر مرتان الأولى عام ١٠٩٩-١١٠٠هـ والثانية ١١١٩-١١٢١، ورقة ١٢١٠أ).

(٥٢٢) وقد ذكر أحمد شلبي عبد الغنى هذه القصة قبل الجبرتي. انظر: أوضح الإشارات..، ص ٢٨٣، ٢٨٤؛ الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص ٣١-٣٣.

(٥٢٣) الصحيح أن الاسم الذي ذكرته المصادر المعاصرة هو قاسم بك الدفتردار الذي ينسبون إليه فرق القاسمية، وذو الفقار بك رأس فرقة الفقارية. أما إضافة اسم عيواظ (عوض: كما تذكره الوثائق ولكنه ينطق عيواظ حسب نطق الأتراك) فقد أوقع المؤلف في خطأ تخطي معه فترة طويلة من تاريخ مصر العثماني فقاسم بك الدفتردار حسب رواية الجبرتي كان سنة ١٠٥٠هـ(١٦٤٠م) أما الخلط الذي وقع فيه المؤلف بين شخصية قاسم الدفتردار وشخصية بك مملوك قاسمي وهو عيواظ بك الذي قتل إبان ثورة إفرنج أحمد سنة ١٧١١م، فليس هناك علاقة بين قاسم الدفتردار وعيواظ بك سوى إنهما قاسميان.

(٥٢٤) دامت الحرب سبعين يوما. انظر: على بن محمد الشاذلي الفرا: ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة القاهرة، (١١٢٣-١٧١١م) تحقيق عبد القادر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٨م،ص ٣١٩-٤٠١، ص ٣٢٢.

(٥٢٥) لم يذكر المؤلف مصدره في هذا ، فقد كانت الفتنة بشعة، وانقطع عن الناس أرزاقهم، وضاقت بهم سبل العيش.

(٥٢٦) انظر ترجمته في : الجبرتي: ١٥٢/١-١٦٢.

(٥٢٧) هو " ولي باشا" قدم إلى مصر في ٢٧ من رجب سنة ١١٢٣هـ(١٠من سبتمبر سنة ١٧١١م)، وعزل في ١٢من شوال سنة ١١٢٦هـ (٢١من أكتوبر سنة ١٧١٤م). أوضح الإشارات ..، ص ٢١٥-١٦٥. وعبد الكريم بن عبد الرحمن، ١٤٧أ- ١٥٢ب وأحمد الدمرداش كتخدا غربان، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨-١٨٦.

(٥٢٨) هكذا في الأصل.

(٥٢٩) قصة الرجل النجار الأمي مع إسماعيل بك أورد هذه القصة إسماعيل الخشاب في مخطوطته(تاريخ المماليك في القاهرة) محفوظ بدار الكتب المصرية (٢١٤٨ تاريخ طلعت).

(٥٣٠) توالى على حكم مصر في تلك الفترة:

ولي باشا: ١١٢٣-١١٢٦هـ(١٧١١-١٧١٤)

عابدي باشا: ١١٢٦٠١١٢٩هـ(١٧١٤-١٧١٧م)

على باشا: ١١٢٩-١١٣٢هـ (١٧١٧-١٧٢٠م)

رجب باشا: ١١٣٢-١١٣٣هـ(١٧٢٠-١٧٢١م)

محمد باشا النشانجي: ١١٣٣-١١٣٨هـ (١٧٢٠-١٧٢٦م). أوضح الإشارات ..، ص ٢٥١-٣٢١.

(٥٣١) في " أوضح الإشارات.." هو زين الفقار تابع عمر آغا، أغا الجراكسة.

(٥٣٢) لم يقتل كل من كان في الديوان من رجال إسماعيل بك بن ايواظ كما يذكر المؤلف؛ وإنما قتل إسماعيل بك صنجق جرجا الذي حاول الإمساك بزين الفقار فطعن من الخلف. أوضح الإشارات ..، ص ٣٨٣.

(٥٣٣) لنظر تفاصيل مقتل إسماعيل بك بن ايواظ في الديوان يوم الخميس ١٩ من صفر سنة ١١٣٦هـ(١٨من نوفمبر سنة ١٧٢٣م) في " أوضح الإشارات.." حيث كان أحمد شلبي عبد الغني شاهدا عيانا: المصدر نفسه ، ص ٣٨٣-٣٨٦.

(٥٣٤) انظر ترجمة " جركس بك " في : الجبرتي: ١/١٦٧-١٧٣.

(٥٣٥) جرت هذه الواقعة يوم السبت السابع من جماد الآخر سنة ١١٣٨هـ (١٠من فبراير سنة ١٧٢٦م). انظر أوضح الإشارات ..، ص ٤٧٥؛ والجبرتي ١/٨١.

(٥٣٦) هو " زين الفقار بيك" في " أوضح الإشارات".

(٥٣٧) ذكر أحمد شلبي عبد الغني" الجزاير". أوضح الإشارات ..، ص ٤٧٨.

(٥٣٨) الصحيح أنه قتل قبل" محمد جركس بك" بخمسة أيام، فقد قتل ذو الفقار بك يوم الخميس ٢٥من رمضان سنة ١١٤٢هـ(١٣من إبريل سنة ١٧٣٠م) وقتل محمد جركس يوم الثلاثاء ٣٠ من رمضان سنة ١١٤٢هـ(١٨من إبريل سنة ١٧٣٠م). أوضح الإشارات..، ص ٥٦٥-٥٦٨؛ الجبرتي: المصدر السابق، ج١،ص٨٤.

(٥٣٩) خلع السلطان أحمد الثالث في ١٥من ربيع الأول سنة ١١٤٣هـ(٢٨من سبتمبر سنة ١٧٣٠م)، وكانت مدة حكمه ٢٧سنة و١١شهرا، وقد توفي سنة ١١٤٩هـ(١٧٣٦). سالنامة ١٢٩٤هـ،ص ٢٥، محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣١٨، ٣١٩.

(٥٤٠) نادر شاه: ١٦٨٨-١٧٤٧، كان شاها لإيران في الفترة من ١٧٣٦-١٧٤٧.

(٥٤١) هكذا في الأصل، والصحيح"بها".

(٥٤٢) هكذا في الأصل، والصحيح" فعارض"، ذلك أن الشاه طهماسب طلب الصلح، فتم في سنة ١١٤٤هـ(١٧٣٢م) على أن تترك فارس للدولة العثمانية كل ما فتحته ماعدا تبريز وأردهان وهمذان وباقي إقليم لورستان، فعارض نادرشاه، وعزل الشاه، وحاصر بغداد، وجرت المعارك بين الدولتين، فطلبت الدولة العثمانية الصلح، فوقع في سنة ١١٤٩هـ(١٧٣٦م)، وفيه اتفق على أن ترد الدولة العثمانية ما أخذته من فارس، ونودي بنادر شاه ملكا على فارس. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٢٠،٣٢١.

(٥٤٣) "وأسف عليه العثمانيون" أما " آسفه"بمعنى أغضبه.

(٥٤٤) المقصود بالعار السابق " معاهدة بساروفتز" سنة ١١٣٠هـ(١٧١٨م). وبموجب معاهدة بلغراد سنة ١١٥٢هـ(١٧٣٩م) تنازلت النمسا للدولة عن بلغراد وما أعطي لها من الصرب والأفلاق بموجب معاهدة بساروفتز، وتعهدت روسيا بهدم قلاع ميناء آزاق، وبعدم إنشاء سفن البحر الأسود، وأن تكون تجارتها على سفن أجنبية، وأن ترد للدولة ما أخذته من الأقاليم والبلدان. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٢١-٣٢٣.

(٥٤٥) انظر ترجمته في : الجبرتي: ١/٢٣٢-٢٤١.

(٥٤٦) وهو الوباء المعروف" بطاعون كو" ومات به كثير من الأعيان وغيرهم. انظر: الجبرتي: ١/١٩٥.

(٥٤٧) ولي" عثمان بك" بورصة عدة سنين ثم رجع إلى الآستانة واستمر بها إلى أن توفي في حدود سنة ١١٩٠هـ ١٧٧٦م). الجبرتي: ١/٢٤١.

(٥٤٨) يذكر الجبرتي أنه لعظم شأن " عثمان بك" جعل أهل مصر سنة خروجه منها (١١٥٦هـ-١٧٤٣م) تاريخا لأخبارهم ووقائعهم ومواليدهم. الجبرتي، ١/٢٣٢.

(٥٤٩) هو " أحمد باشا كور" ١١٦٢-١١٦٣هـ(١٧٤٨-١٧٥٠م). وسبب تلقبه بذلك أنه كان بعينه بعض حول. الجبرتي: ٢٤٣/١.

(٥٥٠) هو " الشريف عبد الله باشا" : ١١٦٤-١١٦٦هـ (١٧٥٠-١٧٥٣م) والمؤلف كتبها هنا خطأ. انظر الجبرتي ٢٤٥/١. ويذكر أحمد الدمرداش كتخدا عزبان ولايته بين ١١٦٤-١١٦٥ انظر: الدرة المصانة، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥٧.

(٥٥١) محمد راغب باشا: حضر إلى مصر واليا في سنة ١١٥٩هـ (١٧٤٦م) وعزل سنة ١١٦١هـ(١٧٤٨م)، وقد تولى الصدارة في سلطنة عثمان الثالث من سنة ١١٧٠هـ(١٧٥٧م) إلى أن توفى في سنة ١١٧٦هـ(١٧٦٣م). وكان من أفاضل العلماء والحكماء، ألف رسالة في العروض، وله ثلاثة دواوين تركي وفارسي وعربي، وله"سفينة الراغب ودفينة الطالب" وهي أشهر تأليفه. الجبرتي: ٣٣٥/١؛ سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، ص ٤٣،٤٤.

(٥٥٢) الكاشف: هو الذي يتولى إدارة كاشفية. والكاشفية القسم الإداري الأقل من الولاية، وقد وجد في مصر ٢٤كاشفية. ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، ص ٤٥٣.

(٥٥٣) الصحيح:أثنائها.

(٥٥٤) وهو المعروف بـ" حسين بك الصابونجي" ، انظر ترجمته في : الجبرتي: ٢٦٩/١-٢٧١.

(٥٥٥) وكان قتله في شهر صفر سنة ١١٧١هـ(١٧٥٧م). الجبرتي: ٢٧٠/١.

(٥٥٦) الصحيح أن السلطان مصطفى الثالث توفي في ٨ من ربيع الأول سنة ١١٨٧هـ (٣١من مايو سنة ١٧٧٣م). سالنامة سنة ١٢٩٤هـ،ص٢٦.

(٥٥٧) الصحيح أن السلطان مصطفى الثالث تولى الملك وسنة ٤٢سنة. فقد ولد سنة ١١٢٩هـ(١٧١٧م)، وتولى سنة ١١٧١هـ(١٧٥٧م). نفس المصدر السابق والصفحة.

(٥٥٨) تولى محمد راغب باشا الصدارة سنة ١١٧٠هـ(١٧٥٦م) في عهد السلطان عثمان الثالث، واستمر في عهد السلطان مصطفى الثالث حتى توفى سنة ١١٧٦هـ(١٧٦٣م) نفس المصدر السابق، ص ٤٣،٤٤.

(٥٥٩) كاترينة الثانية: ولدت سنة ١٧٢٩م، وتولت العرش سنة ١٧٦٢م، وتوفيت سنة ١٧٩٦م.

(٥٦٠) هي السويد.

(٥٦١) شارل الثاني عشر: ملك السويد: ١٦٩٧- ١٧١٨.انظر ما سبق.

(٥٦٢) ينظر إلى هذه الحادثة في أدبيات التاريخ العثماني على أنها خيانة وعصيان وبالمفهوم المعاصر حركة انفصالية لتقسيم الوطن الواحد. إذ أن مصر -وقتها- كانت عنصرا من عناصر الدولة العثمانية.

(٥٦٣) هو حسين كشكش القازدغلي، وكان من مماليك إبراهيم كتخدا، وقد تقلد إمارة الحج أربع مرات، آخرها سنة ١١٧٦هـ(١٧٦٢م). انظر ترجمته في : الجبرتي: ٤١١/١.

(٥٦٤) هو الأمير صالح بيك القاسمي من مماليك مصطفى بك المعروف بالقرد، تقلد إمارة الحج في سنة ١١٧٢هـ(١٧٥٨م). انظر ترجمته في : الجبرتي ٤١١/١،٤١٢.

(٥٦٥) يجب ملاحظة أن أحداث هذه الواقعة جرت سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) كما ذكرها الجبرتي، لأن المؤلف يرويها على أنها حدثت سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٣م). انظر الصفحة التالية.

(٥٦٦) كتبها المؤلف ١١٧٧-١١٨٥هـ أو من ١٧٦٣- ١٧٦٤م لكن الصحيح: من سنة ١١٧٧-١١٨٧هـ أو من سنة ١٧٦٣- ١٧٧٣م.

(٥٦٧) هذا الانتصار الذي يذكره المؤلف سنة ١١٧٧هـ (١٧٦٣م) حدث سنة ١١٨٢هـ(١٧٦٨). انظر: الجبرتي: ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٠،٤١١.

(٥٦٨) الشيخ ضاهر العمر: (١٦٩٥- ١٧٨٢) شيخ بنى زيدان في بلاد صفد. انظر مادته في المنجد في الأعلام، ٣/٤٤١.

(٥٦٩) وهو الأناضول.

(٥٧٠)الصحيح أن " محمد راغب باشا" توفي سنة ١١٧٦هـ(١٧٦٣م). الجبرتي : ج١/٣٣٥، سالنامة سنة ١٢٩٤هـ ص ٤٤، إبراهيم حليم: المرجع السابق، ص ١٦٩؛ حسين مجيب المصري: مرجع سبق ذكره، ص ٩٨. وهذا الخطأ وقع فيه محمد مختار باشا، فذكر في أحداث شهر رمضان سنة ١١٧٩هـ (فبراير ١٧٦٦م) أن علي بك فر إلى اليمن عندما رأي أن منصبه في المشيخة مهدد لعدم وجود من يسنده في الأستانة بعد وفاة راغب باشا، الذي كان واليا على مصر، وتولى الصدارة العظمى في الأستانة. انظر: محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية..، ص٥٩٠.

(٥٧١) لم يذكر المؤلف مصدره في مقتل " صالح بك" على يد إبراهيم كاشف، فقد روي الجبرتي تفاصيل مقتل" صالح بك" يوم الأحد ١٨من ربيع الآخر سنة ١١٨٢هـ (٢من سبتمبر سنة ١٧٦٨م)، وذكر مماليك على بك الذين اشتركوا في اغتياله، وهم: محمد بك أبي الذهب، وأيوب بك، ورضوان بك، وأحمدبك بوشناق(الجزار)، وحسن بك الجداوي، وعلى بك الجداوي. انظر: الجبرتي: ٣٩٦/١.

(٥٧٢) المؤلف يكتبها هذين والصواب: هذا. ويضع المؤلف صورة ختم سليمان كخيا بجوار الجدول المنكور.

(٥٧٣) يقف جرجي زيدان موقفا واضحا ضد محمد بك أبي الذهب، ويعتبره كما أورد. أما كتب التاريخ العثماني فترى العكس، إذ أن الأمر كان، بالنسبة لأيديولوجية ذلك العهد،كما يلي:

١- أقدم علي بك على التعاون مع دولة أجنبية غربية غير مسلمة من أجل استقلاله بمصر وهي روسيا. ومع ضاهر العمر في لبنان ضد الدولة.
٢- خان على بك دولة الخلافة الإسلامية وهي العثمانية وبالتالي فقد خان دولة الإسلام.
٣- خان على بك وحدة الدولة العثمانية الواحدة، وهي دولة لم تنقسم وهذا أحد صفاتها. وكانت، تمثل قوة المسلمين وقتها.
٤- وبالتالي فإن محمد بك أبو الذهب، قد قام بواجبه الديني والوطني والإداري في نظرة عصره، عندما كانت الفكرة الدينية هي أساس نظام العالم في ذلك العهد.

(٥٧٤) محمد باشا: ١١٨٢هـ ١٧٦٨م. وقد توفى في عام ١١٨٣هـ (١٧٦٩م)، انظر الجبرتي: ٤٣٦/١.

(٥٧٥) هو " أحمد باشا": ١١٨٣هـ- ١٧٦٩م.

(٥٧٦) الصحيح "من ".

(٥٧٧) القابيجي باشي: رئيس البوابين، وهي وظيفة قديمة في الدولة، وكان في الأصل واحدا ثم صار أربعة ثم بلغ عددهم عشرة، حتى بلغ ١٥٠، وكونوا فرقة أنشئ لها منصب قائد يسمى باش قابيجي باشي أو رئيس كبار البوابين. وقد أصبحوا بعد ذلك يوظفون بصفتهم تشريفاتية في حفلات الاستقبال التي تجري بالقصر والبعثات ذات الأهمية الخاصة والسرية بوجه خاص مما كان يوفد إلى الولايات. وكان اثنا عشر منهم يصاحبون السلطان في ذهابه إلى المسجد في أيام الجمعة. انظر: علي همت بركي الأقسكي: المرجع السابق، ص ١٧٨، هاملتون جب وهارولد بوون: مرجع سبق ذكره، ج٢، ص ٢٢٤.

(٥٧٨) كان على بك يتحدث بالتركية ولم يكن يعرف العربية.

(٥٧٩) في الجبرتي: قبض على بك، على المعلم اسحق اليهودي معلم الديوان ببولاق، وأخذ منه أربعين ألف محبوب ذهب وضربه حتى مات. الجبرتي: المصدر السابق، ج١،ص ٣٩٩. وقد أعطى على بك التزام الجمارك في مصر إلى سوري اسمه حنا فخر. هاملتون جب وهارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، حاشية (٥)، ص ١٦٣.

(٥٨٠) الكلمة تركية ومعناها الواصل إلى السحاب، وذلك لطول قامة عليبك، ويترجم هولت هذه العبارة بمعنى " قابض الغمام " وفي رد هاروس بمعنى السحاب وهي ما يمكن ترجمتها: حاجز السحاب أو " قابض الغمام".

(٥٨١) الصحيح هنا الشيخ همام شيخ الهوارة: انظر دراسة ليلي عبد اللطيف: الصعيد في عهد شيخ العرب همام. الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٧.

(٥٨٢) وهي أسوان.

(٥٨٣) يبدو أن خيال المؤلف الروائي يلعب دوره في هذه القصة، وذلك لأن أحمد بك الجزار كان قد فر بعد مقتل " صالح بك" سنة ١١٨٢هـ(١٧٦٨. انظر الجبرتي ١/٣٩٦-٣٩٧وج٢،ص ٤٦٧-٤٧٠وسيعاد ذكر ذلك.

(٥٨٤) فرند: السيف (بكسرتين) وإفرنده: بكسر الهمزة والراء ربده ووشيه.

(٥٨٥) روى الجبرتي قصة فرار أحمد بك (الجزار)، ضمن روايته لمقتل " صالح بك" في أحداث سنة ١١٨٢هـ(١٨٦٨م)، فقد كان " أحمد بك " مع المماليك الذين اشتركوا في قتل صالح بك، إلا أنه لم يستل سيفه ليضربه به، وذلك لأنه ذهب للحج معه سنة ١١٧١هـ عندما كان صالح بك أميرا للحج. وقد وشوا به إلى " على بك" ، فاضطر أن يقسم له أنه اشترك في قتل صالح بك بسيفه، إلا أنه اتخذ قراره بالفرار، فخرج إلى الإسكندرية بعد أن أوصى حريمه بكتمان أمره، ومنها إلى الآستانة. وقد رجع إلى البحيرة، وأقام بعرب الهنادي وتزوج هناك، وحارب معهم ضد " على بك " ، ثم سار إلى بلاد الشام، إلى أن تولى عكا.انظر: الجبرتي : ١/٣٩٦،٣٩٧، ٢/٤٦٧-٤٧٠.

(٥٨٦) كانت تجريدة مكة بقيادة محمد بك أبو الذهب، وقد تكلفت ٢٦مليون فرنك واستطاعت دخول مكة المكرمة في ربيع الآخرسنة ١١٨٤هـ(يوليو ١٧٧٠م). الجبرتي : ١/٤٥٦، محمد مختار باشا: المصدر السابق، ص ٥٩٢.

(٥٨٧) مما رواه الجبرتي في أحداث شهر رمضان ١١٨٣هـ(يناير ١٧٧٠م) أن على بك صلى الجمعة بجامع الداودية فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلي بك، فأحضر الخطيب بعد الصلاة وعنفه على ذلك وأمر بضربه لأنه دعا باسمه في الخطبة. انظر الجبرتي: ١/٤٣٩.

(٥٨٨) ويقدر فولني مجموع الجيش الذي أرسل إلى سوريا بحوالي ٤٠,٠٠٠ رجل ويعطي المرادي العدد نفسه. انظر: هملتون جب وهارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، حاشية (٤) ص ٤٤ن٤٥.

(٥٨٩) هو كارلو روستي Carlo Rosetti الذي كان قنصلا للبندقية والنمسا في القاهرة. جب وبوون، نفس المصدر السابق، ص ١٦٤.

(٥٩٠) في المخطوط صورة كاترينا الثانية.

(٥٩١) ٣٠ من ذو الحجة سنة ١١٨٥هـ (٣من إبريل سنة ١٧٧٢م).

(٥٩٢) ١٢من إبريل سنة ١٧٧٢م.

(٥٩٣) الأول من فبراير سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٤) ٤ من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٥) ٩ من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٦) ١١ من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٧) ١٣ من إبريل سنة ١٧٧٣م.

(٥٩٨) وكانت وفاته في ١٥ صفر سنة ١١٨٧هـ (٩ من مايو سنة ١٧٧٣م) الجبرتي: ١/٤٩٤.

(٥٩٩)، (٦٠٠) ينقل المؤلف مناقب على بك ومآثره من الجبرتي. انظر الجبرتي: ج١/٥٠١،٥٠٢.

(٦٠١) في المخطوط، صورة " نقود السلطان مصطفى بن أحمد وعلى بك" وصورة "نقود السلطان مصطفى بن أحمد وعلى بك".

(٦٠٢) الصحيح " أو من ".

(٦٠٣) صوابها " سلطانين".

(٦٠٤) كان القتال قد استؤنف بين الدولة العثمانية وروسيا بعد رفض الدولة العثمانية لشروط الصلح التي قدمتها روسيا في سنة ١١٨٦هـ- ١٧٧٣م، فانهزم الروس في بلاد الطونة أمام مدينة روستجوق وأمام مدينة سلستيريا التي حاولوا الاستيلاء عليها في ٣٠من مايو سنة ١٧٧٣م، بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف جندي، واضطروا إلى التقهقر. ونتيجة لنضوب الخزينة ألغيت عادة منحة جلوس السلطان عن العرش. محمد فريد: المرجع السابق، ص ٣٣٨. وإسماعيل حقي دانشمند تقويم التاريخ العثماني، مرجع سبق ذكره، مجلد ٤، ص ٥٧. I.H.D.C.4,5.57 .

(٦٠٥) وهو نهر الدانوب.

(٦٠٦) هي معاهدة " كوجوك قينارجه"، وهي أقسى المعاهدات في التاريخ العثماني، وكانت الأساس الذي بنيت عليه المعاهدات التي عقدتها الدولة مع روسيا. وهي تتكون من ثمانية وعشرين مادة، أهمها: استقلال شبه جزيرة القرم مع حفظ سيادة سلطان الدولة العثمانية فيما يتعلق بالشئون الدينية على تتار القرم بصفته خليفة للمسلمين، وتسليم كافة البلاد والأقاليم التي احتلتها روسيا إلى خان القوم،

ورد ما أخذ من أملاك الدولة بالأفلاق والبغدان، وأن يكون للسفن الروسية حرية الملاحة في البحر الأسود والمتوسط، وأن تبني روسيا كنيسة بقسم بيرا بالآستانة، ويكون لها حق حماية جميع المسيحيين التابعين لها من رعايا الدولة، وأن تكون كافة المعاهدات السابقة لاغية، وأن تدفع الدولة إلى روسيا غرامة حربية على ثلاثة أقساط. انظر نص المعاهدة في : أحمد جودت: تاريخ جودت، ج١ مرجع سبق ذكره، ص ٣٩٨-٤١٣.

(٦٠٧) الأصل أن مصر كانت ولاية عثمانية ذات وضع متميز ولا يرسل إليها إلا الولاة المتميزون.

(٦٠٨) في المخطوط صورة أبو طبق في موكبه.

(٦٠٩) أن ما ذكره المؤلف بشأن طريقة إقالة الباشا من منصبه لم تكن طريقة ابتدعتها الدولة العثمانية، بل إن الدولة حينما تريد عزل واليها- الباشا- تصدر له فرمانا بالعزل ويعين بدلا منه قائمقام يتولى مهامه إلى حين وصول الباشا الجديد. لكن ما ذكر المؤلف عن تلك الطريقة كان من ابتداع كبار الأمراء المماليك في القرن ١٨حينما أصبحوا هم أصحاب النفوذ على شئون البلاد ولا دخل للدولة العثمانية في ذلك والتي كانت سلطتها على مصر في تلك الفترة ضعيفة إلى حد ما.

(٦١٠) توفي " محمد أبو الذهب" في ٨ من ربيع الثاني سنة ١١٨٩هـ(٩من يونية سنة ١٧٧٥م)، وقد وصلت جثته إلى مصر في ٢٤ من ربيع الثاني، ودفن في مدرسته تجاه الأزهر. <u>الجبرتي: ١</u>/٥٤٦،٥٤٧.

(٦١١) لم يلقب محمد بك أبو الذهب بلقب الخائن، ولم يحمل هذا اللقب في تاريخ مصر العثمانية إلا أحمد باشا الخائن، أما المصادر العثمانية فتزيد على هذا، محمد على باشا رأس العائلة العلوية في مصر.

(٦١٢) " نظراته".

(٦١٣) هو البحر الأحمر.

(٦١٤) الصحيح فيها كثيرين.

(٦١٥) حلوان: المال الذي يدفع عند الحلول محل ملتزم آخر لوفاته وانحلال التزامه عنه، وهناك حلوان الوظائف بمعنى أن الموظف الجديد كان يدفع حلوانا أي مبلغا من المال نظير حصوله على منصبه. <u>ليلى عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني</u>، ص ٤٤٥.

(٦١٦) اختيارية: المسنون أو المجربون إحدى وظائف الرياسة في الأوجاقات. <u>ليلى عبد اللطيف: المرجع السابق</u>، ص ٤٣٨.

(٦١٧) في المخطوط صورة مراد بك.

(٦١٨) ٢٣ من يونية سنة ١٧٨٦م.

(٦١٩) الصحيح " الشيخ" وأن كتبها المؤلف " شيخ".

(٦٢٠) في المخطوط صورة الشيخ محمد المهدي الكبير.

(٦٢١) سلطانم بمعنى سلطاني، والميم فيها ملكية للمتكلم في اللغة التركية.

(٦٢٢) في المخطوط صورة للشيخ أبو الأنوار السادات.

(٦٢٣) يولية سنة ١٧٨٦م.

(٦٢٤) هو " عابدي باشا" . وفي المصادر العثمانية " عبدي". تولى في السبت ١٢من المحرم سنة ١٢٠١هـ (٤من نوفمبر ١٧٨٦م). الجبرتي: ١٩١/٢.

(٦٢٥) في المخطوط صورة : نقود السلطان عبد الحميد الأول

(٦٢٦) في المخطوط صورة للسلطان سليم الثالث.

(٦٢٧) في المخطوط صورة نقود السلطان سليم بن مصطفي.

(٦٢٨) ويعرف أيضا باسم " إجماع الإياس من الوثوق بالناس". وقد استشهد الجبرتي بالكثير من أشعار الحسن البدري في تعليقه على الأحداث والوقائع. انظر ترجمته وبعض أشعاره في الجبرتي: ٩٩/١-١١١.

(٦٢٩) يرتاغ: يطلب ويريد.

(٦٣٠) انظر نص القصيدة في: الجبرتي: ج١/١٠١-١٠٤.

(٦٣١) كان الشبراوي أستاذا في الأزهر ثم أصبح شيخا له سنة ١١٣٧هـ (١٧٢٤م) وقد توفي سنة ١١٧٢هـ (١٧٥٨م). المرادي محمد خليل ، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٣٠١هـ ٣/١٠٧؛ الجبرتي ٢٧١/١-١٧٣؛ بروكلمان ٤٠/٨.

(٦٣٢) " الإتحاف بحب الأشراف".

(٦٣٣) " شرح الصدر بغزوة بدر" وهي رسالة ألفها بإشارة على باشا ابن الحكيم وذكر في آخرها نبذة من تاريخ ولاة مصر إلى وقت صاحب الإشارة. الجبرتي: ٢٧٢/١.

(٦٣٤) ومن آثار الشبراوي الأخرى: " تلخيص العقيدة" و" العقد الفريد" في استنباط العقائد من كلمات التوحيد" و" المنظومة الشبراوية" في النحو. بروكلمان ٤١/٨،٤٢.

(٦٣٥) انظر، الجبرتي: المصدر السابق، ج١، ص٤٥٨.

(٦٣٦) " الفوائح الجنانية في المدائح الرضوانية" وقد جمع فيه ما مدح به الأمير رضوان كتخدا من قصائد ولطائف وتواشيح. الجبرتي: نفس المصدر ، ج١،ص ٢٥٢.

(٦٣٧) " هداية المتهومين في كذب المنجمين" الجبرتي : نفس المصدر، ج١، ص٤٥٨.

(٦٣٨) مكتبة جوتا.

(٦٣٩) " المقادة القمذية في المجون" الجبرتي: المصدر السابق، ج١،ص٤٥٨.

(٦٤٠) ومن آثاره الأخرى: " حسن الدعوة للإجابة عن القهوة" وترويح أولى الدماثة بمنتقى الكتب الثلاثة". بروكلمان : ٤٦/٨.

(٦٤١) وله من التصانيف: " السيرة النبوية" في ٦٣بيتا، و" شرح جواهر الكلام" و" حاشية على الدر المختار". المرادي ٣٧/١-٣٩.

(٦٤٢) الصحيح: السيد مرتضى الحسيني الزبيدي، صاحب كتاب تاج العروس.

(٦٤٣) منها: " تحقيق الوسائل لمعرفة المكاتبات والرسائل " و" إتحاف السادة المتقين" و" سفينة النجاة محتوية على بضاعة مزجاة من الفوائد المنتقاة" و" تحفة القماعيل في مدح شيخ العرب إسماعيل" و" القول المبتوت في تحقيق لفظ تابوت" و" رسالة في أحاديث يوم عاشوراء" و" المواد السنية فيما يتعلق

بطريقة السادة النقشبندية". جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣،ص ٢٨٩؛ بروكلمان: ٦٢/٨-٦٤.

(٦٤٤) هكذا في الأصل والصحيح "شيخ زاده".

(٦٤٥) وله أيضا: " زاد الأشراف في وقف القاف" بروكلمان: ٩٩/٨.

(٦٤٦) الاسم الصحيح هو الأمير أحمد الدمرداش كتخدا عزبان. وقد نشر هذا المخطوط بمعرفة: عبد الرحيم عبد الرحمن: الدرة المصانة في أخبار الكنانة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٩م؛ وأيضا عبد الوهاب بكر ودانيال كريسيليوس: صفحات من تاريخ مصر العثمانية في القرن الثامن عشر، مخطوطة الدرة المصانة في أخبار الكنانة، مرجع سبق ذكره، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٣م.

(٦٤٧) ومن آثاره: " كنز السعادات في الكرامات بعد الممات" و" العقد الثمين فيما يتعلق بآيات الموازين" و" رسالة في فن القرآن" بروكلمان: ٨٢/٨

(٦٤٨) هو" أبو الحسن على الصعيدي العدوي المالكي". المرادي: ٣٢/٤؛ بروكلمان: ١٨٦/٨.

(٦٤٩) " غاية المرام فيما يتعلق بأنكحة الأنام".

(٦٥٠) يقصد كتاب" المجربات" المسمى " فتح الملك المجيد لنفع العبيد". بروكلمان: ٢٠٣/٨.

(٦٥١) وله أيضا: " مزيد النعمة لجمع أقوال الأئمة" و" الإفصاح عن عقد النكاح" و" كشف الأسرار" و" فتح رب البرية على متن السخاوية" في الرياضة. كارل بروكلمان: ٢٠٤/٨؛ يوسف سركيس ١٦٢٤/٢و١٦٢٥.

(٦٥٢) انظر " عيسى بن أحمد البرواي". في المرادي: ٢٧٣/٣.

(٦٥٣) " أحمد السجاعي" ومن آثاره: " نظم أصول الأوقاف" و" فتح المنان" و" الفوائد الجلية لمن أراد الخلاص من كل بلية". بروكلمان: ٢٠٦/٨-٢٠٨.

(٦٥٤) عن " أبو السعود أحمد بن عمر الأسقاطي" انظر المرادي: ١٤٩/١.

(٦٥٥) منها: " التعليق على وصية الأدب" و" تحفة الأكياس" و" الأجوبة الجلية عن المسائل الخفية" و" مشكاة الأنوار في لطائف الأخبار" . بروكلمان: ٢٨٥/٨.

(٦٥٦) ومن آثاره: " العرف العاطر في معرفة الخواطر" وديوان شعر سماه " ترويح البال وتهييج البلبال". المرادي ٣٢٨/٢و ٣٢٩.

(٦٥٧) كان شيخا للأزهر، وله من التصانيف: " رسالة في أصول القرآن" و" الآداب السنية لمريد سلوك طريق السادة الخلوتية" ومنظومة في علم الفلك وشرحها. المرادي ١٢٢/٤.

(٦٥٨) " تحفة السالكين ودلالة السائرين لمنهج المقربين".

(٦٥٩) طبع سنة ١٢٨١هـ (١٨٦٤م).

(٦٦٠) هو " سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري الجمل".

(٦٦١) ومن مؤلفاته: " رسالة في المنحرفات" و" رسالة في الأسطحة" و" حقائق الدقائق" و" العقد الثمين فيما يتعلق بالموازين" و" الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة". الجبرتي: ج١، ص ٥٠٦-٥٢٢؛ بروكلمان: ٣٣٧/٨، ٣٣٨.

(٦٦٢) هو " أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري".

(٦٦٣) كان الدمنهوري عالما بالمذاهب الأربعة، وله اليد الطولى في سائر العلوم كالكيمياء والحكمة والطب، وقد تولى مشيخة الأزهر، ومن آثاره: " عين الحياة في علم استنباط المياه" و" كشف اللثام عن مخدرات الأفهام" و" إرشاد الماهر إلى كنز الجواهر" و" الكلام اليسير في علاج المقعدة والبواسير" و"منتهى التصريح بمضمون القول الصريح في علم التشريح". المرادي: ١١٧/١؛ الجبرتي: ٢/ص ٣٢-٣٥؛ بروكلمان: ٨/٣٧٩- ٣٨١.

(٦٦٤) ما ذكره المؤلف عن ظلم المرأة وانحطاط وضعها في العصر العثماني ليس هناك ما يؤكده بل العكس هو الصحيح، فوثائق المحاكم الشرعية تفيض بالوثائق الخاصة بقضايا الأسرة والمرأة. فعلى سبيل المثال فإن وثائق محكمة الباب العالي الخاص بقضايا الزواج أو الطلاق شواهد صدق على علو مكانة المرأة في مصر العثمانية. انظر سوسن سليمان يحي قضايا المرأة في مصر العثمانية (مجلة كلية الآداب عدد خاص ٥٧) ص ١٩٩-٢٢٥.

(٦٦٥) تناول المخدرات لم يكن بالظاهرة التي يصورها المؤلف وكأنها عادة يومية عند الناس فما ذكرته المصادر المعاصرة، هو انتشار عادة التدخين لكنها كانت للقادرين فقط. انظر الجبرتي: جـ ١، ص ٤١ مطبعة الأنوار المحمدية د.ت.

(٦٦٦) كان جمرك دمياط يضم إليه جمرك البرلس الذي يقع في جنوب دمياط، والذي كانت تمر فيه البضائع والمنتجات القادمة من الوجه البحري والواردة من شمال إفريقية عن طريق البر. عراقي يوسف محمد الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر،القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥، ص ٢٧٧.

(٦٦٧) كان جمرك مصر القديمة وبولاق جمركا واحدا منذ بداية العصر العثماني، وكان يدار في البداية بمعرفة الباشا العثماني، ثم انتقل إلى أوجاق مستحفظان حتى سنة ١٧٧٢م بعد أن استحوذ البكوات المماليك على إيراداته؛ التي بلغت في سنة ١٧٩٨م حوالي ٣,٥١٥,٤٣٧ بارة. عراقي يوسف، المصدر السابق نفس الصفحة.

(٦٦٨) المقصود هنا نظام الالتزام في الجمارك، حيث كان تباع رسوم الجمارك إلى الملتزمين، الذين يشرفون على تحصيلها ويوردونها إلى خزينة الروزنامة مع قيمة من المال في نظير ذلك.

(٦٦٩) الصحيح " الريال أبو طاقة" ، وهو الريال النمسوي (التالير٩ أو ريال ماريا تريزا، الذي ضرب سنة ١٧٥١م. وقد سمي في مصر بهذا الاسم نسبة للنافذة أو الطاقة المرسومة على صدر النسر المصور على أحد وجهي الريال. وقد سمي الريال الهولندي " ريال أبو كلب" ، والإسباني "ريال أبو مدفع" . وتراوح أسعار هذه الريالات ما بين ١٩و٣٤قرشا. محمد شفيق غربال، مرجع سبق ذكره، ص ٩٠٥، عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٥٧٨.

(٦٧٠) الصحيح " أكثرها" ولو أن المؤلف كتبها " أكثر" .

(٦٧١) الصحيح "حال".

(٦٧٢) الإنصاف أو البارة: أصغر عملة نقدية تركية، وتساوي ٤٠/١ من القرش، وأقدم إشارة إليها في سنة ١٥٣٥م في " أوضح الإشارات " ، وقد ضربت أولا من الفضة، وكان وزنها ١٦ قمحة

(١,١١ جم)، وانخفض إلى ربع ذلك في أوائل القرن ١٩م. وفي سنة ١٨٤٤م أصبحت قطعة صغيرة من النحاس. ويرادف اسم البارة في مصر " نصف فضة" و" مؤيدي" أو " الميدي". أوضح الإشارات..، حاشية ٥٥، ص ١٠٨؛ محمد شفيق غربال ، الموسوعة .. مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠٦؛ عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٥٧٣

(٦٧٣)محمد على باشا: مؤسس الأسرة العلوية بمصر.

(٦٧٤) القرش: نقد اشتق اسمه من الألمانية (جروشن)، وأطلق على العملة الفضية التي ضربت لأول مرة في تركيا في عهد السلطان سليمان الثاني (١٦٨٧- ١٦٩١م)؛ وفي مصر في عهد على بك الكبير (١٧٦٩م). وكان القرش يزن ٢٤٨حبة وقيمته أربعون بارة. وهناك نوعان من القروش: قوش صاغ وقيمته أربعون بارة؛ وقرش بربع هذه القيمة. وكان للقرش أجزاء أهمها العشرون فضة أي نصف القرش إشارة إلى القطعة المعدنية التي تساوي عشرين بارة. محمد شفيق غربال الموسوعة..، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣٧٥؛ عبد الرحمن فهمي: المرجع السابق، ص ٥٧٤-٥٧٥.

ولاة مصر فى العهد العثمانى

١- يونس باشا ١/٢٤-٨/٢٥ ١٥١٧م

٢- محمد خاير باشا ١٥١٧/٨/٢٥-١٥٢٢/٩/٢٩م

٣- مصطفى باشا (داماد جوبان) ١٥٢٢/٩/٢٩-١٥٢٣/٥/٢٧م

٤- قاسم باشا (كوزجه) ٢٧/ ٥ - ١٥٢٣/٧/١م

٥-أحمد باشا (الخائن) ١٥٢٣/٧/١- ٨/ ١٥٢٤م

٦- قاسم باشا (كوزجه)(للمرة الثانية) ١٥٢٤/٨-١٥٢٥/٦/١٤م

٧-سليمان باشا (الخادم)(الصدر الأعظم) ١١٥٢٥/٦/١٤-١٥٣٥/١/٧م

٨-خسرو باشا ١٥٣٥/١/٧-١٥٣٦/١٢/١٠م

٩- سليمان باشا (الخادم) (الصدر الأعظم)(للمرةالثانية)١٥٣٦/١٢/١٠- ١٥٣٨/٦/٨م

١٠- داود باشا ١٥٣٨/٦/٨-١٥٤٩/٣/١١م

١١- على باشا(سميز)(الصدر الأعظم) ١٥٤٩/٣/١١- ١٥٥٤/١/٥م

١٢- محمد باشا (سلطان زاده ، ابن دقاق) ١٥٥٤/١/٥-١٥٥٦/٣/٥م

١٣- اسكندر باشا ١٥٥٦/٣/٥-١٥٥٩/٥/٧م

١٤- على باشا (الخادم) ١٥٥٩/٥/٧-١٥٦٠/٨/٢٥م

١٥-لالا شاهين باشا ١٥٦٠/٨/٢٥- ١٥٦٤/١/٢٦م

١٦- على باشا (الصوف) ١٥٦٤/١/٢٦- ١٥٦٦/٤/٢٠م

١٧- محمو د باشا (الداماد) ١٥٦٦/٤/٢٠- ١٥٦٧/١٢/٢٦م

١٨- قوجه سنان باشا ١٥٦٧/١٢/٢٦- ١٥٦٨/١٢/١٣م

١٩- اسكندر باشا (الجركسى) ١٥٦٨/١٢/١٣- ١٥٧١/٦/٢٤م

٢٠- قوجه سنان باشا (الصدر الأعظم) (للمرة الثانية)١٥٧١/٦/٢٤- ١٥٧٣/٥/٢م

٢١- حسين باشا (بودور) ١٥٧٣/٥/٢- ١٥٧٥/١/١٣م

٢٢-مسيح باشا (الخادم)(الصدر الأعظم) ١٥٧٥/١/١٣- ١٥٨٠/٦/٢٨م

٢٣- حسن باشا (الخادم) ١٥٨٠/٦/٢٨- ١٥٨٣/٥/١٦م

٢٤ - إبراهيم باشا (الداماد) (الصدر الأعظم) ١٥٨٣/٥/١٦- ١٥٨٥/١٠/٧م

٢٥ -سنان باشا الدفتردار ١٥٨/١٠/٧- ١٥٨٧/٥/٣٠م

٢٦- أويس باشا ١٥٨٧/٥/٣٠- ١٥٩١/٤/٣٠ م

٢٧- حافظ أحمد باشا (الخادم)١٥٩١/٤/ ٣٠- ١٥٩٥/٥/١٠م

٢٨-محمد باشا الكردى ١٥٩٥/٥/١٠- ١٥٩٦/٣/٣٠م

٢٩- محمد باشا (سيد أمين) /١٥٩٦/٣- ١٥٩٨/٧/١٦م

٣٠-خضر باشا ١٥٩٨/٧/١٦- ١٦٠١/٧/١٣م

٣١- ياوز على باشا إبن ملقوج (الصدر الأعظم) ١٦٠١/٧/١٣- ١٦٠٣/٩/١٤م

٣٢- ابراهيم باشا (الحاج) ١٦٠٣/٩/١٤- ١٦٠٣/٩/٢٤ م

٣٣-محمد باشا (الجورجي)١٦٠٣/٩/٢٤ - ١٦٠٥/٨/١٦م

٣٤ - حسن باشا (إبن حسين اليمنى) ١٦٠٥/٨/١٦- ١٦٠٧/٥/٢٧م

٣٥- محمد باشا (داماد اوكوز) (الصدر الأعظم) ١٦٠٧/٥/٢٧- ١٦١١/٧/١٢م

٣٦- محمد باشا (الصوفى) ١٦١١/٧/١٢ - ١٦١٥/٤/٢٩م

٣٧- محمد باشا (النشانجى)١٦١٥/٤/٢٩ - ١٦١٨/٢/٨م

٣٨- مصطفى باشا (لفكه لى) (الصدر الأعظم)١٦١٨/٢/٨ - ١٦١٨/١٠/٣١م

٣٩ - جعفر باشا ١٦١٨/١٠/٣١ -١٦١٩/٨/٦م

٤٠- مصطفى باشا (اسبرطه لى) (الإسبرطى)١٦١٩/٨/٦- ١٦٢٠/٨/١٧م

٤١- حسين باشا (الصدر الأعظم)١٦٢٠/٨/١٧ - ١٦٢٢/٢/٤ م

٤٢- محمد بابور باشا ١٦٢٢/٢/٤ - ١٦٢٢/٧/١٦م

٤٣- إبراهيم باشا (السلاحدار) ١٦٢٢/٧/١٦ - ١٦٢٣/٧/٥م

٤٤- قره مصطفى باشا (الصدر الأعظم)١٦٢٣/٧/٥ - ١٦٢٣/١٠/١٢م

٤٥-على باشا (جسته جى) ١٦٢٣/١٠/١٢ - ١٦٢٤/٢/١٢م

٤٦- قره مصطفى باشا(الصدر الأعظم)(للمرة الثانية)١٦٢٤/٢/١٢-١٦٢٦/٥/١٦م

٤٧- بيرام باشا (الداماد) (الصدر الأعظم) ١٦٢٦/٥/١٦ - ١٦٢٨/٩/٩م

٤٨- محمد باشا (طبانياسى) (الصدر الأعظم) ١٦٢٨/٩/٩ - ١٦٣٠/١٠/١٥م

٤٩- موسى باشا ١٦٣٠/١٠/١٥ - ١٦٣١/٧/١١م

٥٠- خليل باشا (الداماد)(الصدر الأعظم) ١٦٣١/٧/١١ - ١٦٣٣/٣/١٣م

٥١- قره أحمد باشا (باقرجى) ١٦٣/٣/١٣ - ١٦٣٥/١٠/٧م

٥٢- دلى حسين باشا (الصدر الأعظم) ١٦٣٥/١٠/٧ - ١٦٣٨/٩/٢٤م

٥٣- محمد باشا (سميز جوان قابيجى باشى) (الصدر الأعظم) ١٦٣٨/٩/٢٤- ١٦٤٠/٨/٢٩م

٥٤- مصطفى باشا (النقاش) ١٦٤٠/٨/٢٩ - ١٦٤٢/١٠/٣م

٥٥- مقصود باشا ١٦٤٢/١٠/٣ - ١٦٤٤/٤/٢٢م

٥٦- أيوب باشا ١٦٤٤/٤/٢٢ - ١٦٤٦/٤/١٥م

٥٧- محمد باشا (حيدر أغا زاده) ١٦٤٦/٤/١٥ - ١٦٤٧/١٢/٢م

٥٨- مصطفى باشا (موستارلى) ١٦٤٧/١٢/٢ - ١٦٤٧/١٢/٢٠م

٥٩- شرف محمد باش (كوجوك جاوش)١٦٤٧/١٢/٢٠ - /١٦٤٩/٣م
٦٠- أحمد باشا (طورخونجى)(الصدر الأعظم) /١٦٤٩/٣ - /١٦٥٠/٢م
٦١ -عبد الرحمن باشا (الخادم) /١٦٥٠/٢ - ١٦٥٢/٩/٩م
٦٢- محمد باشا(خاصه كى) ١٦٥٢/٩/٩ - ١٦٥٦/٥/٢٨م
٦٣-مصطفى باشا (حالى جى دامادى) ١٦٥٦/٥/٢٨ - ١٦٥٧/٦/٢٠م
٦٤-غازى محمد باشا (شهسوار زاده) ١٦٥٧/٦/٢٠ - /١٦٦٠/٦م
٦٥- مصطفى باشا (الكرجى) /١٦٦٠/٦ - ١٦٦١/٥/٢٣م
٦٦-ملك إبراهيم باشا (الدفتردار) ١٦٦١/٥/٢٣ - ١٦٦٤/٤/١م
٦٧-عمر باشا (السلاحدار) ١٦٦٤/٤/١ - ١٦٦٧/٢/٢٠م
٦٨-إبراهيم باشا (الصوفى) ١٦٦٧/٢/٢٠ - ١٦٦٨/١١/١٤م
٦٩-على باشا (قره قاش) ١٦٦٨/١١/١٤ - ١٦٦٩/١٢/٢٩م
٧٠-قره إبراهيم باشا (الصدر الأعظم) ١٦٦٩/١٢/٢٩ - ١٦٧٣/٦/٩م
٧١- حسين باشا (جانبولاد زاده) ١٦٧٣/٦/٩ - ١٦٧٥/٨/٢٧م
٧٢- أحمد باشا (الدفتردار)١٦٧٥/٨/٢٧ - ١٦٧٦/٥/١١م
٧٣- عبد الرحمن عبدى باشا (الشهيد) ١٦٧٦/٥/١١ - ١٦٨٠/٦/١٨م
٧٤- عثمان باشا (بوشناق - البوسنوى) ١٦٨٠/٦/١٨ - /١٦٨٣/٥م
٧٥- خاين زاده باشا (ابن الخائن) /١٦٨٣/٥ - /١٦٨٧/٤م
٧٦- حسن باشا /١٦٨٧/٤ - ١٦٨٧/١١/١٤م
٧٧- حسن باشا(داماد أنشته)(الصدر الأعظم) ١٦٨٧/١١/١٤ - ١٦٨٩/١٠/١٥م
٧٨- أحمد باشا (كخيا سرخوش المفتش) ١٦٨٩/١٠/١٥- ١٦٩١/٤/١٣م
٧٩- على باشا (خزينه دار الموره لى) ١٦٩١/٤/١٣- /١٦٩٥/٧م
٨٠- أسماعيل باشا (جلبى) /١٦٩٥/٧ - /١٦٩٧/١٠م
٨١-حسين باشا (فرارى صارى البوسنوى) /١٦٩٧/١٠- ١٦٩٩/١٠/٩م
٨٢- محمد باشا (قره) ١٦٩٩/١٠/٩ - ١٧٠٤/٥/٦م
٨٣- سليمان باشا (بلطه جى) ١٧٠٤/٥/٦ - ١٧٠٤/١٠/٧م
٨٤- رامى محمد باشا - ١٧٠٤/١٠/٧ - /١٧٠٦/٨م
٨٥- على باشا (دَللاق) /١٧٠٦/٨ - /١٧٠٧/٩م
٨٦- حسن باشا (داماد أنشته) (للمرة الثانية) /١٧٠٧/٩ - ١٧٠٩/١٠/٢٨م
٨٧- إبراهيم باشا (الموره لى) ١٧٠٩/١٠/٢٨- /١٧١٠/٨م
٨٨- حليل باشا (كُوسَج) /١٧١٠/٨ - /١٧١١/٨م

٨٩- ولي باشا /١٧١١/٨ - /١٧١٤/٨م

٩٠- عبدي باشا /١٧١٤/٨ - /١٧١٧/٦م

٩١- علي باشا(دللاق كخيا) (للمرة الثانية) /١٧١٧/٦ - ١٧٢٠/٩/٩م

٩٢-رجب باشا ١٧٢٠/٩/٩- ١٧٢١/٤/٣٠م

٩٣-محمد باشا (نشانجي) ١٧٢١/٤/٣٠ - /١٧٢٥/٩م

٩٤-علي باشا (الموره لي) /١٧٢٥/٩ - /١٧٢٦/٢م

٩٥- محمد باشا (النشانجي) (الصدر الأعظم) /١٧٢٦/٢ - /١٧٢٧/١٠م

٩٦- أبو بكر باشا(السلاحدار) /١٧٢٧/١٠ - ١٧٢٩/٧/١٠م

٩٧- عبدي باشا (للمرة الثانية) ١٧٢٩/٧/١٠ - أواخر شهر ١٧٢٩/٧م

٩٨- عبد الله باشا (كوبريلي زاده) أواخر شهر ١٧٢٩/٧ - /١٧٣٣/٧م

٩٩- محمد باشا(داماد السلاحدار)(الصدر الأعظم) /١٧٣٣/٧-أواخر عام١٧٣٣م

١٠٠-عثمان باشا (المحصل)أواخر عام١٧٣٣ - /١٧٣٣/١٢م

١٠١- عبد الله باشا (كوبريلي زاده) (للمرة الثانية) /١٧٣٣/١٢ - ١٧٣٤م

١٠٢- أبو بكر باشا(السلاحدار) (للمرة الثانية) ١٧٣٤ - /١٧٣٤/١٢م

١٠٣- علي باشا (حكيم أوغلي) (الصدر الأعظم) /١٧٣٤/١٢ - ١٧٣٩م

١٠٤-سليمان باشا (عظم زاده) ١٧٣٩ - ١٧٤١م

١٠٥- يحيى باشا ١٧٤١ - ١٧٤٣/٧/٣م

١٠٦-سعيد محمد باشا (يدكجي) ١٧٤٣/٧/٣ - /١٧٤٤/٣م

١٠٧- محمد راغب باشا (داماد قوجه) (الصدر الأعظم) /١٧٤٤/٣ - /١٧٤٨/٩

١٠٨-علي باشا /١٧٤٨/٩ - ١٧٤٩م

١٠٩-احمد باشا (حاجي شهلا) ١٧٤٩ - ١٧٥٠م

١١٠-عبد الله باشا (حسن باشا زاده) ١٧٥٠ - ١٧٥٢م

١١١-ملك محمد باشا ١٧٥٢ - ١٧٥٣م

١١٢-مصطفى باشا (بلطه جي زاده) ١٧٥٣م

١١٣- محمد باشا (ديويدار) ١٧٥٣ - /١٧٥٣/١١م

١١٤- حسن باشا (شراوى) /١٧٥٣/١١ - /١٧٥٥/١٠م

١١٥- علي باشا (حكيم أوغلي) (الصدر الأعظم) (للمرة الثانية) /١٧٥٥/١٠ - /١٧٥٧/٤م

١١٦-سعد الدين باشا (عظم زاده) /١٧٥٧/٤ - /١٧٥٧/١٠م

١١٧-سعيد باشا /١٧٥٧/١٠ - ١٧٥٨م

١١٨-مصطفى باشا (باهر كوسه) (الصدر الأعظم) ١٧٥٨- ١٧٦٠م

١١٩- كامل أحمد باشا ١٧٦٠ - ١٧٦٢م

١٢٠-أبو بكر راسم باشا ١٧٦٢ -١٧٦٣م

١٢١-محمد باشا (اخسقه لى) ١٧٦٣ - ١٧٦٤م

١٢٢- أحمد باشا (الحاج) ١٧٦٤م

١٢٣-حسن باشا (الحاج)١٧٦٤ - ١٧٦٥م

١٢٤- ماهر حمزه باشا (السلاحدار) ١٧٦٥- ١٧٦٦م

١٢٥-محمد باشا (جلبى) ١٧٦٦ - /١٧٦٧/٤م

١٢٦-محمد باشا (راقم) /١٧٦٧/٤ - ١٧٦٨م

١٢٧-أحمد باشا (كوبريلى زاده) ١٧٦٨ - ١٧٦٩م

١٢٨- محمد باشا (ديويدار) (الصدر الأعظم) (للمرة الثانية) ١٧٦٩م

١٢٩-عثمان باشا (كله جى) ١٧٦٩ - ١٧٧٢م

١٣٠-عثمان باشا (الوكيل) ١٧٧٢ - ١٧٧٣م

١٣١-خليل باشا (قره) ١٧٧٣ - ١٧٧٤م

١٣٢-إبراهيم باشا (الحاج) ١٧٧٤ - ١٧٧٥م

١٣٣- عزت باشا ١٧٧٥- ١٧٧٧م

١٣٤-عزت أحمد باشا ١٧٧٧م

١٣٥-عثمان باشا (بوشناق - البوسنوى) ١٧٧٧ - ١٧٧٨م

١٣٦-محمد باشا(داماد السلاحدار)(الصدر الأعظم) ١٧٧٨ - ١٧٨٥م

١٣٧-محمد باشا (يكن) ١٧٨٥ - ١٧٨٧م

١٣٨-سليم سرى باشا ١٧٨٧م

١٣٩ عبدى باشا ١٧٨٧- ١٧٨٩م

١٤٠- اسماعيل باشا ١٧٨٩ - ١٧٩١م

١٤١-عزت محمد باشا (صفران بولولى) ١٧٩١ - ١٧٩٤م

١٤٢-صالح باشا ١٧٩٤ - ١٧٩٦م

١٤٣-بكر باشا (لقمه جى) ١٧٩٦ - ١٧٩٨م

١٤٤- عبد الله باشا (عظم زاده) ١٧٩٨ - /١٧٩٩/٨م

١٤٥-نصوح باشا (عظم زاده) /١٧٩٩/٨ - /١٨٠٠/١٢م

١٤٦-محمد باشا (أبو مرق) /١٨٠٠/١٢ - ١٨٠١م

١٤٧محمد خسرو باشا (الصدر الأعظم) ١٨٠١ - ١٨٠٣م

١٤٨- على باشا (الطرابلسى) ١٨٠٣م

١٤٩-خورشيد أحمد باشا ١٨٠٣ - ١٨٠٥/٧/٨م

١٥٠- محمد على باشا (قَوْلَه لى) ١٨٠٥/٧/٨ - ١٨٤٩/٨/١م

١٥١-عباس حلمى باشا (حاجى) ١٨٤٩/٨/١ - ١٨٥٤/٧/١٣م

١٥٢-محمد سعيد باشا(إبن محمد على باشا) ١٨٥٤/٧/١٣ - ١٨٦٣/١٢/١٨م

١٥٣- اسماعيل باشا (حفيد محمد على باشا) ١٨٦٣/١٢/١٨ - ١٨٧٩/٧/٢٥م

١٥٤- محمد توفيق باشا (ابن اسماعيل باشا) - ١٨٧٩/٧/٢٥ - ١٨٩٢/١/٧م

١٥٥- عباس حلمى باشا (حاجى) ١٨٩٢/١/٧- /١٢/١٩١٤م*

* هذه القائمة بأسماء ولاة مصر فى العهد العثمانى مأخوذة من:

* YILMAZ OZTUNA, BUYUK TURKIYE TARIHI, OTUKEN YAYIEVI, c. 14, ISTANBUL 1983. S.51-55.

قائمة المصادر والمراجع الخاصة بالدراسة والتحقيق

أولا: المصادر العربية:

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٥ حققها وكتب المقدمة محمد مصطفى ، ط٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.
- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، القاهرة ، المطبعة البهية.
- الأمير أحمد الدمرداش كتخدا عزبان، مخطوط الدرة المصانة في أخبار الكنانة، تحقيق دانيال كريسيليوس(دكتور) وعبد الوهاب بكر (دكتور)، دار الزهراء للنشر، القاهرة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ابن عبد الحكم، بعبد الرحمن بن عبد الله: كتاب مفتوح مصر وأخبارها، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٢٠م.
- أحمد بن زنبل الرمال المحلى: تاريخ السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مع قانصوه الغوري سلطان مصر وأعمالها، القاهرة، ١٢٧٨هـ.
- أحمد جودت: تاريخ جودت، المجلد الأول، ترجمة عبد القادر الدنا،بيروت، مطبعة جريدة بيروت، ١٣٠٨هـ.
- أحمد شلبي عبد الغني الحنفي المصري: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ الصيني، تقديم وتحقيق وضبط وتصحيح د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م.
- الإسحاقي ، محمد بن عبد المعطي: لطائف أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، القاهرة، ١٣٠٣هـ.
- إسماعيل الخشاب: تاريخ المماليك في مصر، مخطوط رقم ٢١٤٨ تاريخ طلعت- دار الكتب المصرية.
- الجبرتي عبد الرحمن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج١، القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، ١٩٨٦م.

- حسين أفندي الروزنامجي: ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية، تحقيق شفيق غربال بعنوان:" مصر في مفرق الطرق (١٧٩٨- ١٨٠١)، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد الرابع، الجزء الأول، ١٩٣٦.
- سالنامة سنة ١٢٩٤هـ، دمغة ٣٢.
- صدر الدين أبي الحسن على الحسيني: أخبر الدولة السلجوقية، تصحيح محمد إقبال، لاهور، ١٩٣٣م.
- عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي: نزهة السلاطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- على بن محمد الشاذلي الفرا: ذكر ما وقع بين عسكر مصر المحروسة القاهرة، (١١٢٣- ١٧١١م)، تحقيق عبد القدر طليمات، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الرابع عشر، ١٩٦٨م، ص ٣١٩-٤٠١.
- عماد الدين محمد بن محمد حامد الأصفهاني: تاريخ دوله آل سلجوق، اختصار الفتح بن على بن محمد البنداري الأصفهاني، القاهرة، مطبعة الموسوعات، ١٣١٨هـ- ١٩٠٠م.
- المحبي، محمد: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤مج، القاهرة، المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ.
- محمد بن على اللخمي الإشبيلي: الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان، تحقيق د. هانس أرنست، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م.
- المرادي، محمد خليل: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، الجزء الأول والثاني، والجزء الثالث والرابع، القاهرة، م. بولاق، ١٢٩١هـ، ١٣٠١هـ.
- أحمد جودت: تاريخ جودت، المجلد الأول، ترجمة عبد القادر الدنا،بيروت، مطبعة جريدة بيروت، ١٣٠٨هـ.

ثانيا: المصادر العثمانية:

- جركسلر كاتبي يوسف، تاريخ مصر، مخطط تركي، مكتبة سعد أفندي، السليمانية رقم ٢١٤٦.

- جلال زاده مصطفى، سليمنامه، مخطوط تركي طوبقبـــو- روان رقـم ١٢٧٤.
- عبد الكريم بن عبد الرحمن،مصرده عثمانلي واليلري، مخطوط تركـــي مكتبة حكيم أوغلو على باشا، رقم ٧٠٥.
- سعدي بن عبد المتعال، سليمنامه، مخطوط تركي، روان- طوبقبو رقـم ١٢٧٧.
- سلاحشور، فتح نامه ديار عرب، مخطوط تركـــي، نورعثمانيـه رقـم ٤٠٨٧.

ثالثا: المراجع العربية :

- إبراهيم حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، القاهرة، مطبعـة ديوان عموم الأوقاف، ١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م.
- أحمد حسين الطماوي: جرجي زيدان، سلسلة نقاد الأدب-١١، القـاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.
- أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ٢ج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م، ١٩٧٢م.
- أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ط٢، القـاهرة، دار الشروق، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣وط٣، ١٩٩٨.
- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحـار، ج١و٢، القـاهرة، المطبعة الأميرية، ١٣١٢هـ، ١٣١٤هـ.
- آمال أحمد العمري: دراسات في وثائق داود باشا والي مصر، القـاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م.
- أمين بن حسن حلواني المدني: نبش الهذيان م تاريخ جرجـي زيـدان، القاهرة، ١٣٠٦هـ- ١٨٨٩م.
- أندرية ريمون: فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية، ترجمـة زهير الشايب ، القاهرة، ١٩٧٤م.

- جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون في مصر في القـــرن التاســع عشر، سلسلة المكتبة التاريخية- ٣، القاهرة، ١٩٥٨م.
- حسن عثمان ومحمد محمد توفيق: تاريخ مصر فـــي العـــهد العثمـــاني (١٥١٧-١٧٩٨م) في كتاب: المجمل في التاريخ المصري، تأليف بعض أعضـــاء هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ١٣٦١هـــ- ١٩٤٢م.
- حكيم أمين عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، القاهرة، الدار القوميـــة للطباعة والنشر، ١٩٦٦م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، القـــاهرة، ١٩٦٥م.
- سلوى على ميلاد : وثائق أهل الذمة في العصـــر العثمـــاني وأهميتـــها التاريخية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
- سليم فارس: أبدع ما كان في صور سلاطين آل عثمان، الآستانة مطبعـــة الجوائب.
- سيد محمد السيد: مصر في العصر العثماني فـــي القـــرن ١٦، دراســـة وثائقية في النظم الإدارية والعسكرية والمالية والقضائية، القاهرة، مكتبـــة مدبولـــي، ١٤١٨هـــ- ١٩٩٧م.
- ------ : دراسات فـــي التـــاريخ العثمـــاسي، ترجمـــة وتقديــم وتعليق،القاهرة، دار الصحوة للنشر، ١٤١٦هـــ- ١٩٩٦.
- شوقي أبو خليل: جرجي زيدان في الميزان، دمشق، ١٩٨٠م.
- عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ المواني المصرية في العصر العثمـــاني، سلسلة تاريخ المصريين- ٨٩، القاهرة،١٩٩٥م.
- عبد الحميد الشافعي: الدرة البهية في فضل العرب ومآثر الدولة العثمانية، الإسكندرية، المطبعة التجارية، ١٩٠٢م.
- عبد الرازق إبراهيم عيسي: تاريخ القضاء في مصر العثمانيـــة، ١٥١٧- ١٧٩٨م، سلسلة تاريخ المصريين-١١٧، القاهرة، ١٩٩٨م.

- عبد الرحمن فهمي: النقود المتداولة أيام الجبرتي، بحث في : عبد الرحمن الجبرتي دراسات وبحوث، إشراف د. أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
- عبد النعيم محمد حسنين: دولة السلاجقة، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٥م.
- عراقي يوسف محمد: الوجود العثماني المملوكي في مصر في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٥م.
- عفاف مسعد السيد العبد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر، ١٥٦٤- ١٦٠٩م (٩٧١-١٠١٧هـ)، رسالة ماجستير- كلية الآداب - جامعة الإسكندرية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣.
- على همت بركي الآقسكي: العاهل العثماني أبو الفتح السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية وحياته العدلية، تعريب محمد إحسان عبد العزيز، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م.
- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ مصر الحديث، ١٥١٧-١٩١٩م، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣م.
- ------: تاريخ المشرق العربي، ١٥١٦-١٩٢٢م، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩.
- ماجدة مخلوف: تأثير المقامة العربية في أدب الأتراك، القاهرة، ١٩٩٠.
- محمد جمال الدين سرور: الظاهرة بيبرس وحضارة مصر في عصره، القاهر، دار الفكر العربي، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م.
- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني، بيروت ، ١٩٢٥م.
- محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- محمد حسين هيكل: في أوقات الفراغ، مجموعة رسائل أدبية تاريخية أخلاقية فلسفية، القاهرة، المطبعة العصرية، د.ت.

- محمد سهيل طقوش: العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ٦٩٨-١٣٤٣هـ/ ١٢٩٩-١٩٢٤م، بيروت، دار بيروت المحروسة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية، ط٥، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م.
- محمد عبد الغني حسن: جرجي زيدان، سلسلة أعلام العرب- ٩٠، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط٢، تحقيق د. إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، ١٩٨٣م.
- محمد فؤاد كوبريلي: قيام الدولة العثمانية، ترجمة د. أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٦٧م.
- محمد كمال السيد محمد: أسماء ومسميات في مصر القاهرة، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنجية والقبطية، القاهرة، م. بولاق، ١٣١٠هـ.
- معلم جودت (اينانج آلب): ذيل على فصل " الآخية الفتيان التركية" في رحلة ابن بطوطة، استانبول، ١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م.
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي؛ العصر العثمانى (من فتح مصر ١٥١٧م حتى الحملة الفرنسية ١٧٩٨م) ، القسم الثامن (١٢-١٣أ) العصر العثماني، نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي وعمر صابر عبد الجليل، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- ليلي عبد اللطيف: الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٨م.
- ليلي عبد اللطيف: الصعيد في عهد شيخ العرب همام، الفاهرة، ١٩٨٧م.
- هاملتون جب وهارولد بوون: المجتمع الإسلامي والغرب، ٢ج، تعريب أحمد عبد الرحيم مصطفى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م و١٩٧٢.

- يلماز أوز تونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول ١٩٨٨.

رابعا: الموسوعات:

- دائرة المعارف الإسلامية التركية، استانبول، ١٩٦٧م.
T.D.V.I.A.ISTANBUL
- دائرة معارف التاريخ (بالتركية)، استانبول، دار باتش، ١٩٦٩م.
TARIH ANSIKLOPEDISI,BATES,1969
- محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة، بيروت، دار إحياء التراث، صورة طبق الأصل من طبعة ١٩٦٥م.

خامسا: المعاجم والتقاويم:

- بطرس حرفوش: المنجد في الأعلام، ط١٠، بيروت، دار المشرق، ١٩٨٠م.
- حسن عميد: فرهنك فارسى عميد (فارسى)، طهران، ١٣٤٢هـ.
- حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٧م.
- عمر نصوحي بيلمن: قاموس الشريعة الإسلامية والمصطلحات الفقهية (تركى) ، استانبول، د.ت.
- يوسف إليان سركيس، معجم المطبوعات العربية، ٢ج، القاهرة، ١٩٢٨م.
- الفيروز ابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧م.
- عبد النعيم حسنين: قاموس الفارسية، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.
- على سيدي: رسملي قاموس عثماني، استانبول، ١٣٣٠هـ.
- محمد على الأنسي: الدراري اللامعات، بيروت، ١٣١٨هـ.

سادسا: المعاجم التركية:

* MITHAT SERTOGLU, OSMANLI TARIHI LUGATI, ENDERUN KITABEVI, ISTANBUL, 1986.

- شمس الدين سامي، معجم الأعلام، مهران مطبعه سـي، استانبول ١٣٠٦.

سابعا: المراجع التركية:

* YILMAZ OZTUNA, BUYUK TURKIYE TARIHI, OTUKEN YAYIEVI, c. 14, ISTANBUL 1983.

* ISMAIL HAMI DANISMEND,OSMANLI TARHI KRONOLOJISI,TURKIYEYA YINEVI,ISTANBUL,T.S

قائمة المختصرات

هـ= هجري

م= ميلادي

ص= صفحة

ج= جزء

ط= طبعة

مج= مجلد

I.H.D.O.T.K.= ISMAIL HAMI DANISMEND, OSMANLI TARIHI KRONOLOJISI

T.D.V.I.A. = TURK DIYANET VAKFI ISLAM ANSIKLOPEDISI.

***

فهرست كلِّي

***


Bibliotheca Alexandrina
0298430